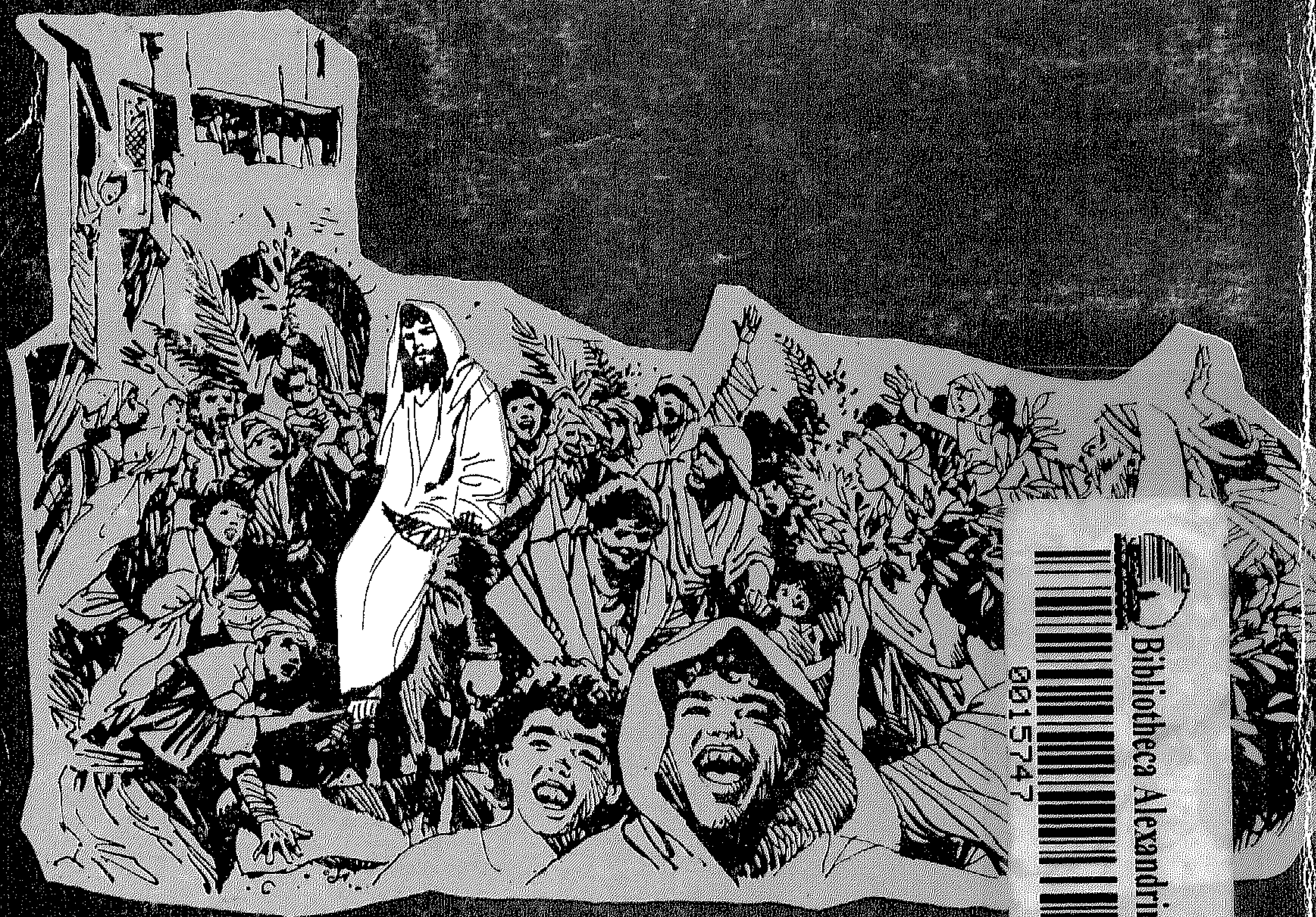
المحرر

قصة يسوع



المحرّر

للأب بيير تيفولييه

ترجمة

الأب روفائيل خزام اليسوعى



طبعة أولى

صدر عن دار الثقافة ـــ ص . ب . ١٢٩٨ ـــ القاهرة

١٠ / ٣٠٥ ط١ / ٣ ـــ ٣ / ٩١
رقم الإيداع بدار الكتب : ٣٦٢٧ / ١٩٩١
دولـــــى : ١ ـــ ٠٣٥ ـــ ٢١٣ / ٩٧٧
طبع بمطبعة : دار الجيل للطباعة
جمـع فـى : سيوبرس ت : ٩٠٦٦٨٣ ـــ ٩٠٢٦٦٧

مقدمة دار الثقافة

التزم الكاتب بأسلوب قصصي سلس وكلمات بسيطة متداولة وهو يعرض حياة يسوع والمواقف التى مر بها ، وكان فى حسبانه أن ينتفع به الغالبية العظمى من الناس الصغار والكبار .

ومما يجدر ذكره أن هذا الكتاب ما قصد به أن يكون بحثًا لاهوتيًا عن حياة المسيح ، بل تعمد سردها فى سياقها التاريخى دون أن يغفل التعرض للعادات والتقاليد التى كانت سائدة فى ذلك الحين ، ومن ثم فقد لاقى هذا الكتاب اقبالاً كبيرًا فى طبعاته الأولى بمختلف اللغات التى صدر بها .

يسرنا أن نقدمه لقارىء العربية .

دار الثقافة

الفهرس

الموضوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

المقدمة

بعد أربعين سنة ، ها هى طبعة جديدة « للمحرّر » . لاشك أنها ستلقى نفس النجاح الذى لقيته الطبعة الأولى ، وهذا ما أتمنّاه . وهى رغبة قويّة فى قلب الأب تيفولييه تشدّ كلّ وجوده : أن يشرك إخوانه فى الحبّ الروحانى الذى يملأه : فلا شىء أعذب له من أن يعيش فى إثر المسيح يسوع ، المخلص الحقيقى للإنسان ، ومحرره الفريد من ربقة الخطية والشيطان .

هذا الحب يحث مخيلته : فحالما نشبت الحرب ، وفى حين ما ظهرت الطبعة الأولى « للمحرر » دفع إلى الأمام ما سمى « بمعسكرات الرسالة » ، مصطحبًا شبابًا أشاع فيهم حماسته ، حماسة دافعها التعليم والتثقيف ، مهما واجه من صعوبات أو بذل من تضحيات . فلا يزال بيير تيفولييه مشغول البال ، مثلنا جميعًا ، بجهل عامة الشعب المتزايد إزاء الرسالة المسيحية : فوسائل الإعلام تصب أمواجًا من التخيلات النزوية . فى حين أن الثقافة المسيحية لم تغمر بعد الأذهان ، حتى أن الناس أصبحوا لا يميزون بين ما يتعلق بالأساطير وما ينيط بالتاريخ .

إن غاية « المحرر » الجديد هى سد هذا الفراغ : ولذا جاء فن « المحرر » الأدبى يراعى العقلية العصرية . لذلك فإنه بعدما نشر كتابه « فسكن بيننا » والذى يتناول قصة يسوع على شكل شريط مرسوم ، والتى ترجمت إلى أكثر من عشر لغات ، منها الروسية والصينية ، يقدم الأب تيفولييه إلى قارىء اليوم الإنجيل كرواية ممتعة . وكل من يفتح هذا الكتاب لقراءته لا يدعه جانبًا قبل إتمام مطالعته . يشرح المؤلف طريقته فى تقديم الكتاب : فنقرأ بتأثر حلقة البشارة العذبة للغاية ، ووصف حادث تكثير الخبزات (معجزة الخمس أرغفة وسمكتين)«لو ٩: ١٣». ونشترك فى الروح العائلية ، ـــ روح الأخوّة الشاملة ـــ التى أحدثت ثورة تشدنا ، لا يمكننا مقاومتها ، قد تمكّن يسوع من خلقها بين رفاقه . تأملت أثناء مطالعة هذا المقطع فى فكر سيّدة كانت تقول : « إننا نقابل فى كل اجتماع أناسًا لا نعرفهم ، ولكن بدون أية حيرة أو تردد نشعر أننا جميعًا من أسرة واحدة ! إننا نحب بعضنا بعضًا مثلما أحبنا

يسوع ، ثم إنه يجمعنا فكر واحد .

فى عالم فقد رشده ، يغرس فينا بيير تيفولييه روح التطوبيات وفكرها : لقد كان كثيرون فى حاجة إلى مثل هذا الكتاب . وخاصة بالنسبة للشباب الذين يتخبطون فى سبيلهم ، يدعوننا لعمل كل ما فى وسعنا للإصغاء إليهم ومحاولة فهمهم . وإنى لعلى يقين من أنهم ، بعد الانتهاء من قراءة « المحرّر »، سيقولون بصدق : نكون من المجانين لو استمررنا فى الجرى وراء المال والمخدرات ، وراء الكحول والمتعة الجنسية ، وراء النفوذ والسلطة ، بعد أن أدركنا أن محبة الله هى الوحيدة القادرة على أن تساعدنا على بناء تسوده روح الأخوة ، والقادرة على أن تنير لنا حياتنا .

هنرى ديرويه Henri DEROUET

مطران أراس Evêque d' ARRAS

اهداء الكتاب فى الطبعة الفرنسية

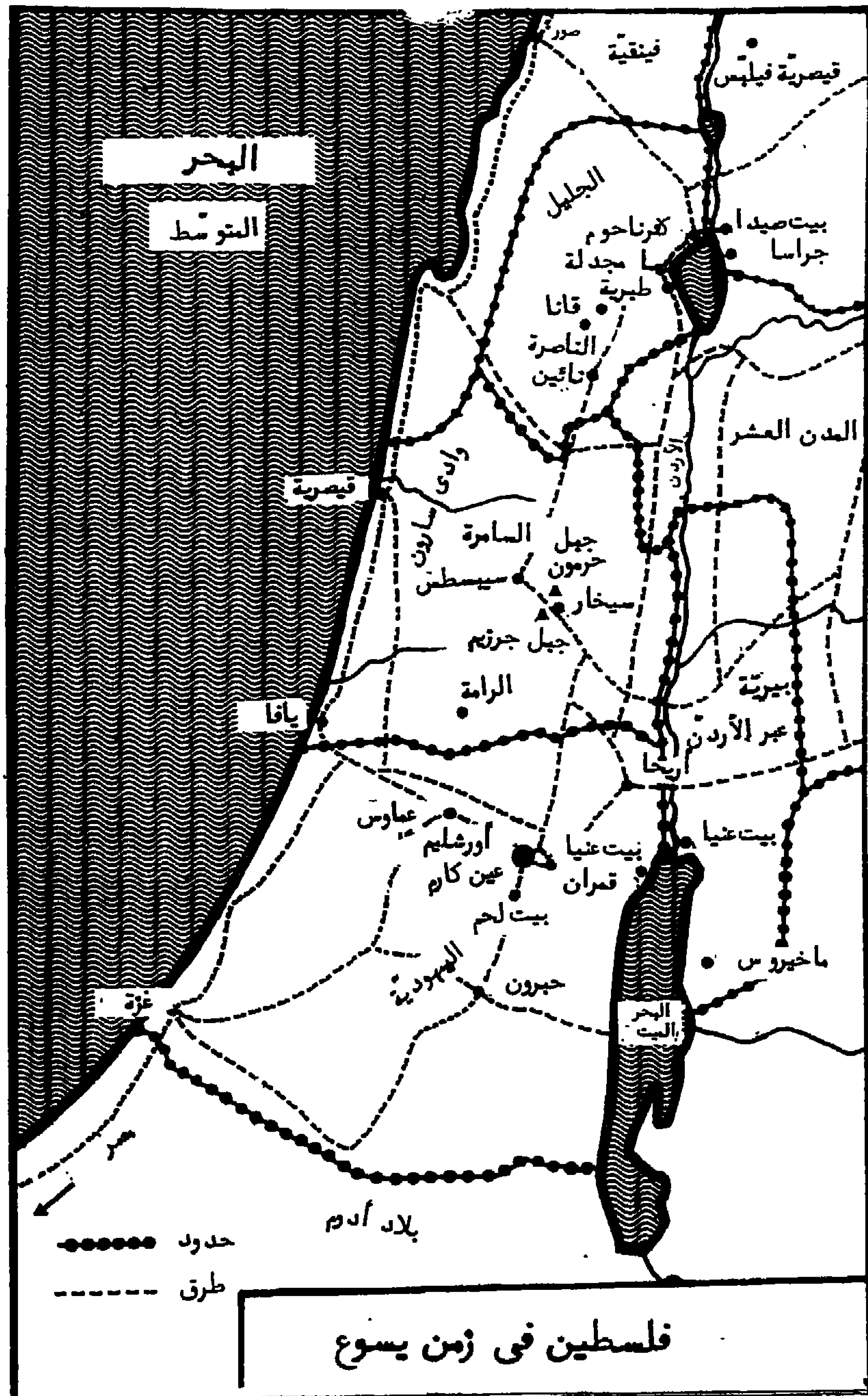
منذ أكثر من أربعين سنة ظهر كتاب عنوانه « المحرّر »، يقدم إلى عامة الناس شخصية يسوع المسيح وتعاليمه حسب سياق الأناجيل . عرف الكتاب رواجًا عظيمًا ، إذ وزع منه حوالى مليون نسخة بشتى الطرق باللغة الفرنسية فى الخمس عشرة سنة التى تبعت ظهوره . وبعد ذلك توقف نشره : لأن تقدم علوم الكتاب المقدس كانت تتطلب إعادة صياغة هذا الكتاب من جديد .

كم من مرة منذ ذلك الحين طُلب منى أن أعيد صياغة كتابى هذا ، ولكنى كنت أرفض حتى هذه السنوات الأخيرة ، التى قوى فيها الإصرار على هذا الطلب . لكن الأمر انتهى بى إلى إعادة كتابته تمامًا محتفظًا بطريقة تقديمه الأولى التى ضمنت له النجاح : وقد أبقيت على بعض مقاطع قليلة ، وجدّدت الباقى ، بما فى ذلك التصميم العام .

ولكن هدفى كمؤلف لم يتغير : إذ أن هذا الكتاب يهدف إلى إعطاء القارىء معرفة أولى لشخصية يسوع المسيح وتعاليمه من خلال قصة قصد بها أن تكون أخاذة مثل الرواية ، أمينة فى وصفها لبيئة ومؤسسات وعادات مجتمع العصر وعقليته مثل كتاب تاريخ ، وحاملة رسالة دينية مثل درس تعليم مسيحى ... ولكن لا داعى لطلب الكثير من هذا الكتاب الموجّه خصوصًا إلى الذين يريدون أن يكتشفوا يسوع المسيح . فقد وجد مؤلفات عديدة عن الأناجيل ، حررها لاهوتيون متخصصون لمن يودون أن يتعمقوا فى معارفهم الدينية .

قد يجد القارىء شبه ترجمة لنصوص الأناجيل ، أذكر مراجعها فى أول كل مقطع حتى يمكن قراءتها على حدة .. وطريقة مزج النصوص الإنجيلية والتفسيرات والتأويلات تكوّن أصالة أسلوب هذا الكتاب ... قد راجع أغلب النصوص فى زمنه المرحوم اصطفان شاربنتييه ، من علماء الكِتاب المقدس ، والذى كان من أعز أصدقائى . إلى جانب أنى مدين بالشكر إلى أحد كبار فنانى عصرنا ، نوييل جلوزنير للصور الجميلة التى تزين هذا الكتاب .

المؤلف



فلسطين في زمن يسوع

مدخل الكتاب

على ضفاف نهر الأردن



(١) صوت صارخ فى البرية

(متى ٣: ١ـــ١٢، لوقا ٣: ١ـــ١٨، يوحنا ١: ١٩ـــ٢٨)

فى السنة الخامسة عشر من ملك الامبراطور الرومانى طيباريوس قيصر ، الذى كان يحكم جميع البلاد الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط ... **فى أورشليم** ، مدينة الشعب اليهودى المقدسة ، التى أصبحت عاصمة إقليم اليهودية الرومانى ، بدأ الناس يتحدثون عن رجل غريب . يقال إن الله يتكلم بلسانه ، **يدعى يوحنا ملقب بالمعمدان ، يعيش فى برية خالية من السكان ، على شاطىء نهر الأردن ، بقرب من معبر بيت عنيا** . له من العمر حوالى ثلاثين سنة . هو رجل الصحراء ، صدره وسواعده نحاسية اللون ، من جراء تعرضه للشمس سنين عديدة . **كان يلبس ثوبًا من وبر الإبل ، وعلى وسطه حزام من جلد** . لحيته وشعره مسترسلان حول عينين كبيرتين تخترقان قلوب الناس كشفرات نصل حاد . يسكن الكهوف والمغاور . **وكان طعامه من الجراد المشوى والعسل البرى .**

غالبًا ما كان يأتى إلى المعبر ويدعو العابرين صارخًا : « إسمعوا كلكم الخبر العظيم !... المسيح جاء ... المسيا المنتظر هو بينكم ولكنكم لا تعرفونه ... **استعدوا ، لأنه قد اقترب ظهوره وعمله .**

وأية بشرى من شأنها أن تهيج الأفكار وتثير الحماس أكثر من هذه ؟ لأن الأمة اليهودية تنوء تحت خزى الهزيمة ، وقع خطوات جنود الاحتلال الرومانى يشعرها بالغيظ والمهانة . وها هو الشعب يشعر أن يوم التحرير قد قرب وأن مسيح الرب ، آتٍ ليطرد الغازى . وفى الواقع ، أنه قد اكتملت أزمنة تحقيق هذا الرجاء العظيم . وبالنسبة لسلطة روما الرهيبة ، التى استولت على جميع البلاد المحيطة بها ، قد يظهر شعب فلسطين تافهًا ، إلا أنه لا يزال الشعب المختار . فمنذ عشرين جيلاً قطع الله معه عهدًا ، الله الكائن غير المنظور ، أصل كل الأشياء الموجودة ، والذى لا يمثله أى تمثال . ولذا فأقل يهودى ، عندما يقابل ضابطًا رومانيًا بدرعه المذّهب الذى يلمع فى الشمس ، ومعطفه القرمزى المسترسل على كتفه ، وخوذته المزينة بالريش ، لا يسعه إلا أن يحتقره ، لأنه ليس إلا عابد أصنام .

اليوم ، أكثر من أى يوم مضى ، أوشك قدوم المحرر ، وهو المسيح ، أصبح الناس فى كل مكان ... على الطرق وفى الفنادق ، على ساحات السوق ، حول المعابد ، وفى أحواش هيكل أورشليم ، يتبادلون الآراء حول هذا الحدث العظيم . فيقول البعض :

« سوف يكون ملكًا ذا هيبة ، مثل سلفيه داود وسليمان . سوف يكون قائدًا حربيًا وغازيًا عظيمًا ، وسيبدأ بطرد المحتلين . وفى منطقة الصحراء الصخرية الملاصقة لأورشليم ، يعد غيورو الأدغال له جيشًا ، يتدربون ويعدون أسلحتهم . أجل ، إن نجم روما سيأفل ... وتصبح أورشليم عاصمة العالم . وتدوس الأمة اليهودية شعار روما ... فأيام النسر الرومانى معدودة !»

والبعض الآخر ، وهم نادرون ، وأكثر تبصرًا وغيرة ، ينظرون إلى آفاق النبى العظيم إشعياء ، الذى عاش منذ حوالى سبعة أو ثمانية أجيال مضت ، ليتكلموا عن هذا المسيح المنتظر ، فيقولون :

« هذا المرسل من الله سوف يكون حقًا محرّرًا : ولكنه يأتى ليخلص العالم خاصة من عبودية الشر والخطيئة ، اللذين هما أصل مصائب البشر . فعبثًا نأمل تغييرًا جذريًا إن لم **يطهر ويتجدد صميم القلب البشرى** ..! سيأخذ المسيح خطايانا على عاتقه ، ومثل عبد أو رهن يدفع دين الآخرين ، يضحى بحياته

ليخلصنا ».

ويجيبهم آخرون : « إنِ مسيح الآلام هذا أعلنه دانيال فى رؤاه ، سيكون المسيح شخصًا مجيدًا مباركًا ، يظهر بغتة ، فيستعيد السيطرة على عمل الخلق الذى شوهه الأشرار ، ليقوده إلى كماله . ويجرى الحكم على الأشرار بدون شفقة فيبادون . حينذاك ، سوف يفتتح مع الأتقياء الذين يؤمنون به عصرًا ذهبيًا جديدًا .

وصل الخبر أن المسيح قد جاء ، فاندفعت الجماهير نحو معبر الأردن لترى يوحنا المعمدان ، النبى الجديد ، وتسمعه .



كان يصرخ قائلاً : آه ، إنكم تنظرون إلىّ كأنى إنسان غريب ... **أى نعم ، أنا صوت صارخ فى البرية ، ويطالبنا إشعياء النبى بأن نستعد ، لأن يوم دينونة الله قريب . وسيقوم رسوله بعملية تنقية ، مثلما يعمل الحصّاد عندما يغربل قمحه : فيضع الحب فى أكياس ويرمى التبن فى النار ... ومثلما يعمل الحطّاب عندما يضع فأسه فى أسفل الشجرة : يترك الشجرة التى تعطى ثمرًا قائمة ، ويقطعها إذا أعطت ثمرًا رديئًا أو كانت غير مثمرة ...**

أعدوا الطريق للمسيح الآتى ، طريقًا انتصاريًا : قوّموا الطريق المنعرجة ، وكل جبل وتلّ يخفّض وكل وادٍ يمتلىء!

كان المستمعون يفهمون هذا الأسلوب كثير الصور : الطريق الذى يجب إعداده هو قلب كلّ منا .

تقع كلمات هذا النبى بصواب وشدة ، مثلما كان يعمل فى يوم الكفارة الكبير : **وكان كل الشعب يعترف بأخطائه وخطاياه** بصراحة . فكانوا ينحنون حتى الأرض ويقرعون صدورهم . **وعندئذ** ، بحركة آمرة ، **كان يوحنا يشير إلى النهر** ، ويقول :

« إذا كنتم مصممين ، **اغطسوا فى هذه المياه** لتخرجوا منها مجدّدين ».

والجميع ، الرجال والنساء ، الأولاد والبنات ، يفكون رُبُطَ معاطفهم **وينزلون** مياه الأردن . فيعمدهم **يوحنا الملّقب بالمعمدان** ، الواحد بعد الآخر .

« أغطسك فى الماء وأرفعك منه ، علامة تطهير وتجديد ».



منذ أجيال عديدة لم يرَ الناس رجلاً مثل هذا ، فاق قدرة البشر . وتتهافت الجموع لترى هذا الغريب الذى لم يحلق شعره قط ولم يشرب خمرًا ولم يقترب من امرأة ، ولم يعرف حبًا سوى حب الله . كان أنبياء الأزمنة السابقة يتكلمون بصراحة ، ولكن يظهر أن هذا يفوقهم جميعًا . إلى حد أن الناس **كانوا يتساءلون إذا ما كان هو المسيح** ، المحرر المنتظر .

حضر وفد رسمى من سلطات أورشليم الدينية ليقوم بالتحقيق :

هل أنت الرجل الذى يدعى يوحنا المعمدان ، ويترك العالم يركض وراءه ؟... **أتكون صدفة النبى ؟...**

« **لست المسيح ...**، لست المسيح ... **لست أهلاً لأن أنحنى إلى قدميه وأحل سيور نعليه** ».

وتركهم هناك مذهولين ليلحق بفريق تلاميذه : كان الناس يتتلمذون

له ، ووُجد رجال قد استهوتهم طريقة حياته **وقوة بلاغته** ، كانوا يذهبون باستمرار لملاقاته فى معبر بيت عنيا .

(٢) يوحنا يعمد المسيح فى نهر الأردن ــ ويرى الروح نازلاً عليه مثل حمامة

(يوحنا ١: ٣٠ــ٣٤، متى ٣: ١٣ــ١٧، مرقس ١: ٩ــ١١)



يناجى يوحنا المعمدان تلاميذه :

إليكم أنتم ، أصدقائى ، أود أن أسرّ بهذا : **يرسلنى الله ليس لأعد القلوب لحسن استقبال المسيح فحسب ، ولكن لأقدمه أيضًا للشعب** . لأنه ــ وأكرر لكم هذا ــ جاء ويعيش فى وسطنا . **سوف أعرفه بواسطة علامات أعلن الله لى عن سرها ، وأفهمنى قائلاً : « إن الذى أرى الروح ينزل عليه فيستقر » يكون هو .**

فى يوم ما ، بين المستمعين الذين كانوا يأتون باستمرار ليسمعوه ، وجد يوحنا المعمدان يسوع قريبه ، الذى كان نجارًا فى الناصرة ، وله من العمر ثلاثون سنة مثل يوحنا . تقدم يسوع إلى يوحنا وطلب منه أن يعمده ، رفض

يوحنا قطعيًا . لأنه كان يعلم أن يسوع لم يعرف خطية . فليس عليه أن يعترف .

فأجاب يوحنا على طلب يسوع : **كيف ذلك ؟**... أنت أقدس منى ، **فأنا بالأحرى المحتاج إلى أن تعمدنى .**

وقال يسوع : **لا تعارضنى ، وعمدنى ، أرجو منك ذلك . لأن هذا فى خطة الله ، وعلى كلّ منّا أن يخضع لها . وعليه لبّى يوحنا طلب يسوع وعمده .**

بعدما غطس **يسوع** فى ماء النهر ، وفى الزمن عينه الذى رآه **صاعدًا من الماء** ، شعر يوحنا بنور داخلى وانبهر بما ظهر له جليًا ... لأنه سبق أن أوحى إليه : « إن الذى ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو ذاك ». وفى الواقع ، ماذا رأى فى انبهاره ؟... **رأى السماوات وقد انفتحت** ، دلالة على أن الصلة قد عادت بين الله والبشر ، وأن هذه السماء ، مسكن الله ، لم تعد مغلقة . **وروح الله ينزل على يسوع مثل حمامة** . وإذا **صوت** ، يسمعه يوحنا المعمدان ، **يعلن** أن يسوع ليس مجرد نبى أو رسول ، ولكنه ابن الله بصفة فريدة ، ويقول : « **هذا هو ابنى الحبيب ، الذى به سررت** ».

بواسطة كل هذه العلامات الصريحة الواضحة ، تحقق يوحنا المعمدان من أن يسوع هو المسيح الذى كان محور جميع النبوات ، المسيا المنتظر .



لكن من هو يسوع هذا الذى طلب من يوحنا أن يعمده فى نهر الأردن !؟



الفصل الأول

ولادة وطفولة

(١)

عرض غريب لعذراء مخطوبة

(لوقا ١: ٢٦—٣٨)



كان يقال إن يسوع هذا ابن شخص يدعى يوسف ، نجار فى الناصرة ، وهى قرية صغيرة من قرى إقليم الجليل وإن أمه تدعى مريم . ولكونه ابن مريم كانت تربطه رابطة نسب بعائلة يوحنا المعمدان .

ولد يسوع فى عهد الملك هيرودس الكبير ، وفى ظروف فريدة للغاية وخارجة عن المألوف .

كان يوسف ومريم مخطوبين ليس إلا ، عندما حصل حدث من شأنه أن يعد حدثًا تاريخيًا فى تاريخ العالم .

وكانت مريم وحدها فى ذلك اليوم ، فى بيت أبويها ، مشغولة فى عمل ما ... ولعلها كانت تصلى ... عندما زارها ملاك الرب ... هل أثناء رؤية أم انخطاف ، أو فى واقع الحياة ، هذا ما لا يمكننا أن نحدده ، حيث أنه من الصعب لأصحاب الرؤى ، الذين يحظون بدخول عالم الله ، أن يبوحوا بما يرونه ... **واسم هذا الملاك جبرائيل** . وكانت مريم تعرف دينها وتاريخ شعبها : فالنبى دانيال يذكر أن جبريل هو الذى كان يفسر ما يخص المسيح المنتظر .

أى سر من طرف الله جاء الملاك يعهد به إليها بخصوص المسيح ؟

« السلام عليك يامريم ... ينظر الله إليك بمعزّة خاصة » .

وبخجل واضطراب ، كانت الشابة تتساءل عن معنى وطريقة هذا السلام .

« لا تخافى ، يامريم ، قد نلت حظوة عند الله . فستحبلين وتلدين ابنًا تسمّينه يسوع ، (وهو اسم يعنى « الله يخلص ») **. لأن الله اصطفاك أنت لتكونى أم المسيح ، هذا الشخص العظيم الذى يدعى « ابن العلى ». ويوليه الله عرش داود أبيه ، ويملك على بيت اسرائيل أبد الدهر » .**

إزاء هذا الوحى المفاجىء كانت مريم مضطربة للغاية . ولكن أمرًا ما كان يربكها ويفوق إدراكها : إذ أنها كانت مخطوبة ليوسف . فكان من حقها أن تدهش من هذا الوحى ، لأنها لم تكن تسكن مع يوسف بعد : فهى عذراء ، ولم يكن لها قط اتحاد جسدى بأى رجل ... **فطلبت** ببراءة وبساطة إيضاحًا عن الكيفية التى يتم بها ذلك :

« أنّى يكون لى ابن وأنا لا أعرف رجلاً ؟ »

وحصلت على التفسير : لن يكون الولد المعلن عنه ابن يوسف ، ولكن الله بالذات سيحقق ولادته منها . **وجاء جواب الملاك جبريل** بكلمات مغلقة . **« الروح القدس يحل عليك وقدرة العلى تظللك ، لذلك يكون المولود منك قدّوسًا** ، كائنًا إلهيًا ، **وابن الله .**

وإذا بالملاك جبريل يعطى ضمانًا لرسالته ، سوف يمكن مريم أن تتحقق منه بما يخص نسيبتها أليصابات : **« ما من شىء يعجز الله » . هكذا نسيبتك أليصابات ، التى كانت تدعى عاقرًا ، قد حبلت بابن فى شيخوختها ، وهى فى شهرها السادس .**

وكأن العالم كله ، بل والسماء أيضًا ، ممتلئان دهشة فى هذه اللحظة الفريدة . فالبشرية ، على مستوى قوتها ، وقمتها ونصرتها العليا ، حاضرة هنا ، مركزة فى هذه الشابة ... التى يناط بها إقامة جسر الخلاص بين السماء والأرض .

وعليه ، بكل بساطة وتلقائية ، دون أية حاجة إلى زيادة معرفة ، **أجابت مريم :**

« هأنذا أمة الرب ، فليكن لى بحسب قولك » .

والآن يمكن للملاك جبريل أن ينسحب : فقد أتم رسالته وأكمل مهمته .



(٢) مريم العذراء ترتل « نشيدها »

(لوقا ١: ٣٩ــ٥٥)



حريصة على ألا يتسرب شيء من سرها ، **سعت مريم لمقابلة نسيبتها أليصابات** على وجه من السرعة لتتحقق من أنها حبلى منذ ستة أشهر وتتحدث معها بصراحة عن العجائب التى يتممها الله فى حياة كلٍّ منهما . ولذلك

انضمت مريم إلى قافلة تتجه نحو أورشليم ، **فتعبر** أولا إقليم السامرة ، ثم **منطقة جبال اليهودية** لتصل إلى أورشليم ... ركبت حمارًا أو بغلة صغيرة **ووصلت إلى بيت نسيبتها** ، الذى يقع حسب ما يقال فى عين كريم ، على بعد ستة كيلومترات غرب أورشليم . عين كريم هو « النبع المتدفق » قرية صغيرة ، ظريفة ، محصورة فى عش من الخضرة ، وفى صلب كتل صخرية جرداء .

فى وسعنا أن نتصور بسهولة مقابلة هاتين النسيبتين :

يانسيبتى أليصابات ، ليكن سلام الرب وفرحه معك !



يامريم الناصرية ، يالها من مفاجأة لطيفة ! ولكن ما سبب هذه الزيارة المفاجئة إلى هذا الحد ؟ وأتيت وحدك ، وتجشمت كل هذا العناء .

آه ياأليصابات ، لا يسعك أن تدركى إلى أى مدى غمرتنى فرحًا رؤية حالتك !... لأنها البرهان على أن ما أعلن عنه لى هو حقًا من الله ... قبل كل شىء **أريد أن أقول لك سرًا عظيمًا** .

وبدأت مريم تخبر نسيبتها عن السر العظيم الذى أوحى به إليها الملاك جبرائيل ... **وأجابتها أليصابات** :

يامريم ، « طوبى لك يامن آمنت بأن ما بلغها من عند الرب سيتم ... وبدورى أسر لك بهذا : فما أن وقع صوتك فى مسمعى حتى اهتز الجنين بابتهاج فى بطنى بطريقة غير مألوفة ... وهذه علامة لا تخدع ... **أنى لى أن تأتينى أم المسيح !... مباركة أنت فى النساء ، يامريم ، ومبارك هو أيضًا الابن الذى تلدينه** . فبرقت عينا مريم وأشرق وجهها ، وتخلصت برقة من



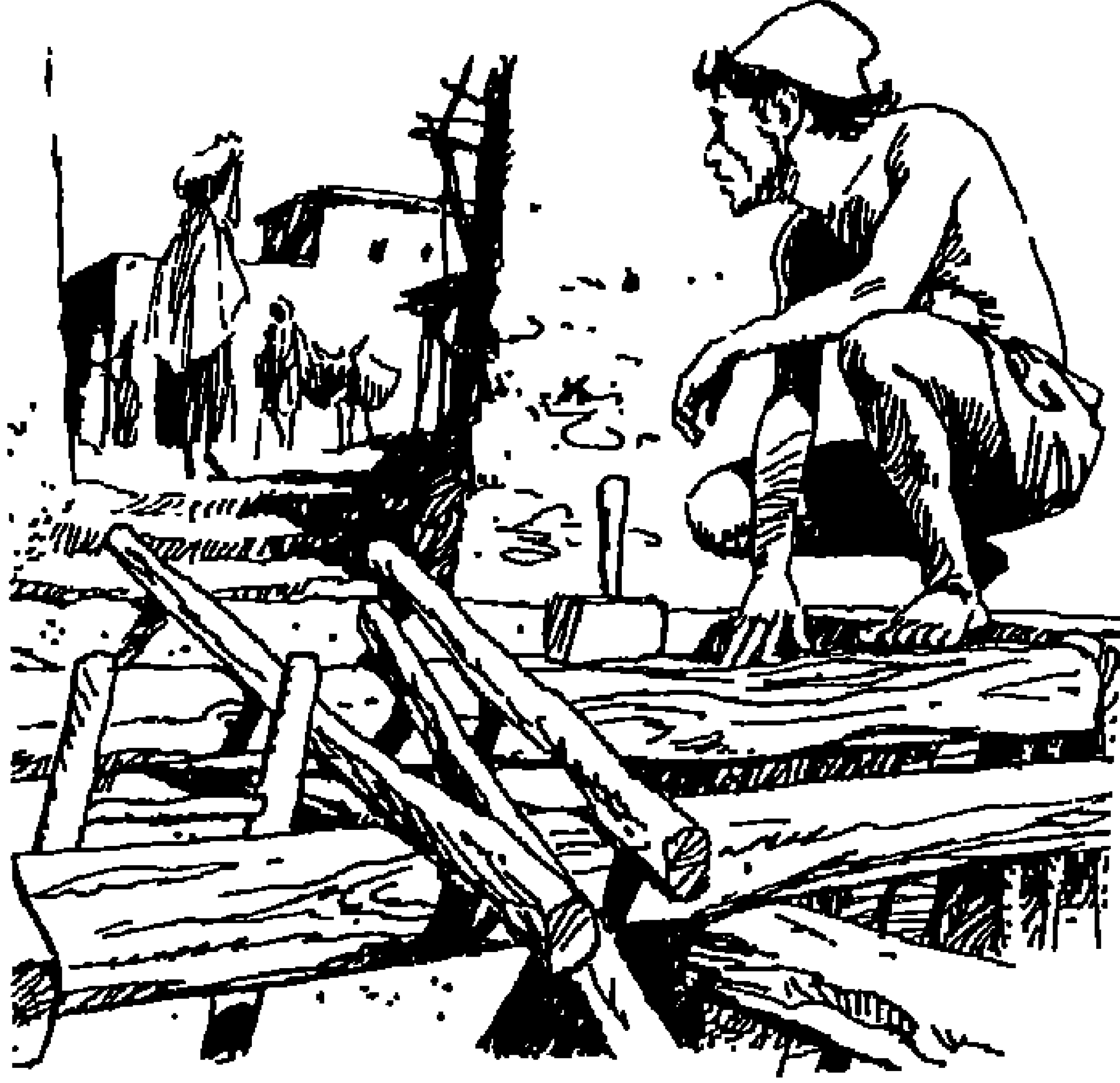
معانقة نسيبتها لتترك قلبها ينفجر سعادة ، وقالت : أنا فى غبطة الله !.. عطف علىّ أنا أمته الصغيرة . أجل ، أتانى القدير فضلاً عظيمًا ... سوف يطوبنى منتهى الزمان .

واستطردت مريم قائلة : « سيبرهن المستقبل أنها كلمة نبوية »... فربات المُلك وملكات الجمال وأصحاب الشهرة والمجد الدنيوى ينساهم العالم بسرعة ويقيم غيرهم على عروشهم ، فلا يتمتعون ببريق هذه الشهرة إلا لمدة جيل أو اثنين ليس إلاّ — أما مريم العذراء ، فستظل معروفة ومحبوبة أكثر من جميع نساء الأرض ، ألف سنة بل ألفين وأكثر ، بل إلى مدى الأجيال إكرامًا لها ، إن الرسامين والنحاتين ، الموسيقيين وبنائى الهياكل والكاتدرائيات يقيمون روائعهم الجميلة . وفى العالم أجمع تتهافت الجماهير أكثر فأكثر إلى مزاراتها . وسوف يُحتفى بها وتكرّم إلى منتهى الزمن ، لأن الله حقق فيها عظائم عندما طلب منها أن تكون أم يسوع ابنه .

ومكثت مريم عند أليصابات ثلاثة أشهر حتى ولادة ابن نسيبتها .

هو ابن المعجزة ... الذى بولادته حقق المستحيل ، كما أن الله اختاره **ليكون يوحنا المعمدان** ... أعظم مواليد النساء . **إن أباه ، الكاهن زكريا ، زوج أليصابات ، قد أُعلن له عن ولادة الطفل فى رؤيا ، بينما كان يكهن فى هيكل أورشليم ، وأصيب بالخرس لأنه لم يؤمن بإعلان السماء هذا — إذ كان قد طعن فى السن وامرأته تعدت سن الحمل .. ولم يستطع زكريا الكلام إلا يوم الاحتفال الكبير بمناسبة ختان الطفل ، ثمانية أيام بعد ولادته . فى ذلك اليوم سمى الطفل يوحنا وصرّح حسب الإعلان الإلهى الذى حصل عليه فى الهيكل ، بأن رسالة الطفل هى أنه سيتقدم المسيح ليعد الشعب لمجيئه .**

كان **يوحنا ينمو وتزكو روحه** فى منزل أبيه الشيخ . ولا شك أنه سيكون ولدًا رزينًا . لابد وأن يترك البلد ، وخاصة أن أبويه توفيا بعد ولادته بقليل . **وقد انعزل يوحنا فى البرية** : من المحتمل فى جماعة الأسينويين ، وهى مثل جماعة قمران، الذين يستقبلون أطفالاً صغارًا ليدربونهم على عيشة العزلة والصلاة وإماتة الجسد . وغابت حالة يوحنا عن فكر الناس **إلى يوم ظهوره على ضفاف الأردن** .



(٣) شك يوسف فى مريم خطيبته

(متى ١: ١٨ــ٢٥)

عندما رجعت مريم إلى الناصرة بعد غياب دام ثلاثة أشهر ، كان يوسف فى غاية الغبطة لملاقاة خطيبته ثانية . ولكن ، شيئًا فشيئًا ، بدأت الشكوك تتطرق إلى ذهنه ، ولكنه طردها بسخط . مضت بضعة أسابيع ، فأصبحت الشكوك يقينًا : مريم حبلى ...، مريم مذنبة ... مريم خائنة . لا بد من أن أتفاهم معها !

ليس من الصعب أن نتخيل مقابلتهما :

لابد من أن تصدقنى يايوسف ... أتتنى رسالة من السماء ... وحالتى هى عمل الله وحده ! سوف ألد المسيح المنتظر ...

كيف يمكننى أن أصدق أمرًا كهذا ، يامريم ؟... هذا محال !... ظل الشاب المسكين فى حالة اضطراب . من حين إلى آخر ، كان يتوقف عن العمل ويظل سارح الفكر ، ينظر إلى شىء غير محدود . وبغتة ، يصعد سيل من الدم إلى وجهه ، وتتصلب ملامحه . ويتأمل ــ حسب الشريعة ــ هذا زنى حقيقى ... يجب عليه أن ينقض خطوبته مع مريم . لأنه لو سكت لأظهر غباءه أو برهن على أنه متواطىء معها ... ولكن موقف مريم يطرح له سؤالا: إنها لم تهرب منه خجلاً ، بل يراها فى هدوء تام، ولا تزال تصرفاتها تنم عن تقواها

وورعها . وقد يظهر أحيانًا أن جمال وجهها أصبح أكثر بهاء ، الأمر الذى يبعد تمامًا الظن أنها لعبت دورًا . لاشك أن هنا شيئًا ما لا يفهمه يوسف ، بل يفوق إدراكه ... إنه يتألم آلامًا مبرحة .. ويتأرجح بين الشك واليقين .

أما مريم فترى أن الأفضل أن تترك الله يعمل ما يريد ، بما أنه فى كل هذا الأمر أتت المبادرات من السماء .



يوسف شاب مواظب على عمله ، تقى ومخلص . قال فى نفسه : « بما أنى لست والد هذا الطفل ، سأترك مريم ، ولكن سرًا بدون إعلان ، لأنى لا أريد أن أعرّضها لنقد الناس إذا أشهرت أمرها ، رغم أن ذلك من حقى .



وطوال هذه الليلة ، ومتمددًا على حصيرته ، **نام** نومًا مثقلاً بالأوهام ومحمومًا . وكان مضطربًا ، يناقش فى شبه كابوس هذه المشكلة الخطيرة والمؤلمة . **وها هو عند تيقظه ...**

ياله من حلم غريب !...

كنت أرانى فى حفل ختان ابن مريم . وكنت أنا القائم له بوظيفة الأب ، وأنا الذى أعطيته اسمه : يسوع !.... **لاشك أن الله كلمنى وأنارنى بوساطة ملاكه . الطفل الذى تحمله مريم فى أحشائها هو حقًا من الله ..** قد فهمت ما ينتظره

الله منى : يعهد إلىّ بدور مهم جدًا فى مجىء المسيح . وانى ثابت العزم ، **لن أخلى مريم خطيبتى ولن أتخلى عنها أو أخذلها .**



لابد من أن أعرف أن من واجب الأب ، فى الشرع اليهودى ، أن يعطى الطفل اسمه ويدخله فى سلالته العائلية . ولم تكن تؤخذ رسميًا بعين الإعتبار مسألة حمله وولادته .

إذًا فقد أخذ يوسف مريم عنده ، وأحاطها بكل احترام حتى أنها تلد ابنها بدون أن يعرفها كزوجة .

(٤) حظيرة ــ مغارة الميلاد فى بيت لحم

(لوقا ٢: ١ــ٢٣)



مضت خمسة أو ستة أشهر . وها هو مناد عمومي يجمع في ساحة القرية كل سكان الناصرة ليعلمهم أن إمبراطور روما ، أوغسطس قيصر ، أمر

بإحصاء سكان بلاد إمبراطوريته الواسعة المأهولة .

فى ذاك العصر كانت فلسطين قسمًا من إقليم سوريا الرومانى ، وكان كيرينيوس حاكمها العام . حوالى خمسين عامًا قبل ذلك كان القائد الرومانى بومبيوس قد استولى على مدينة أورشليم ، ومنذ ذلك الحين كانت فلسطين تنوء تحت الاحتلال الرومانى . ولكن روما تركتها للملك هيرودس ، رغم أنه لم يكن من نسل يهودى أصيل ، ولكنه كان صديق القيصر ، لبقًا فى الدبلوماسية بنى كثيرًا من المدن . فكان يملك على البلد ، ولكن روما كانت تراقبه .



وأوضح المنادى : « **على كل رجل أن يذهب ليسجل اسمه أمام دوائر الأحوال المدنية فى بلد منشأ أسرته .** وتسهيلاً لهذا الإجراء ، كان المسئولون يمرون فى كل مدينة وقرية ليتحققوا من سلامة السجلات المدنية المضبوطة تاريخيًا بدقة ، والتى كانت تدوّن بالتفصيل شجرة نسب كل أسرة ناشئة من هذه الجهة أو تلك . **فكان لزامًا أن يرجع كل شخص فى اليوم المحدد إلى مسقط رأسه .**

كان يوسف من بيت لحم ، بلدة صغيرة واقعة على مسافة ستة أميال إلى الجنوب من أورشليم ، ومشهورة لأنها كانت مهد أسرة الملك داود العظيم قبل ذلك بحوالى ألف سنة . **وكان يوسف من سلالة هذه الأسرة الملكية** . أجل ، لم تكن سيرته سيرة الأمراء . إذ أنه كان للملكين داود وسليمان عدد لا بأس به من النساء ، شأن كل ملوك ذلك العصر ، وبالتالى أولاد كثيرون . وبعد أجيال عديدة ، كان نسل هذه الأسرة الملكية كبيرًا . بعضهم أغنياء وذوو

مكانة ، ولكن أغلبهم كانوا صناعًا مثل يوسف أو من صغار المزارعين . فكانوا يكتفون بأن يفخروا بأصلهم .

ولما كان التعداد إجباريًا ، قام يوسف بالسفر ، راكبًا حمارًا أو بغلاً ، ـــ وهى الطريقة العادية للسفر فى ذلك العصر ـــ **واصطحب معه مريم** . سوف تسنح الفرصة لتقديمها إلى أقاربه ، وخاصة **لأنها أوشكت أن تلد** . ورغم كل متاعب الطريق ، لم يشأ يوسف فى تلك الأيام أن يفترق عنها .

يرجع اسم « بيت لحم » الذى معناه « بيت الخبز » إلى أراضيها التى تدر قمحًا . وكان رعاتها يقودون قطعانهم فى الشتاء إلى المرتفعات ، التى تكسوها الأشجار والنبات وبها أيضًا عيون مياه عذبة .

عند وصوله إليها ، قام يوسف بالإجراءات اللازمة فى مكتب الإحصاء . هناك يتزاحم الناس ، وتتردد الملاحظات العدائية على الرومان وعلى حليفهم الملك هيرودس الكبير الشيخ . يمكننا أن نتخيل بسهولة ما يقال :

« قفوا فى صفوف الانتظار » يصيح المشرفون على النظام من رجال الشرطة ... احترسوا فكل بيانات خاطئة يعاقب صاحبها بصرامة .

« يفور دمى » ، يصرح رجل فى عنفوان الشباب ... أنا من نسل الملك داود ، والآن أجدنى مضطرًا أن أقدم بيانًا لهؤلاء الرومان الممقوتين ...

مهلاً ، إن سلطتهم لن تدوم ، يجيبه آخر . بينما يؤكد الناس ظهور نجم جديد براق للغاية ... لعله نجم المسيح ... لقد كملت الأزمنة ... تذكر نبوة العراف بلعام : سيبرز كوكب من يعقوب فى شعبكم إسرائيل ، كوكب يكون قائدًا عظيمًا ويهلك كل بنى الوغى (عدد ٢٤: ١٧) .

بعد اتمام الإجراءات **يذهب يوسف إلى منزل أسرته** :

ليكن الله مؤيدًا لكم ، ياإخوتى وأخواتى !

يايوسف الناصرى ! أهلاً وسهلاً بك ... ياله من فرح أن نراك !...

أقدم لكم مريم ، قرينتى ... مثلما ترون : إنها تنتظر طفلاً فى هذه الأيام ... أين يمكننى أن أجد مكانًا مناسبًا للولادة ...؟

للأسف ، المنزل يغص أهلاً وأصدقاء آتين للإحصاء . **ولا يوجد مكان فى غرفة الضيوف .**

يايوسف ، تقبل نصيحتى ... إذهب إلى الحظيرة . سيكون فيها دفء فى جوار البهائم ... عندما يكون الطقس باردًا ، اعتدنا أن نذهب هناك للنوم .

فكرتك حسنة ... وسنكون هناك فى هدوء .

هذه الفكرة لا تدهش أحدًا فى بلد وفى عصر اعتاد فيهما أهل القرى أن يناموا أحيانًا فى الحظائر ، بقرب الحيوانات الأليفة خاصة فى فصل الشتاء . وأغلب حظائر بيت لحم كانت مهيأة فى مغارات موجودة بكثرة فى منحدر التلال .

وها هى مريم ، فى ليلة من الليالى ، تلد ابنها فى حظيرة (مغارة) ... إنه طفل صغير ، لكنه ابن الله ... **وضعته فى لفائف وأضجعته فى المزود ، أى فى معلف** محفور فى الصخرة عينها **التى يضعون فيها أكل البهائم .**







بعد قليل ، سمع وطء أقدام ، ثم **أصوات ونباح** ، علت الدهشة وجه كلٍّ من مريم ويوسف حين **تقدم رعاة إلى داخل المغارة ليروا الطفل** .

كانوا ساهرين هذه الليلة يحرسون قطعانهم فى مراعى تلال بيت لحم . لأنها كانت العادة أن يتركوا الخراف فى الهواء الطلق إذا كان الطقس محتملاً . ولكن لابد من القيام بالحراسة بسبب وجود الحيوانات الضارية : فالذئاب وبنات آوى تحوم فى الليل . فيتناوب الرعاة الحراسة ، كلٌّ بدوره ، مع كلابهم ، يشعلون نارًا للتدفئة وحتى يرفّهوا عن أنفسهم يتحادثون بلا كلفة ، يغنون ويزمرون بالمزمار .

ولكنهم رأوا بغتة السماء مشرقة برونق غير مألوف ... وأتتهم رؤيا ... وقال لهم ملاك :

إنى آتٍ لأعلن لكم أَعْظم خبر من أخبار كل الأزمنة : إن المخلص ، أعنى المسيح المنتظر ، قد وُلد هذه الليلة فى بيت لحم . وإليكم هذه العلامة : تجدونه مضجعًا فى مزود داخلٍ حظيرة .

فقال الرعاة بعضهم لبعض :

هلم بنا نسرع لنرى هذا الطفل القدوس .

قد ولد فى ليلة النجم الجديد .. فى حظيرة .. هنا فى بيت لحم ، مدينة داود الملك الراعى ... لاشك أنه سيكون مستقبلاً راعى شعبنا الكبير . إنه

المسيح الذى ننتظره .

الله يأتى إلينا ... السماء كلها مشرقة نورًا وفرحًا . **إننا نسمع الليلة من يرتل : « المجد لله !... السلام للبشر !...» فرح السماء حلّ على الأرض !...**

ها هى مراسم كاملة تُقام فى السماء بمشاركة جمهور من الطغمات السمائية والملائكة... وجاء حضور هذه الملائكة علامة على أن صاحب نص الإنجيل قد استعلن بطريقة كتابية تجعلنا نفهم أن طفل المغارة طفل إلهى . كما أن حضور وزراء ملك وكل حاشيته هو علامة على أن الملك حاضر. فالملائكة هم الوزراء ، والرسل هم السفراء الذين يحملون أوامر الله . ومعنى وجودهم أن الله ذاته حاضر فى طفل المغارة .

أسرع الرعاة إلى حظيرة المغارة حيث اجتمع الأهل وأصدقاء الأسرة ، حيث بذلوا قصارى عنايتهم للوالدة الجديدة . فى شبه ظلمة يتقدم الرعاة بحذر ، **ويكتشفون** ، تحت إنارة قناديل الزيت ، **الأم الشابة التى تبتسم لمولودها الراقد فى المذود** . رق قلبهم للفكر أن هذا الطفل النحيل ، الذى لا يكاد أن يفتح عينيه والذى يشبه كل المولودين حديثًا ، هو الذى ينتظره الشعب انتظارًا محمومًا منذ أجيال . وأتوا للعذراء بلبن وجبن وصوف نتاج نعاجهم . وقد يطلبون أن يحملوه على أذرعتهم كما يحملون حملانهم الرقيقة . كانت مريم سعيدة عندما سمعتهم يروون كيف أن السماء كانت فى فرح أثناء هذه الليلة العجيبة المباركة .

بعد قليل طلع الفجر . عندئذ ذهب الرعاة ودخلوا مدينة بيت لحم الصغيرة ، وحكوا عن أحداث ليلتهم : ولادة المسيا المنتظر . وكان كل الذين يسمعونهم يتساءلون فى دهشة : ماذا ؟ هل المسيح يولد فى حظيرة ، تكاد تكون مجهولة ، وأثناء سفر ، هل هذا ممكن ؟... **أليس هذا عجيبًا ؟...**

ومريم تحتفظ بكل ذلك فى ذاكرتها . سوف تتكلم عنه فيما بعد .

إن الحدث الذى جرى فى تلك الليلة فى حظيرة مغارة من حظائر بيت لحم ، المدينة الصغيرة المجهولة الواقعة فى دائرة تخوم الإمبراطورية الرومانية العظيمة ، يبدو أنه حدث بسيط ليس له من أهمية إلا أن هذا الحدث يقسم

كل تاريخ البشرية إلى قسمين . فمنذ الآن سيقال : « قبل الميلاد » لكل ما حصل قبله ، ويقال « بعد الميلاد » لكل ما سيحصل بعده . لأن الله ، فى هذا المولود حديثًا ، حقق حلوله وسط البشر « الله معنا » .

بعد هذا الميلاد بثمانية أيام ، أقيم الحفل العائلى لختان الطفل ، وبهذه المناسبة ، يعطيه يوسف الاسم المتفق عليه مسبقًا ، « يسوع » الذى يعنى « الله يخلص » .

لأسباب صحية فى تلك البلاد الشرقية ، حيث العناية بالنظافة كانت ضئيلة لقلة الماء ، وحيث كانت العدوى سريعة ، اعتاد العرب والمصبريون واليهود أن يمارسوا الختان لصغار الأولاد . ولكن ، عند اليهود ، منذ جدّهم إبراهيم كان هذا القطع الصغير من جلد القلفة ، الذى يسيل منه قليل من الدم ، الطريقة التى تدل على أن الطفل المولود حديثًا عضو من أعضاء الشعب العبرى أو اليهودى ، شعب اصطفاه الله لرسالة دينية عظيمة . وكان هذا الشعب يرى فى الختان عقدًا مع الله مطبوعًا فى الجلد ذاته . فكانت العادة ، خلال هذا الاحتفال الرسمى ، أن يعطى الولد اسمه . فكان الأهل والأصدقاء مدعوين لهذا حسب العرف المتبع للاحتفال بختان الطفل من جهة ، وبمثابة إعلان عن ولادته وتسميته من جهة أخرى .

(٥) مسيرة يقودها نجم

(متى ٢: ١ــ٢٣)



وقعت كل هذه الأحداث حول ولادة يسوع فى بيت لحم اليهودية فى عهد الملك هيرودس الكبير . لم يكن هيرودس من نسل يهودى . كان أجنبيًا ، وثنيًا . كان ابن شخص خان وطنه . وأمكنه هو أن يغتصب العرش بكثرة الدسائس ، ولم يحافظ عليه إلا بفضل دعم إمبراطور روما الذى كان هيرودس يتملقه بطريقة دنيئة .

وكان هوس الاضطهاد لشعبه يبقيه فى هذيان واقعى خلال سنوات حياته الأخيرة . كان يشعر أنه محاط بأعداء فى بلاطه . وكم كان يكتشف دسائس فيطيح برقاب الكثيرين فتتكدس الجثث . فبالطبع كان البلد كله ينفر منه والشعب يحلم بثورة ليقتله . ولكن ، حذار ! فنتيجة الثورة يكون الاحتلال الرومانى ، وبالتالى فقدان آخر ما تبقى للشعب من كرامة وطنية .





فى تلك الأيام وصلت إلى أورشليم قافلـــة مجوس منحدرين من بلاد الشرق . وقفوا فى وسط المدينة يسألون : « أين يوجد بلاط مسيح اليهود الذى وُلد حديثًا ؟ لأننا رأينا نجمه فى الشرق وأسرعنا لنقدم له هدايانا تعبيرًا عن إجلالنا وخضوعنـــا . والمجوس منجمون تخصصوا فى دراسة الأجرام السمائية ، أى أنهم يكشفون الطوالع حسب حالة ووضع الكـواكب والنجوم يوم ولادة طفل .

كان بعض المنجمين من اليهود يترقبون ظهور نجم المسيح المتنبأ به . وكانوا يعرفون أن بلعام اشتهر منذ أجيال عديدة بنبوة تعلن عن كوكب سيقوم من شعب إسرائيل ، وأنه سيظهر وإلٍ عظيم ... وفى كل مكان من عالم ذلك الزمن . كانوا يعتبرون النجم علامة إله أو ملك مؤله . كل شخصية مشهورة كان لها نجمها . وفى الواقع كانت جماعة يهودية تعيش فى الغربة فى شرق الأردن تمارس التنجيم . لاحظ مجوس من المشرق ، فى ليلة هادئة ، أن نجمًا جديدًا ، ظهر ، وأن وضعه فى حالة السماء يطابق تقديرهم الحسابى . فبالنسبة إليهم قد ولد المسيح ... ولكن أين ؟ ...

ليتحققوا الأمر ، قرروا أن يتوجهوا إلى أورشليم ، المدينة المقدسة . فأقدموا على هذا السفر الطويل ، وها هم فى شوارع المدينة يطرحون السؤال على جميع من يقابلون . **ذهل السكان ، لا أحد يعلم** . لكن المجوس يؤكدون قائلين :



نحن على يقين مما نقول ومن حساباتنا ، لأننا منجمون محترفون ، والنجم الجديد الذى يبرق نيرًا هو بلا شك نجم المسيح .

ينتشر الخبر فى أورشليم كلها ويصل إلى أذنى الملك هيرودس ...

ماذا ؟... هل حقًا ولد المسيح .. دون أن يعلم هو ذلك ؟

ولما كان مرتابًا ، تخيل أن الشعب اختار له منافسًا فى الخفاء .. فكان لابد له من أن يعمل بمهارة ودهاء ، ليكتشف هذه المؤامرة الجديدة ... كيف يكون تصرفى ؟... مسألة المسيح مسألة دينية بقدر ما هى سياسية ... **من يكون كفء لهذه المسألة إلا الأحبار والكتبة وسائر رجال الدين ؟ ولذا أرسل إليهم دعوات عاجلة . فحضروا إلى البلاط . يدخل هيرودس رأسًا فى صلب الموضوع** ، غيرأنه يتظاهر بأنه لا يعيره أهمية كبرى :

إنى أسمع الناس حولى يقولون إن المسيح قد ولد أو على وشك أن يولد . إذا كان هذا حدث فعلاً ، أو أنه سيحدث قريبًا ، لابد لى من أن أعرف .

كذلك أود أن تخبرونى **ما المعروف بالتأكيد** عن عائلته **عن ومكان ولادته ؟...**



هذا السؤال المطروح فجأة لم يربك هؤلاء العلماء . ولكن المقصود هنا أن هذا الحدث سِرِّى : فحسب الاعتقاد العام ، عندما يأتى المسيح ، لا يعرف أصله بالضبط ، وأنه سيقضى فترة فى بداية حياته دون أن تعرفه الجماهير ، ولكن ذات يوم ، سيظهر علانية : لأن إيليا النبى سيرجع إلى الأرض ويتوجه رسميًا ساكبًا على رأسه الزيت المقدس الذى يمسح به الملوك . هكذا قالوا : إلا أن كل ذلك غامض بعض الشىء ، ولكن الأكيد على كل حال ، أن جده هو الملك داود ، وأن المسيح يولد فى أسرة ذلك الملك . والمعروف أن داود من بيت لحم . فى هذا الصدد ، يوجد نص فى كتبهم المقدسة ، هو نص نبوة ميخا ، وبعد تبادل سريع للآراء ، أتوا بالمخطوط ، وقام أعلى العلماء مقامًا بالجواب على سؤال هيرودس :

سيولد في بيت لحم اليهودية . وها هو ما كتبه النبى :

« وأنت يابيت لحم ، أرض يهوذا ، لست الصغرى فى ولايات يهوذا : فمنك يخرج الذى يرعى شعبى إسرائيل ».

إطمأن هيرودس ورضى بهذا الجواب ، وسمح للعلماء بالانصراف . وشرع يفكر : فى بيت لحم ، هذه المدينة الصغيرة القريبة من بلاطه ، إنه لا يعرف أية أسرة نبيلة بها . أما عن نسل داود ، فليس بينهم من له أية أهمية ، أما سليله فهو من الطبقة الشعبية ، لا ينتبه إليه أحد . زد على ذلك أن كل حكايات التنجيم والنبوة هذه تتراءى له وهمية تمامًا ، فضلاً عن أن المقصود هنا هو طفل مولود حديثًا . ومن يصدق ذلك تسخر الناس به . ولكن هيرودس لا يزال راغبًا فى أن يرى هؤلاء الأجانب .

فاستدعى المجوس سرًا ، ودفعه شيء من الارتياب **أن يتحقق فى أى وقت ظهر النجم** . إن الحدث قريب العهد . لا يدور الأمر إذن إلا حول طفل . فلا داعى ليرسل حرسه فى إثر هؤلاء الذين يدّعون الرؤى .

وعليه ، فقد تظاهر بالمرح وحلاوة السجية **وقال لهم** بشيء من السخرية :

ها هو طريق بيت لحم . إذهبوا فجدّوا فى البحث عن الطفل ، وأخبرونى لأذهب أنا أيضًا أقدم له احتراماتى .

حال سماعهم هذه الأقوال الجميلة ، انصرفوا . وعندما مال النهار وظهر سواد الليل ، رأوا النجم ساطعًا ، هذا النجم الذى هو بالنسبة إليهم نجم المسيح حقًا .

فى بيت لحم ، مر شهران أو أكثر بعد أيام الإحصاء ، وكانت مريم وابنها قد تركا بالطبع من زمن طويل حظيرة المغارة ومكثا فى منزل أسرة يوسف . لم يكن من الصعب على المجوس أن يتعرفوا على ذلك المنزل ، نظرًا لأن ولادة يسوع فى ليلة النجم الجديد قد أثرت فى حياة السكان ، ولم يزل هؤلاء يتحدثون عنها .

عندما وصل المجوس إلى بيت لحم ، دخلوا المنزل ووجدوا الطفل وأمه . **حينئذ** اهتزت مشاعرهم وكانوا فى غاية الفرح ، **فركعوا أمام الذى يعرفون أنه ملك اليهود ، المدبر الذى يرعى شعب إسرائيل .**



اعتاد الناس فى الشرق ألا يزوروا شخصية كبيرة فارغى الأيدى : فتح المجوس أكياس السفر وأخرجوا منها بضع هدايا : ذهبًا ولبانًا ومرًا . ولعلهم قالوا أثناء تقديمها ما يعنى ذلك :

هذه القطع من الذهب ، نقدمها إلى الوليد من ذرية الملك داود ... وأمام المرسل من الله ، نحرق هذا البخور ذا الرائحة الطيبة ... وإلى الذى سوف يعرف ألم البشر نقدم إناء دهان المر هذا .

فى الليل ، تحت الخيم المنصوبة بقرب الجمال ، نامت قافلة المجوس . وفى صباح الغد ، عند التيقظ ، لاحظوا أنهم حلموا أثناء الليل أحلامًا غريبة ... هى بالأحرى كوابيس . قال أحدهم :

رأيت الملك هيرودس يطارد الطفل ليقتله !

أضاف آخر ..... وأنا أيضًا .

قبل انطلاقهم للرجوع أسرّوا إلى يوسف :

إحترس ... نحن نحذر من ملككم هيرودس ... هذا الطفل استثار شكوكه .. أما نحن ، فقد قررنا ألا نمر بأورشليم لنرجع إلى بلدنا . تأملنا فى الأحلام التى حلمناها ففهمنا أنها تنبيه من الله .

تمر الأيام وينفد صبر الملك هيرودس فى بلاطه : لم ترجع قافلة المنجمين « لاشك أنهم يخفون شخصًا من نسل الملك داود ليخلعونى عن عرشى »، قال الملك هذا فى نفسه . ولكنى سأقضى على هذه المؤامرة الجديدة فى مهدها مهما تكلف الأمر .





أتى برئيس شرطته ، ثم أمره قائلاً :

أسرع إلى بيت لحم مع حرسك . ابحث فى المدينة وسائر أراضيها من الصبيان من ابن سنتين فما دون ، ولا تُبقِ على أحد منهم حيًا !

إنه يبالغ فى تحديد السن القصوى إلى سنتين . ولكن هذا لا يهمه ، يريد قبل كل شىء أن يحتفظ تمامًا بتاجه الملكى . سوف يشترى الطاغى طمأنينته بألم مبرّح لحوالى عُشر الأمهات ممن ينكبن بوحشية فى أطفالهن الأبرياء الذين لا يزلن يرضعنهم .

ولكن فى اللّيلة السابقة أيقظ يوسف مريم :

أوحى إلى فى رؤيا أن الطفل ليس فى أمان . سوف يحاول الملك هيرودس قتله ... فلنهرب به فى الحال ... سنجتاز حدود بلدنا فى اتجاه مصر .



اغترب يوسف ومريم والطفل يسوع ، وسوف يحيون مدة سنة أو سنتين حياة « الرُحَّل » . من المحتمل أن يكون يوسف ومريم قد وجدا ترحيبًا وعملاً فى إحدى جماعات اليهود فى مكان ما . **ومكثا هناك حتى وفاة الملك هيرودس . ثم قرر يوسف أن يرجع إلى بلده ويسكن فى قرية الناصرة .**

إن زيارة المنجمين الشرقيين إلى مهد يسوع ، التى لها أساس تاريخى أكيد رويت على طريقة قصة عجيبة تذكرنا بقصة موسى محرر شعب إسرائيل . فكما أن موسى ، فى طفولته ، كان ، موضع بحث شرطة فرعون مصر ، ونجا من الموت فى سفط من البردى فى مياه النيل ... هكذا يسوع ، محرر ، ومخلص شعب الله ، كان موضع بحث شرطة الملك هيرودس ، ونجا من مضطهديه .

بعد وفاة الملك هيرودس الكبير ، قسمت مملكته بين أولاده الثلاثة الأحياء : فيلبس ، وهيرودس أنتيباس الذى حصل على إقليم الجليل ، حيث تقع بيت لحم ، وأرخيلاوس الذى تسلم إقليمى السامرة واليهودية مع أورشليم العاصمة . ولكنه أساء إلى الشعب ، إلى حد أن اليهود ناشدوا روما لنجدتهم . وكانت هذه فرصة استغلها الإمبراطور حتى يرسل جيشه إلى أورشليم فى السنة السادسة من تاريخنا ويعلن اليهودية إقليمًا رومانيًا . ومنذ ذلك الوقت لم يوجد ملك مَحَلِّى ، بل والٍ رومانى يعينه الإمبراطور الذى سوف يوجه مصير شعوب أورشليم .

(٦) أسرة صنّاع فى ناصرة الجليل

(لوقا ٢: ٤٠)

الناصرة قرية صغيرة يقيم فيها بضع مئات أو ألف ساكن ، قائمة على ر القوافل ، وكانت فى ذلك العصر محطة إرواء ، وثروتها هى بئرٌ ، ماؤها دائم وعذب . ولكن الشجار كان مألوفًا حول النبع ، والسكان ، المضطرون أن يساوموا لاحتكار هذا الماء الثمين — ولعله شحيح بعض الشىء — يشتهرون بأنهم مشاجرون . يقال : « سريع الغضب مثل الناصرى ».

السكان ريفيون ، ويعيشون من تربية الدواجن ، وزرع القمح والكرم ، وجنى الزيتون والتين .. الخ

يوسف صانع : نجار القرية . يعمل فى الخشب والحديد . وتقوم مهنته على شذب عوارض لسقوف البيوت المسطحة ، وعلى صناعة أبواب وصناديق قروية ، وعلى إصلاح مقاطع المحاريث ودواليب (عجلات) العربات ، وتسوير الحقول وحظائر الخراف ... يوجد مشغله فى الفناء المشترك لعدة منازل أو هو مفتوح للجميع فى شارع من شوارع القرية .

أما مسكنه فيشبه كل المساكن الأخرى ، المكونة عادة من قاعتين : الأولى على مستوى الفناء ، تصلح فى آن واحد كمطبخ وغرفة طعام وإسطبل للحمار ، للعنزة أو الخروف . تحتوى على موقد من فخار ، ونول وإناء للتمليح ، وأوعية كبيرة من حجر يحفظ فيها القمح والفواكه المجففة ، وجرار

للزيت والماء والخمر ، وطاحون لطحن الحبوب وقدر وأطباق للعجين . وتعلق على الجدران قِربٌ من جلد الماعز وسلال . فى التجاويف وعلى الرفوف ترتب قناديل زيت .

فى القاعة الثانية ، التى تصلح كغرفة للنوم ، توجد صناديق وخزائن ترتب فيها الملابس والأشياء النفيسة . أخيرًا تطوى على جانب من جوانب الغرفة حُصر ملوّنة تبسط ليلاً فى وسط الغرفة للنوم . وفى الصيف تنقل إلى سقف المنزل المسطّح الذى يوصل إليه من الخارج سلّم من حجر ، يستند إلى الجدار ، ويكون إذن النوم فى العراء .

مريم ، مِثل كل نساء الناصرة ، تهتم بأعمال المنزل ، وتذهب أحيانًا للعمل فى الحقول . وترتدى زىّ بلدها وعصرها ، أى أنها تلبس فستانًا طويلاً ملونًا ، مزينًا بشرائط ومطرزًا على الصدر .. وعلى رأسها غطاء ترده إلى الوراء ، يغطى بعضًا من شعرها ، الذى تعقصه بقلانس من نحاس . وفى الرجلين صنادل بنعال من خشب . ولا شك أن النساء تعرف الأزياء المطابقة لذوق العصر ، هناك من تصبغ شعرها ، وتلبس عصائب ونجومًا من ذهب أو فضة ، وأخمرة مخرّمة وأكياس عطر صغيرة فى ثنايا الثياب ومكاسر الأحذية . ولكن مريم كانت امرأة من الشعب فى غاية البساطة والرزانة ، لكنها لم تهمل شيئًا حتى يكون هندامها لائقًا وظريفًا .

ويسوع هنا بالقرب منها ، طفل يتعلق بفستانها أثناء شغلها . ولد صغير ، يقظ ، يكبر قريبًا من أمه ، ملاحظًا وراغبًا فى الاطلاع على أصغر أعمالها وحركاتها . وحداثته لا تمنعه من أن يكتشف العالم . ينظر إلى أمه وهى تطحن الحَب فى طاحونة مكونة من حجرين يتشابكان بمفصل ، وتخلط الخميرة بالعجين وتسخن فرن الصلصال . يتابع يسوع بالنظر حركة الخيط الذى يلتف حول المغزل والذى تنسجه مريم بعدئذ على النول . ويرافق أمه إلى بئر القرية : فها هى مريم تحمل الجرّة على رأسها وهو يدرج إلى جانبها .

هناك يقابل أهل القرية بعضهم بعضًا ويتحدثون عن أحداث اليوم : تأخذ الثرثرة مجراها . ويصعب على مريم أن تشترك فى لغط البلدة ، لأنه نادرًا ما يخلو الكلام من خطأ . وكان أغلب الناس يعجبون بمريم ويوسف ، جيرانهما ،

لأنهما دائمًا فى غاية البساطة والابتسام والاستعداد لخدمة الآخرين ، وفى وفاق مع الجميع . ولكن بعض ألسّنة السوء كانت تتكلم على هذه العائلة : يالها من عائلة غريبة الأطوار !... فى الواقع ، ما الذى أجبرهم على السفر إلى مصر ؟... فى الحقيقة ، كان وفاقهما التام يكدر البعض . فالناس يحسدون هذين الزوجين المتحدين ، وهذا الولد الصغير الذى يظهر كامل النباهة واللطف والانفتاح . وكان البعض يندد بهم ليحطوا من قيمتهم فى اعتبار الآخرين ... ألم تظهر الأم ميالة إلى عبادة ابنها ؟ ألعله ابن ملك ؟ فليس أبوه إلا صانعًا ، نجار القرية !...

يملك يوسف قطعة أرض صغيرة على الرابية . يذهب لزراعتها فى ساعات فراغه من عمل المشغل . ولما كبر يسوع ، كان يراقبه ، ويقود النعاج والمعيز إلى الحقل ، وكان يرافق يوسف عندما يحرث ويبذر ، يزرع ويحرق الأعشاب الضارة . يقطف لأمه باقة من شقائق النعمان وزنابق برية ، ويحمل إلى المنزل عنبًا وتينًا .

حقًا إن يسوع صبى مثل سائر الصبيان . تفتح للحياة شيئًا فشيئًا . أخذت أمه بيده ليخطو خطواته الأولى ، وعندما تركته لذاته وفتحت أمامه ذراعيها على بعد أمتار قليلة ، كم كان متحمسًا ليرتمى فى أحضانها ، مندهشًا وفخورًا بأنه مشى وحده للمرة الأولى . واضطرت أيضًا أن تلقنه كيف يستبدل تمتمته بمقاطع صوتية ، وكم كان حبها واحترامها عندما حاولت أن تجعله يلفظ للمرة الأولى اسم أبيه الحقيقى : « الله » ... وكان يسوع فى الغالب يشابه أمه كل المشابهة .

بحيث أن يسوع **فى الناصرة كان ينمو ويقوى ويتفتح عقله** . كان يتردد إلى كتّاب القرية ، يجلس على حُصر مجدولة ، ويتعلم القراءة فى الكتب المقدسة . وكانت هذه النصوص مكتوبة على جلود خراف منزوعة الشعر ومدبوغة ، مخوطة بعضها ببعض وملفوفة حول عصا مزخرفة . أما للكتابة والحساب . فكان يسوع يستعمل مسمارا مدببًا ويحفر به الحروف والأرقام على لوحات مغطاة بشمع يضعها على ركبتيه .

فى الشوارع وفى ساحة البلدة ، كان يسوع يلعب مع الأولاد الذين من

سنه ألعاب الغميضة والملاحقة والتقافز والحجلة ، وفى أيام الأعياد يشارك فى مباريات طائرة الورق ، ورمى القوس ، وسباق على ظهر بغل أو حمار .

فى سن المراهقة ، لم يكن يسوع متدربًا ليعمل فى مشغل يوسف فحسب ، بل يقوم بالمشاوير ويخرج على ظهر حمار ليسلم الطلبيّات . وهو أيضًا تلميذ شاب يتلقن دروس الديانة واللغات . وحقًا ، فى القرية الأكثر وضاعة ، كما هى الحال فى المدن ، يوجد شباب يهتمون بالتوسع فى معرفتهم للشريعة الدينية وتاريخ شعبهم منذ بدايته مع أشهر أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب حتى عصرهم ، غير ناسين موسى وداود وسليمان وجميع الأنبياء .

وخارج دروس القراءة والكتابة والحساب والأخلاق والتاريخ ، التى يلقنها « الخزان » خفير المعبد ، والذى يقوم بوظيفة مدرس عام ، فيثقف العقل فى الثرثرة والمناقشات والمشاجرات المعتادة التى لا نهاية لها فى هذه البلاد ، والتى تحدث فى ساحة القرية . ويتعلم الناس هناك الحكم على وقائع اليوم والأحداث القومية .

وكانت لغتهم الأرامية . عندما يطالع يسوع الكتب المقدسة ، يتعلم أيضًا العبرية لغة معظم أسفار العهد القديم ، وفضلاً عن ذلك كان يحسن ويفيد أن يعرف الناس شيئًا من اللغتين اليونانية واللاتينية ، وهى لغات المحتلين .

ولكن ، كما يُرى البعض موهوبين بطريقة باهرة فى الرياضيات أو الموسيقى أو الرسم ، كان يسوع نابغة فى الميدان الدينى . كم من أسئلة كان يطرحها بمناسبة القراءات والصلوات التى تقام فى المعبد !

يعم الحياة اليومية فى الأسر الورعة صبغة دينية ، تواكبها ممارسات طقسية . تقام الصلاة فى العائلة مرتين فى اليوم ، ويقودها يوسف ، رب العائلة : يأخذ فى علبة صغيرة مثبتة على الحائط قرب باب المنزل لفة رقّ ، ويتلو صلاة الصباح والمساء التى تبدأ بالكلمات الآتية : « الرب إلهنا إله واحد . عليك أن تحبه من كل قلبك ومن كل نفسك وبكل قواك ».

كل أسبوع يكرس يوم السبت لله . منذ مساء الجمعة ، عند غروب الشمس يسمع بوق القرية معلنًا قرب حلول السبت . لابد من إنهاء العمل

وشغل البيت بسرعة ، لأن ، ساعة بعد ذلك ، ودقة بوق ثانية تدل على بداية السبت . منذ ذلك الوقت ، يلمع لزامًا مصباح السبت فى كل منزل فتشعل مريم مصباح الزيت الصغير الذى يشير فى المنزل إلى أن هذا اليوم هو حقًا يوم الرب ، يوم نور وفرح . لا يسمح بعد بالطبخ لمدة أربع وعشرين ساعة . تكون قد حفظت فى الفرن الأطعمة التى أعدت يوم الجمعة ليطعموها يوم السبت .

فى ذلك اليوم ، يذهب الشعب إلى المجمع الذى يعتبر معبد القرية . شرعًا ، لا يوجد مكان للعبادة إلا هيكل أورشليم ، ولكن ، بسبب بعده ، يسمح بوجود مكان اجتماع فى كل قرية للصلاة العامة والتعليم الدينى للشعب .

المجمع هو البناية الكبيرة فى القرية . فى وسط قاعة واسعة ، مربعة ، يُرى مقرأ موضوع على منصة يصعد إليها القارىء ووعاظ اليوم ، ويجلس أعيان القرية بغطرسة فى المقاعد حول المقرأ . فى مؤخرة القاعة ، يوجد صندوق كبير يحوى لفائف الرق التى فيها النصوص المقدسة ـــ تذهب العائلات إلى المجمع . وحال دخول كل فرد ، يغسل يديه فى طست كبير . ثم يوسف ويسوع ـــ عندما تسمح له سنه ـــ يجلسان على المقاعد المحجوزة للرجال . وتجد مريم محلها بين صفوف النساء . عندئذ يرنمون بعض تراتيل . ثم يقوم كاهن أو مدرس دين أو رجل عادى يحسن القراءة ، ليقرأ ويفسر مقطعًا من شريعة موسى أو من المؤلفين الدينيين المشهورين . وإذا وجد مدرس دين ، يمكنه أن يعظ ، وإن كان بينهم كاهن ، يبارك الحفل . بعده يرجع الحاضرون إلى منازلهم ـــ واعتادوا أن يزوروا الأهل بعد الظهر ، شرط أن طريق الزيارة لا يكون طويلاً ، لأن السير الطويل محرّم فى ذلك اليوم .

هكذا تمضى الحياة فى الناصرة ، ولا حادث يحدث فينغص حياة يوسف ومريم العائلية ... إلى أن حجّا مضطرين إلى أورشليم ، حيث حدث للأبوين ما سبّب لهما هزة نفسية كبيرة .

(٧) الصبى يكبر ويتقدم فى الحكمة والقامة

(لوقا ٢: ٤١ــ٥٢)



« وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح ». فى سنة ما انضموا إلى قافلة طويلة مرّت بالناصرة . وكان الحج إلى أورشليم ، يدوم حوالى أسبوع ، وكان عليهم أن يمروا بعدد لا بأس به من المحطّات .

كل شاب يصل إلى سن البلوغ يخضع بموجب الشريعة الدينية لواجب الحج السنوى . فى سن الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة من عمره ، يعتبر المراهق اليهودى فى فلسطين قد وصل إلى نمو شاب له من العمر بين خمس عشرة وثمانى عشرة فى أغلب البلاد الأخرى . منذ سن الرشد ، يحمل يسوع العلامة المميزة لأعضاء الشعب الذى اختاره الله . خصلة من ضفائر الصوف الأزرق تُعلّق فى ثوبه . حوالى سنّ الثانية عشرة تفرض عليه الشريعة أن يذهب ليشترك فى حفلة ويقدّم ذبيحة فى هيكل أورشليم مرة فى السنة . نزيد على ذلك أنه ابتداء من تلك السن يجتاز الشبان الموهوبين نوعًا من الإمتحان فى معارفهم الدينية . ويمكنهم بعد ذلك ، إذا كانوا من الناجحين ، أن يأخذوا لفائف الكتب المقدسة ويقوموا بقراءة النصوص المقدسة علنًا فى مجمع مدينتهم أو قريتهم . ولهذا أهمية لا بأس بها نظرًا إلى أنه فى قرية صغيرة لا يسمح بعقد اجتماع للصلاة إذا قل الحضور عن عشرة رجال . وفى هذه الحال يسمح لشاب حامل شهادة أن يحل محل رجل بالغ .



في تلك السنة إذن ، جريًا على العادة المتبعة ، اشترك يسوع ، الذى وصل إلى سن الثانية عشرة ، مع والده فى الحج السنوى بمناسبة أعياد الفصح . وما كان أعظم تأثره عند حضوره فى هيكل أورشليم ، بيت أبيه السماوى ... ولكن فى الجمهور الغفير بما يقرب من مائة أو مائتى ألف حاج جلبهم عيد الفصح ، سريعًا ما ينفصل أعضاء الأسرة الواحدة عن بعضهم . المهم أن تحدد أماكن المواعيد ، ولو للاشتراك فى أكلة الفصح ، أعظم أكلة فى السنة احتفالاً وتقديسًا . أثناء فترة الحج ، تمكن يسوع ، وقد أتم الثانية عشرة من عمره ، أن يتصرف بشىء من الحرية . ولا داعى أن يكون أبواه قلقين بشأنه إذا ترك المدينة قبلهما أو بعدهما للعودة بصحبة أصدقاء أو رفاق . سوف يجده أبواه فى صف القافلة الطويل أو مساء فى مخيم المرحلة الأولى .



في نهاية الحج ، بينما يوسف ومريم كانا على طريق العودة ، بقى يسوع في أورشليم ، مهتمًا بحلقات الدرس التي تقام في القاعات الملاصقة للأروقة ذوات الأعمدة التي تحفّ بميدان الهيكل ، حيث يُعطى أشهر الحاخامات محاضرات ، أو يضعون أنفسهم تحت تصرف الحجاج لإيضاح بعض الأمور عن الشريعة الدينية أو حل مشاكل ضميرية . ولكن في الغالب ، وبصورة أكثر تأكيدًا ، لأن يسوع ، الذي أدرك نضجه المبكر وأراد أن يثبت شخصيته إزاء والديه وسكان الناصرة ، قد قرر أن يؤدي امتحانًا في المعارف الدينية .

على كل حال لاحظ الكتبة وعلماء الشريعة أنه يتميز بذكاء نادر . فأدهشهم وأثار إعجابهم عندما سمعوه يتكلم ويطرح أسئلة ويجيب على استفهامات ، بنباهة فائقة وحس ديني عن موضوعات صعبة جدًا بالنسبة إلى سنّه .

غير أنه على طريق العودة ، في المرحلة الأولى ، أخذ يوسف ومريم يبحثان عنه عند الأقارب والمعارف ، لكن بدون جدوى ، ولأنهما لم يجداه ، رجعا على أعقابهما ولم يزالا يبحثان عنه ، ويسألان كل أرهاط الحجاج الذين



يقابلانهم . **وها هما رجعا إلى أورشليم** ... من السهل أن نتصور اضطرابهما : ماذا حصل ليسوع ؟... كيف نعثر عليه وسط هذه الجماهير الغفيرة ؟ ثم مروا ثانية بمنزل الأصدقاء الذين رحبوا بهم لتناول أكلة الفصح ، وبالحوانيت التى اشتروا منها بعض الحاجات ، ولكن عبثًا .

فى ثالث يوم من بحثهم ، طرأت لهما فكرة أن يمرا بمدارس الكتبة الكبيرة حيث تجرى الإمتحانات فى المعارف الدينية ، **داخل أفنية الهيكل . وفى الواقع ، وجداه هناك** ... فذهلا **ولم يفهما قط** . كيف ؟... **هما يبحثان عنه بقلق وهو يظهر أنه لم يبال بهما** ... هو من جهته لا يبحث عنهما ، ولا يبدو أنه لاحظ أنه منذ ثلاثة أيام لم يطمئن لهما بال !... هل يعتقد أنه لا يحتاج بعد إليهما ؟... لاشك أن أحدًا قد أثّر فى أفكاره وغيّرها ...

فى مثل هذه الظروف يمر الأبوان بوقت من الأوقات القاسية التى تمر بها جميع العائلات ، عندما يشعر الوالدان أن ولدهما قد كبر ، وأصبح يعبر بطريقة عنيفة بعض الشيء ، عن رغباته الأولى فى التحرر . يأتى دائمًا وقت ، يتذمر فيه الشاب عندما يحس أن أبويه يريدان أن يبقياه فى طاعة الطفولة ويخشيان أن يرياه يؤكد شخصيته رغم أن هذا أمر طبيعى .

ماذا ؟... ينتهز فرصة حج ليبتعد عن أبويه ويهرب !... **فقدت مريم رباطة جأشها** : فلم يسعها إلا أن تقول :

« يابنى ، لم صنعت بنا ذلك ؟ فأنا وأبوك كنا نبحث عنك فى كل مكان متلهفين ، ولم يطمئن لنا بال .

أما يسوع ، فلم يعتذر ولم يطلب المغفرة عما فعله ، فقد اعتبره ضميريًا أن له الحق فى عمله . **فجاوبهما بإجابة لم يفهماها ، فقد قال لهما :**

« ولِمَ بحثتما عنى ، ألم تعلما أنه يجب علىّ أن أهتم بما يخص أبى !؟»

هـذه العبـارة مهمة جدًا ، لأنها الأولى التى نعرف أنه لفظها .. مريم أمه لفتت نظره من لحظة إلى أنها وأباه كانا يبحثان عنه . ولكن فى حالـة يسوع يوجد أب



وآب . يوسف أبوه بالتبنى ، ولكن أباه الحقيقى هو الله ، والهيكل الذى هو فيه ، هو بيت الله ، بيت أبيه. وعلى أبويه أن يفهما ، أنه يخضع لسلطة أخرى غير سلطتهما : هى سلطة أبيه السماوى





تبع يسوع أبويه واتخذوا معًا طريق الناصرة ... ولكن شيئًا ما قد تغير ... غالبًا ما يحصل شىء مفاجىء فى حياة أسرة : هو مفاجأة الله ... **وكانت مريم تحفظ ذكرى هذا الحادث فى قلبها ولا تزال تتأمله** : لم تكن قد اكتشفت تمامًا من هو يسوع ابنها ... وفى يوم من الأيام ــ هى ويوسف ــ سيدركان جيدًا أن يسوع يتركهما ، لأنه يضع ذاته تحت إمرة أبيه .

ولكن ، فى الناصرة ، يتصرف يسوع كابن مطيع لأبويه . كل سكان القرية الذين يرونه يكبر ، يلاحظون أنه يحرز تقدمًا محسوسًا . سيصبح عما قريب رجلاً ناضجًا . يساعد يوسف كزميل حقيقى . لسوف يراه والداه وهو يعود إلى المنزل متصببًا عرقًا ومنهوك القوى من جراء المجهود الذى بذله خلال نهار شاق من العمل . لابد له أن يرضى زبائن متعين إرضاؤهم . ومثل الجميع ، عليه أن يأتى بأجره ليضمن الخبز اليومى .

لقد توفى يوسف فى الغالب فى السنوات التالية ، لأننا لم نسمع عنه بعد ذلك . فالمرض والموت لم يهملا هذا البيت فى الناصرة . ولاحظ يسوع اشتداد المرض على يوسف وآلام شخصه المحبوب : لقد حزنت الأسرة لفقدان عائلها .

والآن ، يسوع وحده فى المشغل ، يتابع مهمة نجار القرية القاسية لحسابه وحساب مريم أمه . إلى اليوم الذى علم فيه أن الناس يتحدثون عن يوحنا المعمدان ، فأغلق مشغله ، وذهب لملاقاته على ضفاف الأردن .

إننا قابلناه هناك فى الصفحات الأولى من هذا الكتاب ... ونعلم الآن من هو ... وسوف تبدأ رسالته .



الفصل الثانى

فى الجليل « بلد الأمم »

(١) يوحنا المعمدان يقدم إلى العالم يسوع الناصرى « المسيح المنتظر »



(يوحنا ١: ٢٩—٥٠)

فى بيت عنيا ، بين جميع الذين يأتون باطّراد ليسمعوا كلام يوحنا المعمدان الملتهب ، أنشئت جماعة تلاميذ صغيرة . يوجه النبى إلى هؤلاء حديثه السرى .

فى غد اليوم الذى طلب منه يسوع أن يعمده ، رأى يوحنا المعمدان يسوع آتيًا نحوه .

فقال لاثنين من تلاميذه : « **انظرا . أتريا هذا الرجل ... هوذا « حمل الله » الذى يحمل خطية العالم . أؤكد لكم أن هذا الرجل هو المسيح المنتظر** ».

ولم يكن فى حاجة لأكثر من ذلك .... ففى الحال **أخذ تلميذا يوحنا المعمدان يتبعان يسوع** ، بشىء من الهيبة **فى بداية الأمر** ، ولكنهما فخوران أيضًا . لأنهما كانا الأولين الذين عرفا المسيح . ما أشد ما كان احترامهما فى سيرهما وراءه ، عن بعد . هل سيسترعيان انتباه هذا الشخص المجهول المكتنف بالأسرار ؟... هما أفراد بسطاء من الشعب . مهمتهما الصيد ، ومن لباسهما الجلدى تفوح رائحة السمك . لا يجرؤان من تلقاء نفسيهما على الإقتراب منه .

فالتفت يسوع وراءه فرآهما يتبعانه .

« ماذا تريدان » ؟

وفى ارتباكهما ، تمتما :

يامعلم ، أين تقيم ؟.. نود أن نتحدث معك .

« هلما فانظرا !»

وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر تقريبًا . فمشيا مع يسوع وقضيا المساء

معه .

لنتخيل قليلاً الحديث ! يقدم يسوع ذاته : هو صانع من الناصرة فى الجليل ... المكان قريب جدًا من عندنا ! هما الاثنان من بيت صيدا ، على شاطىء بحيرة الجليل . أندراوس احترف الصيد ، ويوحنا (الذى يشارك فى الاسم نبى الأردن) صديق أندراوس ، لا يزال شابًا ، وقلبه المضطرم ، الذى يكاد ينفتح للحب ، مستعد ليهتز لأكثر الدواعى نبلاً ... يتكلم يسوع على رسالته ، ولكنه لم يرد أن يحطم أحلامهم الوطنية التى تهدف إلى الاستقلال القومى . ما فائدة ذلك فى أول لقاء ؟... إن للزمن عملاً . المهم هو أن يكتسب فى البدء ثقتهما ومحبتهما .

تحمس أندراوس لما سمع ورأى . فذهب على الفور يبلغ أخاه سمعان :

« يوحنا المعمدان دلّنا على المسيح ... وقد أمضينا بضع ساعات معه ... لابد لك أن تعرفه ... هلم ، أصحبك إليه .

ذهب سمعان للقاء يسوع ، وكان يسوع خبيرًا فى معرفة الرجال ، فتأمله جيدًا ، ووضع يده على كتفه ، وقال له :

أنت سمعان بن يونا ... من اليوم ستدعى كيفا ، أى الصخر ، لأنى أود أن يكون إيمانك صلبًا كالصخر .



إن تغيير اسم شخص إلى اسم آخر يناسب ويعبر بشكل أفضل عن حالته الحاضرة يحقق غالبًا توجهًا جديدًا ، ويشير إلى أسلوب جديد لحياة الشخص ، وكأنه أصبح شخصًا جديدًا .

وسمعان ، الذى يرأس مجموعة صغيرة من الصيادين على بحيرة الجليل الكبيرة ، فخور جدًا بهذه الثقة : قد يعتبر هذا التغيير ترقية : إن أفقًا جديدًا يُفتح أمامه ، كأنه يقود مركبة إلى عرض المحيط ، لا إلى البحيرة .

وأزمع يسوع فى الغد أن يترك ناحية الأردن ليذهب إلى الجليل . على

الطريق ، أندراوس ويوحنا وسمعان يلاقون شخصًا يدعى فيلبس . بقليل من الكلام يطلعونه على اختيارهم وأنهم قرروا أن يتبعوا يسوع .

إننا نقدم لك فيلبس الذى من بيت صيدا مثلنا . نعرفه حق المعرفة . هو صديقنا ورجل أمين .

دعا يسوع فيلبس أن ينضم إليهم . ولبّى فيلبس هذه الدعوة .

وبدوره ، فكر فيلبس أن له صديقًا حميمًا ، يدعى برتلوماوس (نثنائيل) ، وهو من قانا ، قرية صغيرة قريبة من الناصرة . فأسرع فيلبس ليأتى به ووجده تحت تينة ، لعله سمح لنفسه بقيلولة فى ساعة حر شديد .

ياصاح ، تخيل !... **قد جاء المسيح . قد قابلناه والآن نعرفه ...**

انتصب نثنائيل بقفزة :

من ؟... المسيح الذى ينتظره الجميع وتكلم عنه موسى والأنبياء ... هل هذا ممكن ؟... ومن هو ... أين هو ؟...

هو يسوع ، ابن شخص يدعى يوسف من الناصرة .

عندئذ ، انفجر نثنائيل بضحكة رنانة :

يالها من قصة مضحكة !... أنت ساذج ياصديقى فيلبس !... **المسيح** ... **يخرج من الناصرة** ؟... دعنى أضحك ... من الناصرة ، هذه البلدة المنعزلة ، الحقيرة . **أيخرج من الناصرة شىء صالح** ؟.... سوى أناس لا قيمة لهم .

الواقع أن نثنائيل يسكن قانا فى ضواحى الناصرة ، ويعرف سمعة أهل هذه القرية : إنهم نمامون ، كثيرو العراك والمنازعات .

ولكن فيلبس يلح :

هلم فانظر ... سوف تتحقق بنفسك ...

إذن ، هلم فلنذهب ، حتى نرى مسيحك المشهور ... إنها فرصة لنتسلى ونضحك !

عندما رأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه قال بابتسامة عريضة مرحبة :

هذا على الأقل إنسان صريح لا نفاق فيه ، يقول بلا خوف ما يفكر فيه فى قرارة القلب ... **هذا إسرائيلى حق !...**

ولكن كيف أمكنك أن تعرف من أنا ؟

كنت تحت تينة عندما ذهب فيلبس ليأتى بك إلى ههنا ؟ إذن رأيتك عندئذ وسمعت رأيك فى سكان الناصرة .

هذا عجيب !... أن يرى ويسمع هكذا عن بعد !... **أنت حقًا المسيح المنتظر ، المرسل من الله ، وغدًا تكون ملك إسرائيل ... إنى أؤمن بذلك .**

آآمنت لأنى قلت لك : « رأيتك تحت التينة »... سترى أعظم من هذا بكثير . فلم تنته المفاجآت بالنسبة لك .

الآن رفاق يسوع الجدد ، على يقين أنهم وجدوا المسيح ... رجل الله الذى يرى عن بعد ويقرأ ما فى قلب كل شخص ... ولكن متى سيترأس حركة الثورة لطرد الرومان الذين يحتلون البلد ؟... هو لا يتكلم عن هذا ... لعل الأمر لم ينضج بعد ... الآن يضعون ثقتهم فيه .

نثنائيل من قانا ... فى هذه الأيام يقام عرس كبير هناك . كل القرية فى عيد ... يجذب نثنائيل يسوع ورفاقه إلى قانا .



(٢) خمر جديدة فى عرس قانا الجليل

(يوحنا ٢: ١ــ١٢)

يقام عرس فى قانا الجليل .

لاشك أن عرسا فى قرية حادث كبير ! عشية العرس ، صحب موكب المشاعل الزوجة مزينة إلى منزل عريسها وبدأت حفلات الإبتهاج . وقد يدوم هذا أسبوعًا تتوقف خلاله القرية عن عملها . إن الرجل الشعبى نادرًا ما يرفه عن نفسه . ولكن يوم زواجه هو اليوم الذى لاينسى من أيام حياته ، ويقوم فيه بدور الرجل الغنى . إنه عادة يكتفى بقليل من خبز الشعير مع التين ، والبيض المسلوق وقليل من السمك ، ويأكل اللحم أيام العيد فقط . أما عند زواجه يريد أن يكثر كل شيء ويفيض . ولابد أيضًا من الفرح والمرح : الموسيقيون والراقصون يستمرون فى عملهم طيلة أيام العرس . فمنذ أشهر ، والعائلتان فى أهبة العرس . جمعوا كل ما يلزم للحفل : الخراف والدواجن ، والفواكه الجافة من كل الأنواع ، وقِرَبِ الخمر المشهورة الخ . غالبا ما يوجد مائة مدعو . وعلى كلّ فالفناء حيث يقام العرس مفتوح للجميع : يمكن لأهل القرية دخوله والخروج منه بكل حرية ، وحتى المسافرون المارون بالقرية .

أرسلت الدعوات ، **ومريم ، أم يسوع ، من بين المدعوين** : هى من المحتمل قريبة قرابة بعيدة : فالناصرة على بضعة كيلومترات من قانا .

عينت أسرة العريس مسؤولاً عن العرس : يلعب دور رئيس خدم المائدة . سلّمه الأهل مؤن العرس ، والمدعوون سلموه هداياهم ، وعليه أن يتصرف بذلك كله . يرتب قائمة طعام كل وجبة ، ويحدد أوقات الألعاب ووسائل اللهو وينتقل إلى كل مكان : فى المطبخ ، وبقرب الموسيقيين ، فى قاعة الوليمة ... ويضع كل همه فى إطالة وقت العرس قدر المستطاع . وبفضله يمكن للزوجين أن يُخليا بالهما من كل همّ ، وأن يكرسا كل وقتهما فى ترأس حفلات الابتهاج .

فالطبخ عمل النساء . أثناء مدة العرس يقتضى الأدب وحسن المظهر بأن تظل النساء على حدة بخارج الوجبات . لاشك أن مريم مشغولة مع الخدم

فى تحضير الوجبات . ولها الآن من السن ٤٥ أو ٥٠ سنة . هى إذن سيدة محترمة لها سلطة على صغار الخدم . وقد رأت أنه من الأفضل ألا تتنصل من تلبية الدعوة إلى العرس . رغم أنها تعرف أن الناس يتحدثون عنها : لأنه قد راجت الإشاعة ههنا أن يوحنا المعمدان ، نبى الأردن ، قد دل على ابنها يسوع أنه المسيح .. أجل ، إن الأقارب قد أومأوا برأسهم بابتسامة تكشف عن نواياهم ، ولكن بالرغم من ذلك حضرت مريم . لا تكنّ أى ازدراء أو أنفة وغطرسة ، ولا تتكلم البتة عن ابنها . لكنها حاضرة هنا ، فى العرس ، مثل باقى نساء الشعب ، دائمًا فى الخدمة ، مهتمة بنجاح الحفل .



يسوع ورفاقه يصلون إلى قانا ثالث أو رابع يوم من أيام العرس . وخبر مجيئه ينتشر بسرعة عجيبة . **يدعونه هو ورفاقه** ... ها هو نثنائيل مع أصدقائه ! ومنظم الحفل يخف إليهم :

أهلاً وسهلاً بكم !... أقدم نفسى : أنا المسؤول عن الحفل ... تقدموا ، سأعطيكم أمكنة على المائدة ... أنت يايسوع ، قد تعد من العائلة بما أن والدتك مريم هنا .

كل المدعوين متشوقون إلى رؤية يسوع : إذن ، قد يكون هو ؟ أيمكن هذا !... يتدافع الناس فى الفناء .

بدأ منظم الحفل يرتعب . من الظريف أن يقبل هكذا أحد الأقرباء المشهورين ، ولكن الزوجين الحديثين لا يخامرهما شك فى أنهما يضعان المسئول فى حيرة مريرة . من المحال أن يجد شيئًا يقدمه إلى الضيوف الجدد . لابد من خمر . والحال **أن الخمر قد شحّت فى العرس ، بل بالأحرى قد نفدت** .



رغم أن **مريم** سعيدة جدا لاستقبال ابنها ، لا تنسى مع ذلك تفاصيل الخدمة . تستشف همّ منظم الحفل . هى على علم . تعرف أن المؤن قد نفدت . **فيمكنها أن تقترب من ابنها وتسر إليه بكلمة :**

« **لم تبق عندهم خمر** »، وقد ينتهى الحفل بكآبة .

ليس يسوع بعد الصبى أو الصانع فى الناصرة . هو الآن « النبى » الذى يركز كل الاهتمام على مهنته . والساعة غير مناسبة على ما يظهر ، لأن يلفت أحد نظره إلى تفاصيل من هذا القبيل :



فأجاب يسوع أمه : « **لا دخل لنا فى ذلك ... ولكن ، فى الواقع لم تأت ساعتى ؟**» الساعة التى أكشف فيها عن حقيقتى وأباشر رسالتى .

رجعت مريم إلى المطبخ...

هى على يقين الآن أن يسوع سيخلصهم من ورطتهم . كيف ؟... هذا سره .

فقالت مريم للخدم : **إذا طلب يسوع منكم شيئًا « افعلوا ما يأمركم به »**.... دون الاستفسار عن الأمر .

بعدما تم تقديم الضيوف والتهانى المعتادة ، لاحظ يسوع فى الفناء ستة أجران تَسع كل واحدة منها مقدار ستين أو ثمانين لترا ، وهى هنا حتى يتمكن الضيوف من غسل وجوههم وأياديهم وأرجلهم ، **مثلما يقتضيه النظام الطقسى** ، قبل كل وجبة هامة مثل وجبات العرس .

قال يسوع للخدم :

املأوا هذه الأجران ماء نظيفًا .

هذا عمل ليس بسهل ، لأنه لابد أن يذهب الخدم إلى بئر القرية بِقِرَبْ تُملأ منها الأجران ، ولابد لذلك من مشاوير عديدة . **فرضخ الخدم لأمر يسوع « وملأوها حتى آخرها »**. بالنسبة إليهم ، قد ظنوا أن النبى الجديد قد لاحظ أن الماء قذر وأنه لابد من تغييره لحسن ممارسة الفروض الطقسية .

بعدما أنهوا عملهم ، قال لهم يسوع :

« اغرفوا الآن وناولوا وكيل المائدة ».

فنظر بعضهم إلى بعض مذهولين ... إذ أن رئيس خدم المائدة هنا سوف يظن أنهم يريدون أن يهزأوا به إذا قدموا له ماء ليشرب ... ولكن، بما أن مريم قالت لهم أن يطيعوا طاعة عمياء دون أن يحاولوا أن يفهموا ، غطس أحدهم قدحا فى جرف وذهب يقدمها إلى وكيل المائدة :

أرجو أن تذوق من هذا .... قد ملأنا منه ستة أجران .



فذاق .

هذا من أفضل الخمر ... من أين لنا هذا ؟...

ولم يترك الوقت للخادم حتى يعبر عن فكره . **أسرع وكيل المائدة** بقدحه **إلى الزوج** ... وشرب كل ما فى القدح بعد أن ذاق بلسانه ليستطيب تمامًا طعم الخمر .

ما هذا يا عريسنا الجديد ... لم تنبهنى أنك حفظت جانبًا كل هذه المؤونة من أجود الخمر حتى نحتاط لأى احتمال . كنت على صواب ، ولكن **دعنى أقول لك إنك أخطأت ... عادة ، فى العرس ، تقدم الخمر الجيدة أولاً . وبعدما ينال الضيوف مبتغاهم وتنقص** من جراء زهوهم **قدرة تقديرهم ، تقدم حينذاك الخمر العادية . أما أنت فاحتفظت بالخمر الجيدة للآخر .**

فحاول **الزوج** أن يدافع عن نفسه ، لم يكن له يد فى ذلك **ولا علم له**



بالأمر . ولكن الخدم يعرفون ويبادرون إلى رواية الخبر لكل من حولهم : هو يسوع الذى حوّل الماء خمرًا .... بأى معجزة ؟... لم نر هذا قط . ينظرون خفية بإعجاب وذهول إلى الصانع الناصرى الذى يستمر بكل بساطة فى أكله وكلامه كأنه لم يفعل شيئًا .

ويسمع هنا وهناك على طول الموائد :

ياليسوع هذا من قدرة حتى يعطى الماء طعم الخمر ! وأية خمر !...

وكم كانت عنايته لطيفة ورقيقة بالزوجين الجديدين اللذين كانا على وشك الضيق والخزى فى أجمل يوم من حياتهما لأن الخمر شحت يوم عرسهما !

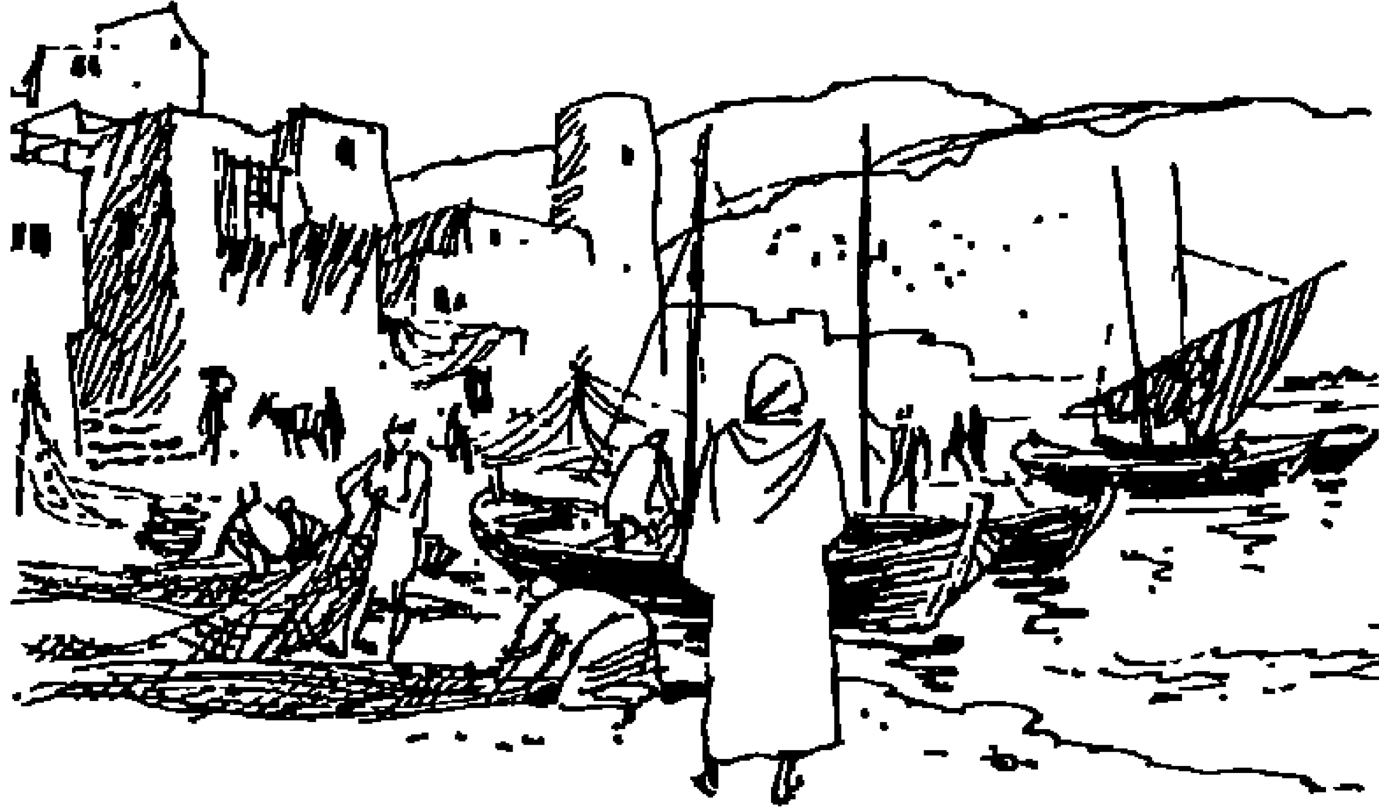
من الآن سوف يتحدث الجميع عن هذا الحفل فى كل أنحاء البلد .

فليحى يسوع ، وليستمر الحفل .

إن أفضل ما يمكننا أن نقوله هو أنه فى أيام عرس قانا هذه حقق الله فى شخص يسوع اقترانه بالبشرية .

أظهر يسوع فى الساعة سلطته : وها هى أول معجزة له فى قرية قانا . فيمكن رفاقه أن يبادروا بتفكيرهم (ويتداولوه بينهم): تحويل الماء إلى خمر علامة تنطق بكثير ... هو إعلان عن تغيير العالم إلى عالم أفضل ... هو بدء

العصر الذهبى الذى يجدر بالمسيح أن يفتتحه ... **الآن قد أعطى البرهان : يسوع هو حقًا المسيح الذى ننتظره . يسوع لا يطيل المقام هنا : يريد أن يتوجه إلى كفرناحوم ، المدينة الكبيرة على شاطىء بحيرة الجليل .**



(٣) فى كفرناحوم ، مواجهة أولى بين بطلين

(مرقس ١ : ١٦ــ٣٨)

سوف يمكث يسوع طويلاً على ضفاف بحيرة الجليل ويجعل من كفرناحوم مركز إشعاعه . سمعان الصياد ، الذى سمى بطرس ، منحدرًا من بيت صيدا ، إحدى مدن شاطىء البحيرة ، ولكنه يملك ، هو أو أقرباؤه ، **بيتًا فى كفرناحوم .** هناك مقر رابطة الصيادين الصغيرة التى يترأسها . فى الواقع ، أن بيع السمك مضمون دائمًا فى كفرناحوم .

دون إبطاء ، يذهب بطرس وأخوه أندراوس ويوحنا ويسوع إلى مرفأ الصيد ، لأنهم متمسكون بأن يطلعوه على إطار حياتهم وظروف عملهم . **إن عددًا لا بأس به من المراكب هنا والصيادين الذين تركوا المراكب مهتمون بتنظيف وإصلاح شباكهم .**

يفسر يوحنا ليسوع :

تملك فرقتنا مركبين للصيد : مركب يخص سمعان ــ بطرس والآخر يملكه أبى زبدى ... إنى أقدم لك أخى يعقوب ، وهو أيضًا صياد ، مثلنا جميعًا أبًا عن جد .

إذن ، نويت على أن أجعل فرقة الصيادين التى تكوّنونها فرقة رفاقى الأولى ... **يايعقوب ، أدعوك أن تنضم إلينا .**

إن أخى يوحنا أخبرنى عنك ، يايسوع ... **إنى أوافق ،** وأنا فخور جدًا بذلك .

وهنا قال بطرس :

ولكن الآن ، يايسوع ، أدعوك أن تجىء وتسكن فى بيتى ، سوف تشعر بأنك فى بيتك . **للأسف فى هذا الوقت ، حماتى راقدة بحمى شديدة .**

أشكرك يابطرس على أن تقبلنى عندك ، ولا تكن مهموم البال بالنسبة إلى حماتك ، إنى سوف أشفيها من مرضها .

ما أن دخل البيت ، دنا يسوع من المريضة ، وانحنى إليها ، « فأخذ بيدها وأقامها ». **بمجرد هذا اللمس تركتها الحمى فى الحال ، وعليه قامت لتعد لهم الطعام .**

حلّ يوم السبت ، واتجه يسوع إلى المجمع مع رفاقه . كان المجمع مكتظًا بالحاضرين . لأن الخبر انتشر فى كل مكان أن شخصًا يدعى يسوع الناصرى قد دلّ عليه يوحنا المعمدان بأنه المسيح المنتظر . وكان حديث الناس يدور حول يسوع . ألم يقل إنه حوّل الماء إلى خمر خلال عرس فى قانا ؟ أمر مذهل ، أليس كذلك ؟... أمر لا يصدّق ، ولكنه حقيقة ، إذًا ؟...

بغتة وفى وسط مجمع الصلاة وقراءة الكتب المقدسة ، وجد **رجل** ، كان جالسًا بهدوء إلى هذه اللحظة ، **فأخذ يزأر** : وقيل حينئذ **إن فيه روحًا نجسًا** . **فأخذ يصيح :**

« ما لنا ولك يايسوع الناصرى ؟... أنا أعرف من أنت : أنت قدوس الله . جئت لتهلكنا !... إذهب من ههنا !

بدأ الذعر ينتاب الحاضرين ... ولكن ، أمام هدوء يسوع ، ضبطوا جأشهم . فتقدم الرجل متمايلاً ، العينان محتقنتان بالدم . ارتعشت أبدان الحاضرين من الخوف وأمسكوا أنفاسهم أمام صراع بطلين جسمًا لجسم . أحسوا ، وراء هاتين الشخصيتين ، أن قوى مجهولة وعدائية تعمل . لمن تكون الغلبة ؟...

اتجه يسوع إلى الروح النجس قائلاً : **إخرس !... وأمره : أخرج من هذا الرجل فى الحال .**

حل القلق بضع ثوان ... ثم رأوا الممسوس من الشيطان يتمرغ فى التراب فى وسط المجمع بانتفاضات بشعة . وصرخ صرخة حنق ثم بغتة انتهى كل شيء : أطلق الروح النجس فريسته ... نهض الرجل فى سكون، سويًا ورصينًا ، كأنه لم يحصل شيء .

فدهش جميع الحاضرين ... يا ليسوع هذا من سلطان !

قد رأيتم كيف أمر الأرواح النجسة ، وكيف اضطرت أن تطيعه .

فى نفس اليوم ، كل المدينة والمنطقة المجاورة كانت على علم بذلك . وعند المساء بعد غروب الشمس ، حُمل إلى يسوع كل أنواع المرضى والأشخاص المصابين بعاهات . وبدون أى علاج ولا كلمات سحرية على غرار المطببين المزعومين ، كان يسوع يأخذ بيدهم وديًا وكلهم ينهضون معافين . فكان النجاح عظيمًا .



(٤) ليلة صيد على البحيرة

كان الرفاق ــ الصيادون ــ متحمسين لنجاح يسوع ، ولكن الحماس لا يمدهم بما يحتاجون إليه من طعام . عند مساء هذا اليوم ، انتظر سمعان بطرس أن تُعزف ببوق المدينة نهاية السبت ، لأن العمل ممنوع حتى هذه الإشارة . ولكن ، بعد ذلك ، يمكنه الذهاب إلى الشاطىء مع كل فرقته لليلة صيد على البحيرة .

إن بحيرة الجليل ــ التى هى أصلاً فوهة بركان ملأتها مياه نهر الأردن الذى يخترقها ــ عمقها ٥٠ مترًا على الشواطىء وحوالى ٢٥٠ مترًا وسطها . فى

بعض مواضعها تتفجر ينابيع ماء ساخن ، وعرف إقليمها زلازل . قد تصعد أمطار الربيع سطح مائها بعشرة أمتار فى بضعة أيام ، وتأخذ مياهها اللون الأزرق المخضر الذى يتحول إلى اللون البنفسجى خلال العواصف ، وتعرف هذه المياه انعكاسات ضوئية ذات لون المغرة الحمراء فى سفح الجروف الشرقية ... فى بضع فترات السنة ، يعرّض عبور البحيرة فى وسطها لخطر جسيم : فعندما تهب ريح من الغرب على شكل أعاصير ، وتندفع فى فوهة هذا البركان القديم ، تسبب عواصف عنيفة — إن عظمة هذه البحيرة جعلت الناس يسمونها « بحر الجليل » .

طوّع يسوع فرقة صيادين مكوّنة من سمعان بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا . كانوا يعرفون بعضهم بعضًا منذ الطفولة ، إذ أن الأربعة من بيت صيدا وغالبًا ما كانوا يتعاونون . بطرس متزوج ويسكن كفرناحوم . يعقوب ويوحنا ، ابنا زبدى ، رئيس صيادين يشغّل بعض عمال باليومية ، من أسرة أكثر يسرًا فى الغالب ، ومن مستوى اجتماعى وعلمى أعلى . تربط يوحنا وبطرس صداقة حميمة . من طبع بطرس روح الزعامة والصراحة التامة ، وهو متهور . يتحمس بسرعة وتبرد همته بسرعة أيضًا . أما يوحنا فهو بارع ومثقف ، سريع الغضب وغير متساهل ، ولكنه دقيق الملاحظة رزين . ورغم صغر سنه — قد يكون له من العمر ١٨ أو ٢٠ سنة فقط — سوف يفهم سريعًا المعنى الحقيقى لرسالة يسوع ، ولذا سيجعل يسوع منه أمين سرّه . يعقوب أخوه ، سوف يلقّب فى الفرقة ب « الأكبر » أو « الكبير »، نظرًا لطول قامته فى الغالب أو للتمييز بينه وبين شخص آخر يدعى يعقوب .

بما أن الصيد موسمى ، فصيادو بحيرة الجليل يحظون بوقت فراغ خلال موسم الكساد . لذا ؛ فى هذه الحقبات من الزمن ، أمكن للبعض منهم أن يذهبوا لملاقاة يوحنا المعمدان على ضفاف الأردن . وكان أندراوس ويوحنا أول من قابلوا يسوع .

هكذا اختار يسوع كرفاق أول بعض صيادى البحيرة : رجال بسطاء ، ولكن ذلك لا يمنع أن يوجد بينهم رجال متعلمون ، رجال بواسل ، صقلت طبعهم مهنتهم الشاقة ، وأيضًا رجال أسخياء القلب ومستعدون للخدمة ،

متدفقو المشاعر ومتحمسون للدعاوى النبيلة .

أمضت إذن كل هذه الفرقة ليلة صيد على البحيرة .

وصباح الغد ، سمعت الأحاديث على الشاطىء بين الصيادين وزبائنهم المعتادين .

سلام عليك ياسمعان !... ماذا ، لا شيء فى السلال ، هل بيع كل صيدكم ؟...

للأسف ! لم نحصل على أى شيء هذه الليلة ... بقى السمك فى المياه العميقة ، ولابد لنا الآن من تنظيف الشباك ...

(٥) مجتمع جديد
نظام عالمى جديد : ملكوت الله

(لوقا ٥: ١ــ٣، متى ١٣: ٤٤ــ٤٦ و ١٣: ٣١:٣٣)



فى أواخر الضحى ، رأى الصيادون **يسوع** آتيا ، وكان بدوره قد حضر ليعرف أخبار هذه الليلة التى أمضوها على البحيرة . لأنه يهتم بمهنة رفاقه الأول .

فى أواخر الضحى ، رأى الصيادون **يسوع** آتيا ، وكان بدوره قد حضر ليعرف أخبار هذه الليلة التى أمضوها على البحيرة . لأنه يهتم بمهنة رفاقه الأول .

ولكن **جمعًا من أهل كفرناحوم كانوا يتبعونه ، تواقين إلى رؤيته وسماعه** . وبينما هو ينظر عن قرب إلى الصيادين الذين ينظفون ويصلحون شباكهم ،

تجمع كل هذا الشعب وجلس على الشاطىء ، بعضهم تاركين سيقانهم مسترخية على حافة الرصيف ... كلهم ينتظرون فى هدوء .

لاحظ يسوع هذا ، فقال لسمعان :

يا بطرس — من الآن يتغلب اللقب على الاسم — **دعنى أطلع على المركب وأبعده قليلاً حتى أكلم هذا الشعب المتجمع على الشاطىء .**

أصعد بطرس يسوع على المركب وأخذ يبعد المركب عن الشاطىء . فجلس يسوع وشرع يتكلم :

يا أهل كفرناحوم وكل الجليل ، أعلن لكم عن خبر عظيم وسار : بمجيئ ملكوت الله فى وسطكم . أجل ، هوذا هنا فى متناولكم . من يجده يجد الحياة الأبدية .



وذلك مثل قصة هذا المزارع الذى يحرث حقلاً . ها هو ثوره أو محراثه ينغرز فى حفرة . الحارث يحفر المكان **ويكتشف كنزاً** ، قد تكون جرّة تحوى قطعًا من الذهب . أخفوها هنا أثناء إحدى الحروب التى تناوبت على البلد . كان هذا الكنز ضائعًا للجميع إلا للشخص الذى يكتشفه . **فأعاده إلى مخبئه** حتى لا يثير الانتباه **ولم يفكر إلا فى أمر واحد : أن يشترى هذا الحقل حتى يصبح الكنز له** . فذهب إلى ساحة السوق **وباع كل ما يملكه** : ثوره ومحراثه وآلاته ...وبهذا **المبلغ من المال ، توجه** إلى موثق العقود **واشترى رقعة الأرض . ثم أخرج الكنز من الأرض ورجع وهو فى غاية السعادة وأخذ يقول** : آه كم أنا سعيد !... انتهى بؤسى منذ الآن . وها أنا أبدأ حياة جديدة .

وأيضًا مثل قصة هذا الصائغ ، الذى يتاجر بلآلىء ثمينة . وهو مجتاز السوق **لمح** على طاولة بائع عاديات (أشياء أثرية) **لؤلؤة فى غاية الجمال** بانعكاسات ضوئية بديعة للغاية . **هذه اللؤلؤة تفوق ، كل مجوهرات أجمل مجموعاته . فأرادها بأى ثمن** . إنما البائع لن يتخلى عنها إلا مقابل مبلغ كبير من المال . ما العمل ؟ **لم يتردد** . رجع إلى منزله ودعا زملائه صياغ المدينة ، **وباع** لهم **جميع مجموعاته ليشترى « لؤلؤة حياته »**.



وهو أيضًا مسحور اللب . إلى جانب هذه اللؤلؤة النفيسة جدًا . كل ما عداها يتراءى له بضاعة رخيصة . استمر يقول : لو لم أنجح فى الحصول على هذه اللؤلؤة لما كنت تعزّيت قط . لا أحد من ملوك الأرض حصل على تحفة مثل هذه .بالنسبة إلىّ تبدأ حياة جديدة . سأكشف عن جمالها حتى أجعل كل الخبراء فى هذا الميدان يعجبون بها .

هكذا ، من وجد ملكوت الله يكون قد اكتشف الكنز الحقيقى ، اللؤلؤة الثمينة الحقيقية . وبموجب ذلك تكون حياته قد تغيرت تغيرًا جذريًا .

ولكن ، ما هو ملكوت الله هذا بالضبط ؟

فى زمن يسوع كانت العبارات « ملكوت الله »، « مملكة الله » و « ملكوت السماوات » تعبر عن كل أمانى الشعب ورجائه فى حياة سعيدة يسودها البر فى ظل سلطان المسيح على الكل .

كان الجليليون واليهود فى ذلك الزمان ، خاصة فى الطبقات الشعبية ، يائسين . احتملوا الكثير منذ عدة أجيال : أنظمة من كل الأنواع ، تعاقب ملوك وأسر ملكية ، إمبراطوريات ، ثورات وتغيرات سياسية . كل ذلك هلك أخيرًا ، كل ذلك خيّب الأمل ... بسبب الخطيئة التى فى عمق قلب الإنسان ، كل تلك الأنظمة ، من أى أفق سياسى كانت ، وبالرغم من أعظم برامج الإصلاح وأجمل الوعود ، جعلت من هذا العالم دغلاً حقيقيًا حيث الأنانية والمصلحة والكسب السريع بأية وسيلة ، والطمع والشراسة والانتقام ، والكذب والرياء ، تفرض قوانينها ... الإنسان ذئب للإنسان . أقلية من أصحاب القوة والسلطة تستغل غيرها من فقراء وضعفاء . القيمة العليا ، والمعيار الحقيقى ، الذى يقدّر ويقاس به كل شىء هو المال ، لأن بالمال تحصل على كل لذّة وكل سلطان .

ليس إلا أمل واحد يجعل قلوب المساكين والمحرومين تخفق ، هو أن الله ذاته يأتى ويعيش الجميع فى ظل سلطانه .

قصارى الكلام إن « ملكوت الله » الذى يعلن عنه يسوع ويشبّهه بكنز ، بلؤلؤة ثمينة ، هو تحقيق هذه الرغبة العزيزة التى تخالج فكر كل البشر فى جميع الأزمنة فى أن يحيوا حياة سعيدة فى عالم جديد حيث لا توجد انشقاقات وحروب ، دموع وآلام ، جوع وأمراض ، استغلال واغتراب ، أنانية وخطيئة ... بل يحيا الجميع متصالحين ويحبون بعضهم بعضًا كالإخوة .

يفترض هذا التغيير التام لنمط الحياة تجديد القلوب ، وثورة فى طريقة التفكير والعمل ، وتغيير المجتمع بحيث يصبح متمشيًا مع إرادة الله وصلاحه . ولذا ، ففى لغة ذلك العصر سميت هذه الحال « ملكوت الله ».

وليس فى ذلك شىء خيالى ، بمعنى حلم خدّاع . لا يكتفى يسوع بإعلانه ، بل شرع فى تحقيقه . وفى الواقع ، أنه بتعاليمه ومعجزاته ، يبرهن أن ملكوت الله قد أقبل فعلاً وبدأ يترسّخ . فالعمى يبصرون ، والبرص يطهرون والفقراء يقنعون أن مصيرهم يتغير ... وتوجد خمر جديدة للعرس !

بالإختصار « ملكوت الله » هو يسوع .

استطرد يسوع يقول : لقد أقبل ملكوت الله ولا يمكنه أن يقف . إن له حيوية عجيبة ، مثل حبة خردل صغيرة جدًا . التى هى من أصغر البذور . ولكنها تعطى أعلى أشجار الفواكه : شجرته تطل على كل الأشجار وترى العصافير تأتى لتعشش على أغصانها ... هكذا سوف يجمع ملكوت الله تحت ظله أناسًا آتين من كل آفاق العالم .

إن « ملكوت الله » يبرهن عن قوة دافعة لا تقهر . هو خمير تجديد قوى أشبهه بخمير العجين . وأناشدكن أنتن مدبرات المنزل اللائى يستعملنه كل يوم ... **ها هى امرأة ، على سبيل المثال ، أطلب منها أن تجهز الخبز** لكل القرية . **تستعمل ثلاثة أكيال من الدقيق** (أى ثلاثة مكاييل يسع كل منها أربعين لترًا). **غير أنها لا تحتاج إلا إلى حفنة من الخمير لهذه الكمية الكبيرة من الدقيق** . ولكن ، ياله من خمير !... **عندما ترجع صباح الغد إلى عجينها ، تجد أن كل هذه الكتلة من العجين قد اختمرت** . العجين جاهز ليعمل خبزًا ثم يوضع فى الفرن .... هكذا « ملكوت الله » ذو قوة ترفع روح الجماهير المعنوية وتغير المجتمعات والشعوب .

(٦) الاستعداد الحق هو استعداد القلب

(متى ١٣: ١ــ٢٣ و٢٢: ١ــ١٠ و٩: ١٦ــ١٧،
لوقا ٨: ٥ــ١٥ و ١٤: ١٥ــ٣٣ و٦: ٤٧ــ٤٩)



وهو جالس فى مركب بطرس فى مواجهة الجمهور المحتشد على الأرصفة

والشاطىء ، يتابع يسوع عظته .

يتكلم بلهجة كثيرة الصور ، وبأمثال : وهى طريقة التعبير التى يفضلها .

المثل تشبيه ، حكاية ، رواية بسيطة جدًا ، شعبية ، دارجة ، تثير الانتباه ، يفهمها الناس ويحفظونها فى ذاكرتهم بسهولة ، تسترعى تأمل الشعب لأنها تشغل البال مثل الأحجية أو اللغز ، ولأنها مليئة بمعان وتعاليم يفهمها البسطاء والعلماء على حد سواء . إن الحكايات والأمثال ، الصور والتشبيهات تفوق غالبًا الوصف المجرد ، بغنى معانيها ، فهى واضحة أكثر بكثير من فكرة مجردة . الأمثال التى يقولها يسوع لها غالبًا معان عديدة لم نكتشفها كلها حتى اليوم . وخلال الأمثال أعلن يسوع عن شيء من شخصه .

تابع يسوع حديثه قائلاً :

أنتم الذين تسمعوننى مدعوون لتحيوا حياة « ملكوت الله » هذه . ولكن عبثًا أحاول أن أنشر كلمة الله ، مثل الزارع الذى يرمى بذوره بملء يديه . إن لم يكن قلبكم مستعدًا ، سوف يكون عملى بدون جدوى . **لأن قلوبكم مثل الأرض التى تقبل حبّ الزارع . وبينما هو يزرع ، وقع بعض الحبّ فوق الطريق على جانب الحقل** . فداسته الأقدام ، **ثم التقطته طيور السماء . هذا الطريق صورة الذين لهم قلب مقفول . لا تدخله كلمة الله** ، لأنها لا تهمهم . **أسرع الشيطان وقلعها من قلبهم . — وبينما الزارع يزرع وقع بعض الحبّ على قطعة أرض من الحقل محجرة ، رقيقة التراب وكثيرة الحصى . فما أن نبت القمح حتى يبس ، لأنه لم يجد رطوبة فى العمق : صورة الذين يتلقّون كلام الله ، ولكن بطريقة سطحية . وعند التجارب الأولى ييأسون ويرتدون . يتراءى لهم صعبًا جدًا ... وبينما الزارع يزرع وقع الحبّ على قسم آخر من الحقل ، ملأه العليق والشوك . فما أن نبت القمح حتى خنقته الأشواك : صورة الذين يكون لهم من الهموم والغنى وملذات الحياة ما يحتكرهم . أما كلمة الله فقد قبلوها ، ولكن انتهى بها الأمر أن اختنقت ... أخيرًا وبينما الزارع يزرع وقع الحبّ فى القسم الطيب من الحقل ، الذى كان قد حُرِثَ وأُعد جيدًا فنبت القمح وأعطى ثمرًا ثلاثين وخمسين ، حتى مائة ضعف . ويمثل هذا القسم من الأرض الذين سمعوا كلام الرب بقلب**

واع متفتح وبموجب هذا تغيرت حياتهم .

الزارع هنا لا يخشى الزراعة فى هذا القسم الطيب من الأرض . وبعد انتهائه من البذر يعيش فى اطمئنان وينام بسلام . فالطبيعة ، التى خلقها الله ، تعمل عملها . هكذا أنتم الذين تسمعوننى وتقبلون رسالتى ، أقول لكم : عيشوا فى سلام . فكلمة الله تعمل عملها فيكم . ستكون حياتكم ناجحة .

وأضاف : أنتم أحرار تلبون دعوتى أولاً . ولكن لا تبحثوا عن أعذار كاذبة لتتهربوا من الدعوة ، مثلما فعل المدعوون فى قصة وليمة العرس :

إن شخصًا بارزًا أولم فى عرس ابنه ، وعندما أعدّ كل شىء أرسل وكيله يذكر المدعوين (أعيان المكان) إن الداعى يعتمد على حضوركم إلى الوليمة . ولكنهم كانوا قد تشاوروا مقدمًا وقرروا ألا يذهبوا إلى الوليمة . فبلا شك كانوا يحسدونه لأنه كان حديث النعمة ، ونجاحه يفوق نجاحهم فى الأعمال ، فيغطى عليهم . وكانوا يأملون أن غيابهم عن الحفلة سوف يفقدها كل رونقها ، وبذلك يذلون خصمهم .

ذهب الوكيل إلى أول المدعوين وقال : « إن سيدى أرسلنى لأذكّرك : « أعددت كل شىء لعرس ابنى وإنى أعتمد على حضورك إلى الوليمة — فأجاب : إنى أشكره تمامًا على هذه الدعوة ، ولكنى اشتريت عزبة كبيرة ، وعلىّ اليوم بالذات أن أتسلمها . أرجو أن تقدم له اعتذارى وأسفى .

وتذّرع المدعو الثانى بنفس الحجة : آه ، ياله من ظرف سىء !...ولكن كما ترى ، أنا على وشك الذهاب لأختبر خمسة أزواج من البقر اشتريتها حديثًا . أرجو منك أن تقدّم اعتذارى لسيدك .

وذهب الوكيل إلى المدعو الثالث ، فكان جوابه : « أتت الدعوة فى وقت غير مناسب : لأنى تزوجت هذه الأيام وأنا مشغول جدًا بأسفارى مع زوجتى — لاشك أن سيدك سيتفهم لماذا لا يمكننى أن ألبى دعوته .

فرجع الوكيل وقال : ياسيد ، لا أحد من المدعوين يمكنه أن يحضر . وكلٌ له حجته . فهم يقدمون لك اعتذاراتهم وأسفهم .

« أظنك . لم تلّح بما فيه الكفاية !.. ارجع وقل لهم بوضوح : قد أعددت الذبائح من عجول وماشية ، وعندى خمور مختارة فى الجِرار . فالوليمة تنتظركم .

ولكن هذه المرة استقبل المدعوون الوكيل استقبالاً سيئًا . قال له أحدهم : « لا تلح أكثر من ذلك ! أنا والآخرون قررنا ألا نلبى دعوة سيدك . هل فهمت جيدًا الآن ؟... أخرج بسرعة وإلا أطلقت كلابى فى إثرك .



رجع الوكيل إلى سيده مرتبكًا ، خجلاً ... ففهم الداعى أخيرًا وقال : هى مسألة حسد . إن هؤلاء الأعيان يكرهوننى ، وبرفضهم دعوتى فى آخر لحظة ، يريدون أن يفشل العرس ليسخروا منّى ولكنهم على خطأ ، لأنى عارف الآن بما سأعمل ...

ثم ذهب إلى قاعة الوليمة : « أنتم جميعًا الذين فى الخدمة ، أسرعوا إلى الساحات ، وإلى شوارع المدينة ، وادعو إلى العرس من تجدونهم : الفقراء والعاطلين ، وذوى العاهات : العمى والعرج ... أريد أن تُملأ ردهة العرس بالمدعوين . أما المدعوون الأوائل ، فإذا رجعوا عن رأيهم وقرروا المجىء ، فلا أحد منهم سيذوق شيئًا من أطعمة وليمتى .

وختم يسوع هذه القصة بما يلى ...

« وهكذا سيكون من أجلكم ، أنتم الذين تسمعوننى ، أهل كفرناحوم وكل الجليل ... أنتم المدعوون الأوائل لتحيوا معى هذه الوليمة الممتعة التى أعرضها عليكم . ولكن إذا بحثتم عن كل أنواع الحجج حتى لا تلبوا دعوتى ، سوف يأتى آخرون ، ولو كانوا من بعيد جدًا ، فيكتشفون « ملكوت الله » ويدخلونه بدلاً منكم . لأن الدعوة للجميع ، بلا حدودٍ . إن أبواب قاعة العرس مفتوحة على مصاريعها وتنتظر من يريد أن يحضر .



ولكن تأملوا جيدًا : هذه الدعوة التى أوجهها إليكم سوف تجبركم على تغيير عقليتكم والإقلاع عن السير فى طرق حياتكم المعتادة ، لأن « ملكوت الله » لا يتوافق معها . أنتم ، أيها الرجال ، اعتدتم ألا تجعلوا الخمرة الجديدة فى زقاق من جلد قديم ، لئلا تنشق الزقاق ويضيع الكل . تراق الخمر وتتلف الزقاق ... وأنتم أيها النساء ، لا ترقعن ثوبًا قديمًا برقعة من نسيج جديد ، لأنها تنتزع من الثوب القديم على مقدارها ، فيتسع الخرق . لا ترقعن الأطمار ، فالمطلوب هو ثوب جديد .

لا يجوز أيضًا أن تقرروا دخول « ملكوت الله » بدون رَويَّة . لنفرض أنكم تريدون بناء قصر ببرج كبير . تبدأون بالجلوس وتحسبون ما يتطلبه هذا من نفقة . وتعملون مقايسة لتروا إذا كان لديكم ما يسمح بإتمام هذا البناء . لأنكم إن شرعتم فيه واضطررتم أن توقفوا العمل ، أخذ الجميع يسخرون منكم : « هذا الرجل شرع فى بناء فخم ، لكنه أخطأ فى حسابه واضطر أن يتراجع لأن المال لم يكن كافيًا ولم يتم بناء برجه الكبير .

لابد لكم إذن أن تتأملوا مليًا قبلما تقرّرون . لأنه لا يكفى أن تسمعوا وعظى ، بل يجب عليكم أن تلائموا بين حياتكم العملية اليومية وتعاليمى .

من يأتنى ويسمع كلامى ويكيف حياته وفق تعليمى ، أشبهه برجل بنى بيته على الصخر ، بعدما حفر وعمّق الحفر ثم وضع الأساس . فَطَمَى السيل الجارف حول البيت ، ولم يقو على زعزعته ... ولكن من يسمع كلامى دون أن يكيف حياته وفق تعليمى ، أشبهه برجل بنى بيته على الرمل ، وعندما يفيض النهر ويندفع إلى البيت ، فحالاً يسقط من ساعته ، ويكون الخراب تامًا .

إذن حالما تكونون قد تأملتم جيدًا ، لابد لكم أن تقرروا . لأن حياتكم هامة ، فلا تبددوا حياتكم بحماقة ...

من له أذنان سامعتان ، فليسمع !

أتم يسوع عظته وسط حماس الجموع . **وسُمع أحد يقول : هو على الأقل يحدثنا بلغة كثيرة الصور يفهمها الجميع ... هو حقًا النبى الذى ننتظره ... هو المسيح الذى أعلن عنه .**



(٧) صيادون للبشر

(لوقا ٥: ١ــ١١)

بعد نهاية الحديث صرف يسوع الحاضرين وقال لسمعان : ابعد إلى العمق والقوا شباككم للصيد .

ما الفائدة فى ذلك ؟ تعبنا طوال الليل ولم نصب شيئًا .

أكرر لك ياسمعان : سر فى الغمر وابسط الشبكة الكبيرة .

يايسوع ، أنا ابن مهنتى وأعرف تقلبات البحيرة ... الوقت غير مناسب .

ثق فىّ ياسمعان وسوف ترى .

سأفعل فقط لأنك أنت يايسوع الذى تأمرنى بذلك . لغيرك لن أطيع أبدًا ... **إجابة لطلبك سألقى الشبكة ...** أيا أعضاء فرقتى ! أندراوس ويعقوب ويوحنا ، ارجعوا إلى مراكبكم بالشبكة الكبيرة ... إننا ننطلق ثانية للصيد .

وبعد ساعة من الزمن ، **أمر سمعان بطرس أن يسحب الشبكة الكبيرة ، والتى كانت مبسوطة بين المركبين ، ففعل . وسريعًا ظهرت السمكات الأولى . بقدر ما كانت الشبكة تخرج من الماء كان الصيد يبدو هائلاً** . هذا لا يصدق !... ياله من صيد !... **الشبكة على وشك التمزق تحت ثقل** السمك الكثير والكبير ...

أشار سمعان بطرس إلى الذين فى المركب الثانى وطلب منهم النجدة ... ولم يفرغ من تخليص السمك المتعلق فى عيون الشبكة ، وأخذ يعطى اشارات يائسة*لزملائه : هيا ياشباب ، يافتيان جذفوا نحونا وتعالوا لمساعدتنا .

وأخذ هؤلاء يفهمون ويجذفون لملاقاتهم ، وسريعًا ما امتلأت المركبتان بالسمك حتى كادتا تغرقان .

لا تشحنوا بعد !... لئلا نغرق !...



عند رجوعهم إلى الشاطىء كان لابد من تفريغ المركب من حمولته فى السلال . وجد أهل الميناء أنفسهم أمام مفاجأة سعيدة ، ولم يزالوا مندهشين .

يالها من رمية شبكة !... أجرى بطرس أعظم صيد فى حياته !

مثل يعقوب ويوحنا والزملاء الآخرين ، فهم بطرس أنه حصل الساعة شيء عجيب مع يسوع ، فارتمى عند قدميه .

اخرج من سفينتى يايسوع ، إنى رجل خاطىء ، أنا شرير جدًا وغير مستحق البتة أن أحيا بالقرب منك .

هدىء روعك يابطرس ... من الآن فصاعدًا سوف تصطاد ليس سمكًا بل بشرًا ... أجل ، ياأصدقائى وزملائى المحبوبين ، تعالوا معى ، سأجعل منكم صيادين للبشر .

فى عقلية الفلسطينيين الذين عاصروا يسوع ، كان الشعب يعتبر البحر ومياه بحيرة الجليل الغزيرة كميدان لِقِوَى الشر ، السلطات المعادية لله . وكان سحبهم بعيدًا عن هذه القوى هو تحقيق خلاصهم .

قال يسوع لبطرس : « اذهب إلى العمق وارم الشبكة ». وعلى كلمة المسيح ألقيت الشباك ، فاصطادت كمية من السمك سحبوها من المياه الغزيرة ، ظهر عمل « صيادى البشر » كمشروع تحرير من تسلط الشيطان والشر والخطيئة .



دخل يسوع بغتة فى حياة صيادى بحيرة الجليل ، فهزهم ، واستولى على قلوبهم . وبدد مواقف التردد التى كانت لا تزال تعرقلهم ، وهزم تمامًا الاعتراضات التى كانوا حتى الآن يدبرونها ... **بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا** قرروا أن يلقوا نظرة أخيرة على مراكبهم وشباكهم . **يتركون كل شىء** ويلقون على زبدى ، رئيس الصيادين ووالد اثنين منهم ، مهمة تكملة المشروع مع الأجراء . **من الآن سوف يتبعون يسوع بدون رجوع إلى الوراء** .

هل حققوا هذه الخطوة إلى الأمام ، هذا الانطلاق ، فورًا أو على مراحل ... يصعب علينا أن نعرف ذلك . إلا أنه يمكننا القول بأن هذا التغيير الجوهرى فى حياتهم لم يتحقق فى يوم . لأن معارفهم لا يزالون يرونهم من حين إلى آخر يستعملون مراكبهم . ولكن هذا بغية عبور البحيرة ليس إلا . المؤكد هو أنهم أعرضوا جديًا عن مهنتهم الموروثة من أجدادهم . و« **تركوا شباكهم** » ــ التى كانت كل ثروتهم ــ **وتبعوا يسوع** .

(٨) عشار يترك دفاتر حساباته ودرج أمواله ليتبع يسوع

(متى ٩: ٩ــ١٣ و٢١: ٣١، لوقا ٥: ٢٧ــ٣٢)



إن أهم موضوع يتداوله الناس فى كفرناحوم هو الحديث عن يسوع ... وذلك حتى فى مكتب الجمرك على المرفأ . البحيرة طريق تجارى للبضائع وفى نفس الوقت كانت حدًا بين عدة أقاليم مستقلة . الملك هيرودس أنتيباس ،

الذى تولى زمام الحكم — تحت مراقبة رومانية بالطبع — على إقليم الجليل ، أقام هناك نوعًا من الضريبة على المرور والبضائع . يحصِّله « العشارون »، محصلو الضرائب والرسوم الجمركية ، سواء لصالح جيش الاحتلال أو للحكام المحليين . واسمهم صادر من العشر الذى يطالبون به . وبما أنهم يعملون بالمقاولة وبصفتهم أحرارًا فى تحديد الرسوم ، فمهنتهم منبع مخالفات قانونية عديدة : غش ومحاباة وجبايات غير قانونية ... ولهذا كان يُرى عشارون يغتنون فى زمن بسيط ... بالنسبة إلى يهودى أصيل . إذا قبل أو سعى وراء مركز مثل هذا يظهر اتفاقه بالتراضى مع الأجانب ، عبّاد الأصنام ، وأكثر من ذلك ، مع فصائل الإحتلال . فكان الشعب اليهودى يحتقر العشارين مثل احتقاره للبغايا . فى عين الفريسيين ، المدعين القداسة والطهارة ، يعتبر العشارون أهل الشر والخطيئة ... كان يحدث أن يلجأ إليهم بسبب نفوذهم ، ليخرج شخص من ورطة مع المحتل مقابل مبلغ من المال ، ولكن الشعب بصفة عامة كان يبغضهم ويتحاشاهم .

هذا اليوم ، فى مكتب جمرك كفرناحوم ، كان متى العشار سارح الفكر أمام دفاتر حساباته وأثقاله ومقاييسه : وأنت يامتى ، بماذا تحلم الآن ؟

أفكر فى يسوع هذا الذى تعلقت به قلوب الجماهير . إنه يهزنى . أشعر أن هذا يجذبنى ، يستهوينى .

دعنى أضحك !... أنت ، العشار الذى يعمل لصالح قوة الاحتلال ... أنت صاحب الكيف المرح ، الذى يسارع إلى الحفلات والنساء !... لا يمكنك أن تثير اهتمامه ، بل هو قد يلعنك علنًا !

أنت فى الغالب على حق ... ومع ذلك !... ولكنى أراه آتيًا إلى هنا !

فى الواقع ، **كان يسوع مارًا من هناك فى ذلك اليوم ، أمام بيت الجباية ، وكان متى جالسًا أمام مكتبه .**

سلام الله عليك يامتى !... فكّرت فيك ...

لم ينظر يسوع إلى مهنة العشار المذمومة والمكروهة ، ولا مسيرته الماضية . بل ينظر إلى الرجل فى صميم قلبه . وبما أنه يجده متأهبًا للخدمة ، مستعدًا





للتجديد ، فإنه يقبله ويطلب إليه أن يتبعه

هل ترغب فى أن تصبح رفيقى ؟

من ؟... أنا ؟... هل هذا ممكن ؟...

تلاقت نظراتهما .. وبغتة ، **قال متى :**

ياىسوع ، قد قررت ... أنا ذاهب معك .

قد وجد « اللؤلوة الثمينة » التى تكلم عنها يسوع ، التى يحسب كل شىء بضاعة رخيصة إزائها ... وكأنه يستنشق ريح تحرير ... ها هى حياة جديدة تعرض عليه ، يلقى بنفسه فيها ... بما أن النبى يقبله ، مع أنه العشار السيىء السمعة ، الموظف المكروه ... سيترك كل شىء : دفتر حساباته ، ودرج أمواله ، وموازينه ومقاييسه ...

ولكنه لا ينكر لذلك أصل حياته ولا يقطع الأواصر معها ، ، لأنه اعتزم بلا شك الرجوع يومًا حاملاً إليها رسالته . **وأقام مأدبة عظيمة ليعلن لكل أصدقائه أنه قرر أن يتبع يسوع** ، بل أراد بهذه المناسبة أن يقدم لهم يسوع .

ياأصدقائى ... أبشركم بخبر عظيم !... سأذهب مع يسوع الناصرى ... قد يقبلنى رفيقًا له ... هذا يدهشكم ، أليس كذلك ؟... ولكنها الحقيقة .. لقد قررت أن أتبع يسوع ... ولكن لكى أودع قديم حياتى وأحتفل ببدء ذهابى

أقمت وليمة كبيرة ... سيكون يسوع فيها ضيف الشرف ... تعالوا جميعًا ...

وفى أحد الأيام التالية ، كان الحفل عند متى ، لم تنقصه الوجبة الفاخرة والموسيقى . **وحضرها عدد كبير من المدعوين : نرى بينهم عشارين ، رجالاً ونساء ذوى أخلاق غير محترمة . ويسوع هنا** يشترك فى هذه الفرحة الشعبية .



أقيمت الوليمة فى الهواء الطلق ، على مرأى من كل الحى : الأمر الذى أثار فى المدينة استنكار كثيرين من الناس . وكان الفريسيون ، المدّعون القداسة واستقامة الرأى ساخطين ... ماذا ؟ يسوع هذا ، الذى يدّعى أنه رجل الله ، ويقول البعض إنه المسيح ، ها هو جالس إلى المائدة مع العشارين والمرتشين واللصوص . **الفريسيون هنا** يطوفون فى الفناء ، ويترقبون **ويوجهون انتقادات حادة ويقولونها بصوت عال حتى يسمعها يسوع من مكانه :**

أترون هذا ؟... ها هو رجل يدّعى أنه مرسل من الله ، ويصاحب العشارين والخطاة !

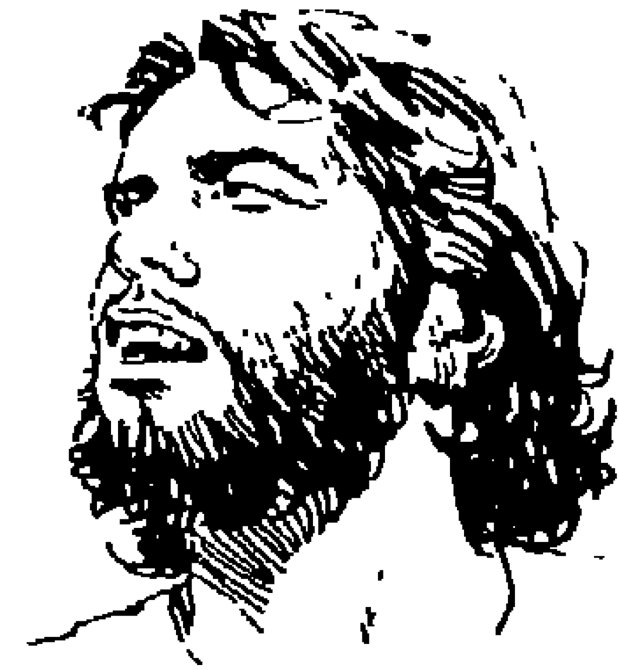
التفت إليهم يسوع وقال :



« هل يدهشكم تصرفى ؟... أنتم لا تفهمون شيئًا!... **على الطبيب أن يكون بين المرضى المسؤول عنهم وليس مع الأصحاء ... اذهبوا إذن بالأحرى إلى القائل فى الكتب المقدسة هذه : « أفضّل أن أراكم ، يقول الرب ، تمارسون الرحمة وحسن التفهم ، الطيبة والغفران ، على أن تأتوا إلى الهيكل لتقدموا** لى مال صدقاتكم **ودم الذبائح** ». ما فائدة صلواتكم وطقوسكم وبِرَكُم ، إن لم يكن فى صميم قلوبكم قسط من المحبة ؟

وأزيد على ذلك :

لا تحتقروا أحدًا : قد يدّلكم العشارون والخطاة على طريق ملكوت الله



يسوع لا يقطع الأمل فى أحد ، ولا ييأس من أحد من المجتمع ، بل بالعكس : لا تمسه أية نجاسة ولا إفساد من خطاياهم ، بل بالعكس هم الذين يِطهُرون من شرهم بمعاشرته ، ويتخففون من كل ثقل ماضيهم .



(٩) يسوع يفضل الفقراء والمحتقرين ، المضطهدين والذين لا يحسب لهم حساب

(لوقا ٥: ١٢ـــ١٥ و٧: ٣٤)

لما كان ضيف شرف فى وليمة وداع متى ، الذى « دفن » بدون أى تردد حياته كمحصل ضرائب وصاحب نزوات . أكد يسوع اهتمامه بالذين كان يحتقرهم ويذلهم وينبذهم مجتمع زمنه وبلده ، المدعى استقامة الرأى ، ويعلن أنهم خطاة علنيون وخارجون عن القانون ... بل إن يسوع لم يهتم بهم فحسب بل هو ينضم إليهم إلى حد أنه يتحدث عنهم بأمثلة .

هو الذى من طبقة العاملين المتوسطة ، ومارس مهنة النجار المشرّفة ، هو إذن الذى من بيئة محترمة وحصل على تربية حسنة ، يأنس بالمتسولين والحفاة ، بالبرص حاملى العدوى ، والمعاقين ، يخالط رعاع الشوارع ، يسمح للبغايا أن يقتربن منه ، ويقبل أن يدعوه على مائدتهم هؤلاء العشارون المرتشون ، الذين يعملون لصالح الرومان محتلى البلد .

وقصارى القول فهو يسبب عثرة تفوق التصور ، ويقلب أوضاع كل بيئة المدّعين استقامة الرأى . أجل ، بينما يوحنا المعمدان يصوم ويحث على الأمانة الذين يأتون إليه ، يسير يسوع أمام الأثمة ويشاركهم فى ولائمهم إلى حد أن يُنعت مثلهم بـ « أكول وشريب خمر ». فقد نقول عن تفكيره وتصرفه : هذا هو منطق معكوس ، ويخيل لنا أن يسوع يقلب الدنيا رأسًا على عقب .

فاض قلب يسوع بشفقة غير محدودة ، نحو التعساء والبائسين ، المهملين والمنبوذين من المجتمع ، والذين لا يحسب لهم حساب ، المذلولين والمضطهدين ، فأراد أن يشاطرهم العذاب أفراد الشعب فاختلط بهم ، واهتم بهم دون أن

يبالى بالأمراء والشخصيات التى لها مكان الصدارة .

اتفق أن كان يسوع ، فى أحد الأيام ، خارجًا من مدينة كفرناحوم ،

فصرخ فيه شخص : احترس يايسوع ، إننا نسمع جرس أبرص ... فلنبتعد عن هنا بسرعة !

ولكن **الأبرص كان يقترب منهم .**

إليك عنّا ... لعنة الله عليك .. لابد أن تبقى عن بعد لا تلمسه يايسوع ، فهو معد ... نجس . **ولكن الأبرص يرتمى على رجلى يسوع .**



يايسوع ، إن شئت فأنت قادر أن تبرئنى .

إذن ، بما أنك تضع كل ثقتك فىّ ... ها أنت قد شفيت .

وبينما المسكين يشعر بغتة بأنه قد شفى ، يقيمه يسوع ويقول :

الآن اذهب واعمل الإجراءات اللازمة لدى الكاهن المسئول عن الخدمة الآن حتى يعترف بالشفاء رسميًا بعد فحص حالتك . ثم قرّب عن شفائك ما أمر به موسى من ذبيحة فى شريعته ، شهادة لديهم جميعًا بأنك برئت . فلابد أن تسترد مكانك فى المجتمع .

إن ما يوازى أهمية الشفاء هو إعادة الشخص إلى وظيفته وحقوقه فى المجتمع . لأنه لابد لمن كان محرومًا منها أن يصبح من جديد إنسانًا كامل الحقوق . وكان ذلك شغل يسوع الشاغل . أما الشفاء فلابد أن يكون متبوعًا باحتفال دينى . ولذا كان على من يبرأ من البرص أن يقدم ذبيحة . وعليه تتحقق عودته إلى المجتمع . من السهل أن نتخيل مضايقات إثبات الشفاء بكل

احتياطاتها وإجراءاتها .

ولكن يهم يسوع أن يكون كهنة هيكل أورشليم على علم بالشفاء . بالطبع ، ليس همّه الدعاية ،... لا ، ولكن شفاء البرص انتصار على الشر ، الأمر الذى يظهر أنه أقوى من الشيطان . وهذه القوة سمة المسيح ، وخاتم الله .

لابد أن نتباحث فى هذا الصدد .

فى عقلية الشعب كانت الأمراض والعاهات وأزمات الصرع أو الجنون تصدر من أرواح شريرة تسكن فى الكائنات البشرية ، وبالتالى يظن الشعب أن بهذه الكائنات مسّاً من الشيطان . ومن هنا أتت كلمة « ممسوس ». ولكن لماذا كانت الأرواح الشريرة تأتى لتسكن هؤلاء المساكين ؟... كان الظن السائد أنه : على أثر خطايا ارتكبوها إما عمدًا أو بدون قصد ، لأنهم يجهلون القوانين الدينية . وإن لم يكونوا مذنبين شخصيًا ، فخطأهم آتٍ من أحد أقاربهم ، من جد ارتكب ذنبًا يتحملون هم عاقبته وعقابه ... ولكن يسوع يجيب دائمًا عمن يطرح عليه السؤال الآتى : « من الذى أخطأ هو أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ من الذين أخطأوا هم أم آباؤهم ، حتى أصبحوا مشلولين أو مصروعين أو مجانين ؟... فيجيب يسوع : لا علاقة بين حالتهم وخطاياهم ، أو خطايا آبائهم . ليس هذا ثمنًا يدفع لله مقابل ذنب .

من السهل أن نفهم شعور جميع هؤلاء المرضى بالخزى ومذلة الاحتقار ... بإدراكهم أنهم دون اللاشىء ، وأنهم فقدوا كل كرامة إنسانية ، فانتهى بهم الأمر إلى أنهم يظنون أن الله نبذهم كما نبذهم البشر أيضًا . فييأسون من أن يحظوا أبدًا بصداقة الله وأن يسجلوا فى « كتاب حياته ». لأنه لابد لهم من أن يخضعوا لشعائر تطهير لا نهاية لها ، معقدة وباهظة التكاليف إلى حد أنهم يعرضون عنها .

ولكن يسوع لا يتردد فى أن يخالط هذه الطبقات البائسة من الناس الذين لا يتمتعون بالاحترام بل يُنبذون فى كل مكان . وهو لا يكترث البتة للأحرام والحدود الاجتماعية التى تجبر هؤلاء المساكين ألا يكونوا إلا فضالة الإنسانية .

ولكن هل اقتصر اهتمام يسوع على عالم الفقراء ، والصغار والمضطهدين وأسقط من حسابه طبقات الناس المتعلمين ، وذوى المكانة الاجتماعية وما إلى ذلك ؟... لا ، أبدًا .... لأن كل شخص يهمه بل يستهويه لأنه جاء من أجل البشر أجمعين .



إن يسوع يوجه أغلب خطبه إلى عِلية القوم ، ويمضى وقتًا لا بأس به معهم ، يحدثهم ويجادلهم لحثهم على التبصر وتغيير نمط حياتهم .

ولكنه أيضًا يحرر من العذاب والقلق جموع البسطاء والمرهقين والمحتقرين والجميع مجبرون على أن يقروا بأنه حقيقة « رجل الله ». ولكن ، إذا كان وهو رجل الله ، يخالط هكذا « نفاية العالم » أهل الطبقة الاجتماعية السفلى ، ويتعامل معهم ، فمعنى ذلك أن الله ذاته لا يدحرهم ، بل يقبلهم على علّاتهم بما فيهم من شر وخطيئة.[1] وبما أن الله هنا فى شخص يسوع الناصرى ،

---

(١) ومن يؤكد أن الطبقات العليا من الشعب لا تعيش فى حالة خطيئة أسوأ من غيرها ؟

جالس فى وسطهم ، مثلما كان فى وليمة متّى ، يسمح لهم بأن يطرحوا عليه الأسئلة ، يلمسوه ويقبلهم ، فمعنى ذلك أنهم محبوبون ، مطهرون ، معافون من شرهم . إيمانهم يكفى ... يقول لكلٍّ منهم : « إذا كنت تؤمن ، كل شيء ممكن ». أجل ، يكفيهم أن يغمرهم حنان هذا الإله الذى يحرر من كل المضايقات ، ومن الشر والخطيئة .

ولذا يتخلص هؤلاء المساكين فى الحال من مركبات النقص وإحساسهم بالذنب ، ويستردون كرامتهم الإنسانية . وفوق ذلك ، بمساعدة يسوع ، يستعيدون قوة النهوض والسير ، قوة الرؤية والسمع والحياة . فكل الأنظمة الصعبة والمدققة فى أمور طفيفة ، التى يفرضها عليهم حُماة الشرائع الدينية ، والتى يئنون تحت ثقلها كأنها نير لا يطاق ، يرونها تهتز وتتزعزع .. وهكذا ينفجر ويفيض فرحهم من كل جهة . من المحال أن يكونوا حزانى ويائسين مع يسوع ، لأنهم فى وقت عرس . وكما قال يسوع : **هل الصوم أو لبس الحداد يليق عندما يكون شخص فى صحبة العريس الجديد ؟** إن يسوع يعلن زمنًا جديدًا ، ونظامًا اجتماعيًا جديدًا حيث الجميع يُعرفون فى كرامتهم مثل كائنات إنسانية ، وحيث الخطاة يستردون صداقتهم مع الله .

إن « ملكوت الله » قريب .

إن تلميذ يسوع فى أيامنا يفهم بسهولة أن من واجبه أن يضع خطاه فى خطى سيده وأن يتبعه . لأنه يجد فى كل مكان من العالم حالة مجتمع غالبًا ما تكون ممقوتة مثلما كانت فى فلسطين فى زمن المسيح . أمامه فقراء بدون ثياب ولا سكن ... أطفال جياع أو ناقصو التغذية ... عمال فى بطالة أو محرومون من كسب عملهم ... مرضى ، برص ، معاقون بدون أطباء ... لاجئون مطرودون من بلدهم وتائهون لا يجدون مأوى ... نساء اضطررن إلى حالة عبودية بدون أمل فى تحرر ... أسرى ليس من ينصفهم ، محكوم عليهم بالتعذيب والموت ... غير مهذبين وغير محبوبين ، يميلون إلى العنف والحرب ... الخ . يفهم تلميذ يسوع بدون صعوبة العمل الذى لابد له من أن يباشره أو يتابعه .



(١٠) سقف ينقب لإنزال مُقْعَد

(مرقس ٢: ١ــ١٢، لوقا ٥: ١٧ــ٢٦)

فى كفرناحوم ، يقيم يسوع عادة فى منزل بطرس . أهل البلد على علم بذلك ، ويسمح لهم أن يذهبوا لزيارته . وفى يوم من الأيام ، كان عدد لا بأس به قد حدد موعدًا للتواجد هناك ، فحضروا واحتلوا داخل الدار وملأوا فناءه أيضًا . وحسب عادته ، بدأ يسوع يوجه كلامه إلى هؤلاء المستمعين المتشوقين لسماعه .

وأمكن لبعض من الكتبة والفريسيين ، ورجال الدين ، أن يشقوا لأنفسهم ممرًا بفضل مقامهم . وهم هنا فى الدار يتتبعون بانتباه تعاليم يسوع ، ويراقبون بتدقيق حركاته وسكناته . ولكا كانت شعبية شخصيته تشغل بالهم ، وتتحرر تمامًا من نفوذهم ورقابتهم ، كانوا يتبعونه فى كل مكان . لا سبيل إلى أن يخطو خطوة دون أن يلتقى بهم . هم دائمًا فى إثره ! حقًا ، إنهم لا يرتاحون إلى مثل هذا النبى ... مهذبون وممالقون من قدام ، حاسدون ودساسون من وراء ، ها هى طبيعتهم .

جاء أربعة رجال يحملون مقعدًا على نقالة . حاولوا أن يشقوا لهم طريقًا ، ولكن عبثًا : الزحام يسد الباب . المريض العاجز يستعطف من يحملونه :

« بأية وسيلة ، أدخلونى لتضعونى أمام يسوع ... هو وحده يمكنه أن يشفينى ».

طرأت على بال أحدهم فكرة ، عبر عنها بالإشارة للآخرين . **وها هم**

يدورون حول المنزل ويصلون إلى أسفل السلم الخارجى الذى يسمح بالصعود إلى السطح .

يتزودون بحبال : ولعلهم يستعملون بكل بساطة حبال الشباك التى ينشرها بطرس الصياد على الحيطان فى الخارج حتى تنشف فى الشمس . **ويصعدون على السلم مع المقعد ونقالته .**

المعروف فى فلسطين أن المنازل كانت لها ـــ ولا تزال ـــ سقوف مسطحة .

فى زمن يسوع ، كان هيكل سقوف البيوت يتكون من روافد جميز . وبين الروافد ، كانوا يخلطون أغصانًا وأسَلا يفرشون عليها طبقة من صلصال معجون فى الماء . يصبح هذا الصلصال كنوع من الأسمنت الذى يحفظ فى المنزل رطوبة لطيفة . وفى الواقع ، من حين إلى حين ، كان السكان يرشون ماء على السطح ويمهدونه بواسطة رحى منحوتة لأجل ذلك ، حتى يتفادوا تسرّب المياه عند العواصف . أجل ، كان يحصل فى شدة الحر أن الصلصال يتفتت وينهار بين الروافد ، إلا أن إصلاح هذا الخلل كان يتم سريعًا .

لفرط ثقتهم فى يسوع ، **بادر الناقلون الأربعة فى كشط الصلصال وفتحوا** بسرعة بين رافدتين **ثغرة واسعة بالكفاية حتى يدلّوا الفراش الذى كان عليه المقعد بمساعدة حبال .**

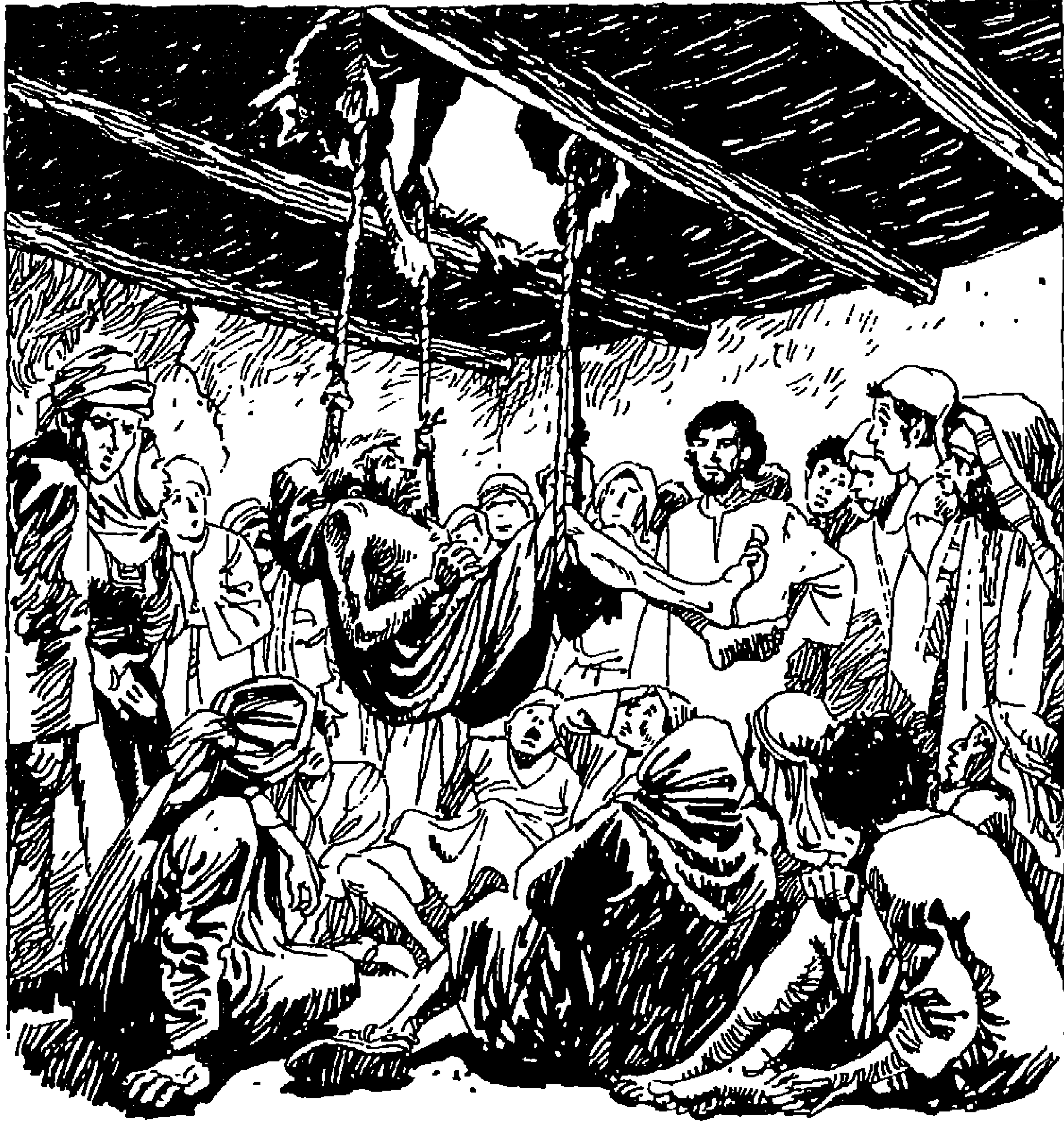
منذ بضع دقائق أوقف الجالسون فى الدار حديثهم والتصقوا بالحيطان . ماذا يحدث فوقنا ؟ ثم سمعوا صراخًا :

تنحوا !... احترسوا من الحصى !...

يالها من وقاحة ! من ينقب السقف هكذا ... ألن يتوقفوا ؟... آه ! يظهر أنه من أجل مريض ... حقًا ، إن لهؤلاء رباطة جأش وإيمانًا كبيرًا .

المستمعون لكلام يسوع لم يكُفُّوا عن دهشة واستغراب : ها هو المُقْعَدْ ينزل مطروحًا على فراشه .

آه ! ها هوذا !... إننا نعرفه جيدًا ... إن أصدقاءه قد جازفوا بإنزاله من الفتحة التى فى السقف .



فى الواقع ، **انتهى نزول المقعد عند قدمى يسوع** ... لم يفه بكلمة ، ولكن نظره كان يتكلم متضرعًا . أما يسوع فكان معجبًا بثقته . لقد كانت أعماق نفسه مكشوفة أمام يسوع : كانت عاهته النفسية أخطر بكثير من شلل أعضائه ، ضميره مثقّل بالخطايا . فهو مشلول من الناحية النفسية كما هو مشلول البدن أيضًا ، ويسلبه شره قدرة السير فى طريق الخير ... لعله معروف فى البلد كمتأصل فى ذنبه .

قال له يسوع ياصديقى ، ثقتك عظيمة فىّ !... **كن فى سلام ، « غفرت لك خطاياك »**.

حسب طريقة تفكير العصر ، قد يظن الحاضرون : بما أن شلله نتيجة خطايا ارتكبها ضد الله ، سوف يتبع الشفاء غفران خطاياه .

ولكن الكتبة والفريسيين الحاضرين تعثروا عند سماعهم كلام يسوع ،

لم يفوهوا بكلمة ولكن سخطهم ظهر من خلال النظرات التى يلقيها بعضهم على بعض . وها هى أفكارهم : « ماذا يقول يسوع ؟... هل يدرك دلالة كلامة وخطورته ؟... هذا تجديف !... هل يتوهم أنه الله ؟... لا أحد فى العالم يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ».

علم يسوع ما جال فى صدور هؤلاء الكتبة والفريسيين فضلاً عمّا جال فى صدر المقعد :

« أنا عالم بما تفكرون .. لكن أخبرونى :أيهما أيسر ؟ أن يقال للمقعد : غفرت لك خطاياك أم أن يقال : قم وارجع إلى بيتك على رجليك حاملاً فراشك ؟»



رغم هذا الاستجواب ، ظل الكتبة والفريسيون صامتين حذرًا ، لأن مضمون هذين الجوابين صعب ، سواء الغفران أو الشفاء . بما أن هذا وذاك يدخلان فى سلطة الله . فهو وحده له القدرة أن يشفى فورًا وأن يغفر الخطايا .

ولكن لننتبه !... يمكننا أن نتحقق من إحداهما . إن نجاحها قد يكون برهانًا على صحة الأخرى أيضًا ، أعنى أن يسوع له السلطان الإلهى الذى به يغفر الخطايا .

ويتابع يسوع : سوف أريكم أنى أنا ، ابن الإنسان ، لى السلطان الذى به أغفر الخطايا ...

فقال للمقعد : « قم ، واحمل فراشك واذهب إلى بيتك ».



قام المقعد فى الحال تحت أنظار الحاضرين المذهولين ، وحمل فراشه وخرج بمرأى من جميع الناس .

فاستولى الذهول على الجمهور ، الذى صاح فى نشوة :

ما رأينا مثل هذا قط !

فتزاحموا فى الخروج ليروا المقعد يمشى .



وذهل الكتبة والفريسيون أيضًا إلى درجة الاختناق من الغيظ ... ولكنهم استردوا سريعًا رباطة جأشهم :

يسوع هذا عجيب القدرة ... لكن هذا يطرح سؤالاً : ممن له هذا السلطان ؟... هل من الله حقًا ؟... ولو كان من الشيطان ؟... هل هو حقيقة المسيح ؟ هذا لغز لم يطالب بهذا اللقب ... بل قد يرفض بالأحرى أن يسمى هكذا ... ولكنه يعطى لشخصه تسمية « ابن الإنسان ». ماذا يخفى وراء هذا اللقب الذى أعطاه دانيال النبى فى رؤاه ، إلى شخص يجمع بين الإنسانية والألوهية معًا ؟... لغز آخر . ولكن المسألة لم تنتهِ : لابد أن نتابع تحقيقنا .

(١١) كتبة وفريسيون

ظهر الكتبة والفريسيون على مسرح التاريخ الذى نحن بصدده . وحان وقت تقديمهم . لأنهم سيلعبون دورًا فاصلاً فى تاريخ يسوع .

لم تكن طبقة الفريسيين طبقة كهنوتية ، بل جماعة علمانيين متدينين بإفراط . أكثرهم كانوا « كتبة »، أى أساتذة فى الديانة وحاصلين على شهادة من المدارس الدينية العليا . يلقون دروسهم فى هيكل أورشليم وفى المجامع اليهودية ، التى هى أماكن صلاة وتعليم موجودة فى كل مكان حتى فى أصغر القرى . يُؤوّلون أصول القوانين التى أعطاها موسى ويُجرون العدالة فى كل البلد . لهم تأثير على الشعب الذى بقى بفضلهم متدينًا ومتمسكًا بتقاليده . كانوا وطنيين ، ولا يحتملون احتلال بلدهم بالجيوش الرومانية بل يشجعون حركات المقاومة : الأمر الذى كان يجعلهم محبوبين من الشعب .

ولكن بعض الفريسيين كانوا متكبرين ، متباهين بعلمهم وسلوكهم . يرغبون فى الاحترام وإعجاب الناس بأشخاصهم . يظنون أنهم كاملون لأنهم يمارسون (بأدق التفاصيل) الأنظمة الدينية ... لا يهملون صلواتهم ويصومون أيام التكفير . يغسلون أيديهم قبل وجبات الغذاء وبعد التقائهم بالأجانب ، لأنهم كانوا يخشون النجاسة ! إن كان عدد لا بأس به من الفريسيين أناسًا مخلصين ومكرسين أنفسهم لخدمة الله ، كان بعضهم مرائين ، يحتقرون الشعب

غير المثقف أو ذا الثقافة البسيطة ، ويطيب لهم أن يقلقوه ويفرضوا عليه أنظمة معقدة للغاية لا يقوى على التخلص منها . وفضلاً عن ذلك لم تكن لهم سيرة حميدة ، ولكنهم كانوا يعملون فى الخفية .

فلم يكن هؤلاء الفريسيون مستعدين لقبول ، أن يقول لهم يسوع بعض الحقائق وأن يبرهن لهم بكل هدوء أن له رسالة دينية وأنه آت من الله .

ولهذا السبب سنشهد المعركة الهائلة التى يشنونها ضده إلى أن يحكم عليه بالموت .





(١٢) بَغِىّ تتسلل إلى وليمة الفريسيين الذين دعوا يسوع

(لوقا ٧: ٣٦ــ٥٠)

يتخذ الكتبة والفريسيون التدابير ليتبعوا **يسوع** خفية فى تنقلاته . إذا قام بجولة فى ضواحى كفرناحوم ، أو زار قرى شواطىء البحيرة الصغيرة **ووصل إلى مجدل** ، كانوا هناك أيضًا . ويذهبون لينبهوا سمعان ، الرجل الغنى الذى من طبقتهم **والذى تقع داره** فى ذلك المكان .

ياسمعان ، إن يسوع المشهور قد وصل هنا . ونحن نتحرّى أمره . إذا دعوته للعشاء ، يمكننا مراقبته عن قرب واستدراجه فى الحديث . ما رأيك فى هذا ؟...

فكرتكم ممتازة ، سأسعى لتنفيذها ... إلى اللقاء هذا المساء !

بضع ساعات بعد ذلك ، فى مدينة مجدل الصغيرة :

يايسوع الناصرى ، أهلا وسهلا بك فى مدينتنا . إن سُمعتك سبقتك إلى هنا ... أبلغت أصدقائى وأعيان هذا المكان ... نحن فى انتظارك هذا المساء للعشاء .

أقبل دعوتك .

هكذا **سمعان الفريسى يدعو يسوع للعشاء ، ويسوع يلبى طلبه .**

فى ذلك العصر وفى بلد يسوع ، لم تكن العادة إن يأكل الناس وراء أبواب مغلقة ، ولكن على مرأى وعلم من الجميع . من ينظم حفلة ساهرة يترك فناء بيته مفتوحًا لجميع الفضوليين . تمتد السفرة فى أوسع قاعة أو حتى فى الفناء . يقبل المدعوون وحدهم ، لكن يمكن لأى شخص أن يحضر للتحدث حول المائدة . قد يتشرف رب البيت بهذا الإقبال الذى يضمن له شعبية كبيرة . وطرد شخص ، ولو كان شحاذًا أو رجلاً غير مرغوب فيه ، يعتبر نقصًا فى آداب السلوك . وبالعكس ، إنه من حسن الآداب أن يقدم لكل الزائرين كوب خمر وبعض الفواكه الجافة .

فى الإستقبالات التى تنظّمها أسر الطبقة العليا ، تتخذ رسميات منصوص عليها قبل الشروع فى الأكل . وقبل كل شىء يتقدم عبد من الخدم بطست وإبريق ماء ويغسل أرجل المدعوين : ففى الواقع كانت الطرق كثيرة الغبار ، والناس يسافرون محتذين نعالاً من جلد ، فالعرق والغبار المتراكمين على الأرجل يقتضيان العناية بالنظافة . فضلاً عن أن المدعوين يأكلون متمددين على دواوين ، لا يجوز أن تلوث . وعلامة أخرى لأدب الضيافة هى أن يوضع على أرجل وأذرع المدعوين قليل من سائل مزلّق معطر ، يلطف الجلد الذى حرقته الشمس ويترك عليه تأثيرًا مريحًا .

ويتوجه المدعوون إلى قاعة الوليمة . فى مدخل القاعة يسلم رب البيت على ضيوفه بقبلة ترحيب ويعرّفهم بعضهم ببعض .

ثم يقتربون من المائدة متمددين على الدواوين التى تحيط بها ، ويأكلون مستندين إلى المرفق الأيسر حتى يسهل عليهم الأكل باليد اليمنى . أما المائدة ، فهى على شكل حدوة مفتوحة على ممشى تسهيلاً للخدمة . تُعلّى الدواوين وسائد قريبة من المائدة . ويمد الجالسون أرجلهم نحو الخارج .

حرص سمعان على أن يُظهر لضيوفه ، وأغلبهم فريسيون مثله ، أنه لم يَدْعُ يسوع لإعجابه به ولا مراعاة له ولكن لمجرد مراقبته عن قرب . والبرهان على ذلك أنه لم يعطه أية علامة تعاطف خاصة ، و لم يحطه بأية رعاية أدب تستلزمها آداب الضيافة. لم يطلب من أحد عبيده أن يغسل أرجل يسوع و لم يعطه بالطبع قبلة الترحيب .

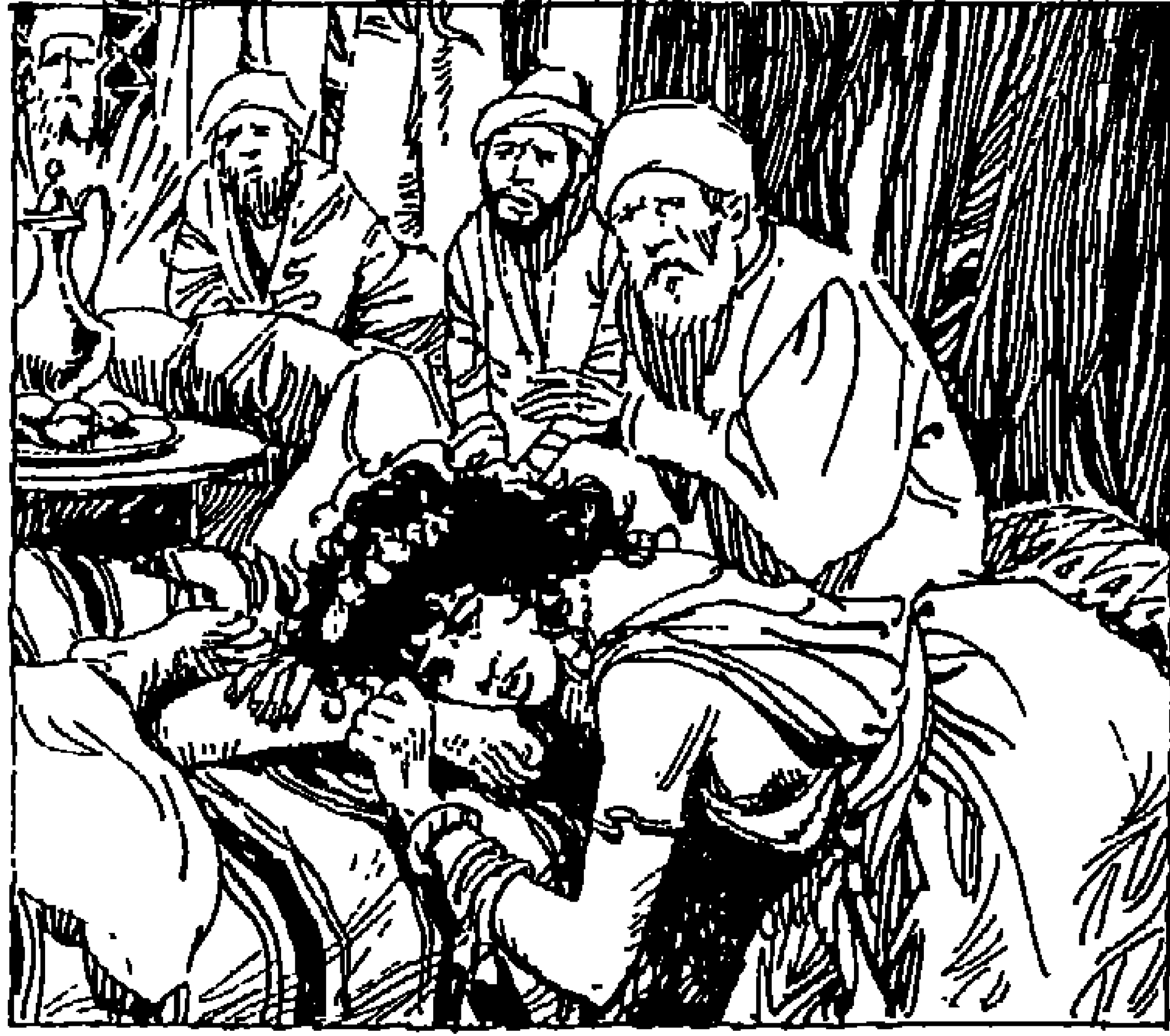
خلال الوجبة ، من ياترى راح يحوم حول الموائد ، **ويعاين المكان الذى تمدد فيه يسوع ؟.. امرأة ، تعرفها كل المدينة كبغىّ** ، ويتحقق كل شخص من صفتها حقًا ، إن هذا النوع من الأشخاص لا يتردد أمام أية وقاحة : فهو يجهل تمامًا الحياء البشرى والخجل . **كانت المرأة تحمل قارورة طيب فجلست عند قدمى يسوع** المجاورتين للديوان، **وجعلت تقبّل قدميه وتدهنهما بالطيب ، وتبكى فى ارتباك إلى حد أنه من كثرة بكائها كانت تبلل قدميه بالدموع .** ثم أسرعت فى حل جدائلها **تمسح قدميه بشعرها .**



ما الذى يجول فى قلب هذه المرأة ؟... لعلها سمعت يسوع يتحدث أو أبصرته من قبل ... أو قيل لها إن يسوع لا يحتقر أحدًا حتى ولا البغايا

مثلها ... ألم يأكل مع أناس من نوعها فى السهرة عند متى ؟ ففهمت أنه يوجد حب أعظم وأجمل مما كانت تظن ، وقررت أن تعدل عن حياتها الخاطئة ، ومن فرط سعادتها عاهدت نفسها ، ألا تكون بعد البغىّ التى باعت جسمها لطلاب المتعة ، جاءت تشكر الذى انتشلها من العار وأعطى قلبها حياة جديدة . إنها تبكى فرحًا لإدراكها أن حياتها ستبدأ ثانية ، فتّية ، وأنها ستستعيد نفسها . وتعمل ذلك بطريقتها ، التى هى طريقة عصرها وهى تقبيل الأرجل . وفى الواقع كانت هذه علامة اعتراف بالجميل لمن أنقذ حياتها . ولكونها جرؤت على مسح الأرجل بشعرها لابد أن يكون عرفانها للجميل قد وصل إلى قمته ، لأن كشف الرأس علنًا أمام الرجال ، بالنسبة إلى امرأة من هذا البلد وهذا الزمن ، هو عار فظيع .

ظلت هكذا خائرة القوى ، تستحى من جرأتها ، تشعر بأن أنظار جميع المدعوين مركزة عليها .



إن هذا حقًا غير متوقع وغير مناسب بتاتًا ... بغىّ فى وليمة لا يقبل فيها إلا الرجال ... لدلالة عاطفية من هذا النوع ... ويسوع هذا الذى يقبل ... ماذا ينتظر ، لماذا لا يبعدها بركلة ، فى وجهها ؟... ولكن لا ، إنه يقبل هذا التصرف . **سمعان منزعج من ذلك** ، ساخط .... يشعر بأن كل أصدقائه الفريسيين متضايقون ، متعثرون بهذا المنظر . **قال فى نفسه : لو كان يسوع حقًا نبيًا ، لعلم من هى المرأة التى تلمسه وما حالها ، إنها بغىّ .**

إن هذا حقًا غير متوقع وغير مناسب بتاتًا ... بغىّ فى وليمة لا يقبل فيها إلا الرجال ... لدلالة عاطفية من هذا النوع ... ويسوع هذا الذى يقبل ...

ماذا ينتظر ، لماذا لا يبعدها بركلة ، فى وجهها ؟... ولكن لا ، إنه يقبل هذا التصرف . **سمعان منزعج من ذلك** ، ساخط .... يشعر بأن كل أصدقائه الفريسيين متضايقون ، متعثرون بهذا المنظر . **قال فى نفسه : لو كان يسوع حقًا نبيًا ، لعلم من هى المرأة التى تلمسه وما حالها ، إنها بغىّ .**

ولكن يسوع جلس مرتخى العضلات ، وكأن لا شىء يحدث ، قطع السكوت العميق الذى كان قد خيم بغتة على الوليمة . واتخذ الطريقة الشرقية لتفكيه حديث المدعوين وهم على المائدة . عرض عليهم ألغازًا وأحاجى كثيرة .

وقال لسمعان :

بهذه المناسبة ، عندى قصة أسردها عليك :

قل يامعلم .

حسن ، ها هى القصة : « كان لمداين مدينان ، على أحدهما خمسمائة دينار (الدينار أجرة عمل يوم) ، **وعلى الآخر خمسون . ولم يكن بوسعهما أن يقضيا دينهما ، فأعفاهما الاثنين . فأيهما ، حسب رأيك ، يكون أكثر حبًا واعترافًا بجميله ؟**

فأجاب سمعان : هذه القصة سهلة الحل وإن كانت لأول وهلة ، تخفى حيلة ، أحبولة لا أحرزها ـــ ولكن ، **يظهر جليًا أنه ذاك الذى أعفاه من الأكثر** . ولم يكن للثانى أسباب كافية ليكرر التشكرات .

فقال له يسوع : « **بالصواب حكمت** » **وها هو التفسير ....: أترى هذه المرأة ؟ والتفت يسوع إليها ـــ إنى دخلت بيتك فما سكبت ماء على قدمى وأما هى ، بالعكس ، فبالدموع بلّت قدمىّ وبشعرها مسحتهما ... أنت لم تطلب أن يسكب على رأسى دهان معطّر جريا على العادة ، أما هى ، بالعكس ، فبالطيب دهنت قدمى ... أنت لم تعطنى قبلة الترحيب المعتادة عند وصولى ، وأما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل قدمى . ولذا أقول لك : إنما غفرت لها خطاياها الكثيرة ، ولذلك تعبّر عن عظيم اعترافها بالجميل . وأما الذى يغفر له القليل ، فإنه يعرب عن أقل إقرار بالجميل .**

قد يمكن لسمعان أن يطبّق المثل على ذاته : لعل سيرته حسنة فى نظر نفسه ، وهو يلوم نفسه على القليل ، وأنه لم يعمل خطايا توجب أن يطلب الصفح عنها . وكذلك على ما يستحق عنه الصفح . ولكن إعجابه بنفسه وثقته فيها يعرّضانه للكبرياء . من الأفضل أن يكون الإنسان خاطئًا ويعترف بخطئه ومتواضعًا ، فيغير حياته ويرجع إلى الله من كل قلبه : فى هذه الحال يشعر بغنى لطف الله الذى غفر له خطاياه الكثيرة ، وهنا يزداد حبه لله .

المرأة لا تزال هنا ، خائرة القوى ، عند قدمي يسوع . تنتظر كلمة ، نظرة انتباه ، بقلق هائل .

فيقول لها يسوع :



ياابنتى ، غفرت لك خطاياك .

إزاء هذا التصريح ، ذهل الحاضرون ، لأن تفكيرهم تطابق مع ما فكّروا فيه يوم شفاء المقعد الذى أُنزل من كوة فى السطح ، وهو أن الخطيئة إهانة وتمرد على الله . فالله وحده يغفرها . إذن هناك واحد من اثنين :

إما أن يسوع ينسب لنفسه سلطة الله ، وهذا أشنع تجديف . وإما أن الله ذاته حاضر فى هذا الرجل الذى يسمّى يسوع . ولكن لا يمكنهم أن يقبلوا هذا الافتراض الثانى ، بل حتى أن يفكروا فيه . **وها هو السؤال الذى يطرحونه فى قرارة أنفسهم :**

من يعتقد فى نفسه أنه هو حتى يتجاسر على غفران الخطايا ؟... من هو هذا الشخص ؟...

ولكن يسوع يختم كلامه مخاطبًا المرأة :

اذهبى بسلام يابنتى ... إيمانك فىّ قد خلصك !

البغىّ المجدلية لم تحصل فقط على غفران خطاياها ، ولكن ردّ لها اعتبارها فى نظرها . وبفضل يسوع قد اندمجت من جديد فى المجتمع بصفة علنية . إننا نتخيل فرح هذه المرأة الغامر التى كان الناس يحتقرونها ويعاملونها كأنها خارجة عن القانون .

والواقع أنه ، منذ ذلك اليوم ، مريم المجدلية ، التى تدعى أيضًا « مادلين »، شرعت فى اتبّاع يسوع ومعها زمرة من النساء .

(١٣) الخروف الضال

(لوقا ١٥: ١ــ١٠، متى ١٨: ١٢ــ١٤)

فى نهاية هذه الوليمة **سرد يسوع بعضًا من أجمل أمثاله من أجل الكتبة والفريسيين الذين ينتقدونه عندما يرونه يتعامل مع الخطاة** ، ولا يمكنهم القبول بأن الله يهتم بمثل هؤلاء الناس .

اختار عمدًا مثلاً من تصرفات الرعاة الذين يُعرفون بأنهم غير جديرين بالإحترام فى ذاك العصر . فى الواقع أنهم يُتهمون غالبًا بأنهم يسرقون صاحب الغنم محتفظين لأنفسهم بقسم من مورد القطيع .

قال يسوع : **لنفرض أن أحدكم له مائة خروف** . وفى المساء ، بينما كان يعد خرافه وهو يسوقها إلى الحظيرة ، **لاحظ أن واحدًا منها غائب** . وكان بالذات الخروف الضائع من بين الخراف المستقلة والمحبة للمشاجرة . **ماذا يفعل ؟ لا يتردد . إنه يترك التسعة والتسعين** تحت حراسة كلابه ويمضى ينشد الخروف الضال . لأنه يعلم أن خروفًا تائهًا مدة طويلة فى الجبل لا يمكنه أن يلحق القطيع . قد يكون متعبًا للغاية ، فيتمدد على الأرض . وأكثر من ذلك ،

لا يمضى ليلة فى الجبل دون أن تهجم عيله الذئاب وتفترسه . والراعى يحدث نفسه قائلاً : أنا متمسك بهذا الخروف ... أكثر من تمسكى بالخراف الأخرى ... قد أقول : إنه صعب المراس .... أما بالنسبة إلى الخراف الأخرى ، ليكن ما يكون . وها هو ماض للبحث عنه .

وعندما يجده ...

آه ، هـا أنت ذا ، ياخروف !... متشبث فى علّيق ... لكن لا تخف ، ياخروفى المحبوب ، لـن أضربك رغم أنك تستحق العقاب ، لأنك تـركت القطيع ... إنك مـرتجف وضعيف ... **سأحملك على كتفى** ، كما كنت أفعل بك حينما كنت حملاً رقيقًا .



وعندئذ ، عندما يلقى الراعى خروفه ، يرجع فرحًا ويود أن يشترك معه فى فرحه كل الرعاة .

تعالوا ياأصدقائى !... عندى قنينة خمر طيبة ، **افرحوا معى ، فقد وجدت خروفى الضال .**

ويختم يسوع :

وإذا كان هذا الراعى لم يرض أن يضيع منه خروف واحد ، فإن الله بالأحرى لا يحتمل أن يضيع إنسان واحد . عندما يلقى الذى ضل بعيدًا عنه ، يكون فرحه بالتائب الواحد أكثر منه بالتسعة والتسعين بارًا ، الذين لا يحتاجون إلى التوبة ، وسببوا له أقل همّ ، بينما كان قلقه عظيمًا على الذى ضلّ !

لا جدوى من أن نبحث قائلين : « كيف يمكن هذا » لدى الكائن الأعلى الذى يملأ الكون بوجوده ويعلو فوقنا علوّا متناهيًا ؟ إن يسوع ذاته هو الذى يخبرنا كيف يهتم الله بنا ، نحن البشر .

وإكرامًا للنساء اللائى كن يسمعنه ، **يضيف يسوع هذه القصة الثانية : قصة المرأة التى لديها عشر قطع من الذهب أو الفضة ، وأضاعت قطعة واحدة .**

يُسمع صياح فى طريق من طرق القرية :

أيها الجارات ، أسرعن لنجدتى !... انظرن !...

وكشفت عن صفّ قطع الذهب والفضة التى تزين جبينها : هى مالها الشخصى ، مهر زواجها الذى تحمله دائمًا معها . فيما لو حدث أن يطردها زوجها ، تحتفظ بملكيتها لها . وتقول :



أنظرن... كان لدىّ عشر قطع وأضعت واحدة منها ! هذه كل ثروتى ... لا أعلم أين وقعت ... ساعدونى فى البحث عنها .

وشرعت تكنس منزلها خاصة فى زواياه وأركانه:

تنظر تحت الحصر والجرار والقِرب والصناديق ... **حتى وجدتها : آه !! ها هى !** تدحرجت إلى هنا !... **أخيرًا وجدتها** لحسن الحظ **ياجاراتى** أرجعنها إلى صرتى . **احضرن** ، سنرقص فى ساحة القرية ، **أريد أن تشتركن فى فرحتى !**

وختم يسوع كلامه : ها هو المزيد من الفرح الذى يعرفه الله عندما يرجع شخص خاطىء .

قد لا ندرك مدى فرح الله بالخاطىء التائب ، ولكننا نتقبل هذه الحقيقة لأن يسوع هو الذى شدد عليها وأبرزها . ولذلك فكل خاطىء يتوب توبة

حقيقية تراه قد تخلص من الشعور بالذنب الذى كان يؤرقه دائمًا ، ويستأنف حياته ، وقد تجدد فى داخله ، بعد حصوله على الغفران .

(١٤) عندما يتكلم يسوع عن حنان الله

(لوقا ١٥: ١١ــ٣٢)



استمر يسوع فى كلامه وسرد قصة لا يمكن أن يسمعها أحد إلا ويتأثر تأثرًا شديدًا .

كان لرجل ابنان ... وكان هذا الرجل رب مزرعة ، وعلى قدر من الثراء

قال له أصغر أولاده ...

« ياأبت ، أعطنى نصيبى من الميراث »...

بحسب قوانين البلد فى ذلك الزمن ، كان من حق أصغر الأولاد ثلث الميراث عند بلوغه ، بينما الأخ الأكبر له الحق فى الثلثين . وكان فى وسع الابن أن يبيع حصته ، ولكن لا يسمح للمشترى أن يستولى عليها إلا بعد وفاة الوالد ، الذى كان من حقه أن ينتفع بها أمد حياته .

فى الغالب ، أن هذا الشاب الأصغر قد ضجر من حياة أهل الريف الرتيبة والمملة . فكان متعطشًا إلى الحرية : تجذبه حياة المغامرة بعيدًا عن عيشته فى منزله وبلده ، إلى جانب أن سلطة أبيه تضايقه : فلم يرغب فى الخضوع

لوالده ، بل كان يريد أن يعتمد على شخصيته، ويريد أن يكون نفسه بنفسه حتى النهاية .



والواقع بل والغريب ، أن **الأب** لم يُبْدِ أية مقاومة ، لكنه كان يحترم حرية ابنه الذى أصبح بالغًا . **فشطر ماله بين ولديه** . ورضى بسفر ابنه الأصغر ، رافضًا أن يسلبه حرية تصرفه كبالغ مسئول .



خلال بضعة أيام ، **باع الابن الأصغر عقاراته** ، محققًا مبلغًا لا بأس به من المال **وسافر إلى بلد بعيد ، وبدد ماله هناك فى عيشة التبذير . وسريعًا**

وجد نفسه **بدون شىء** ، ومهملاً من الجميع ومع ضياع ماله أيضًا أصدقاءه .

وقد زاد الطين بلة ، أن ذلك البلد أصابته مجاعة شديدة ، فأخذ هذا الابن يشكو العوز ويتألم من الجوع . ما العمل ؟ فى بلد يصعب على مواطنيه أن يتزودوا بالمؤن ، يُحرم الغرباء من كل شىء بدون شفقة . لم يبقَ للشاب إلا حل واحد : أن يَعرض نفسه للخدمة عند الناس . **وفى الواقع ذهب فى هذا الصدد إلى رجل من أهل هذا البلد ، كان يربى خنازير . فأرسله هذا إلى مزرعته ليرعى قطيعه** . لكن لم يكن شىء يحطّ من قدر هذا الشاب أكثر من أنه يرعى الخنازير ، التى تعتبرها شريعة موسى حيوانات نجسة . وكأنه ينكر نَسَبَه ودينه ... **كان خاوى البطن ويشتهى أن يملأه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله** (كانت فاكهة الخرنوب تعطى مأكلاً لخدام المزرعة لعدم وجود شىء أفضل). **ولكن لم يكن صاحب المزرعة يعطيه من الخرنوب** : لأنه كان يضع اهتمامه فى تسمين الخنازير أكثر منه فى إطعام الخدم . كان المسكين مضطرًا إلى أن ينافس الخنازير على حصتها من الأكل .



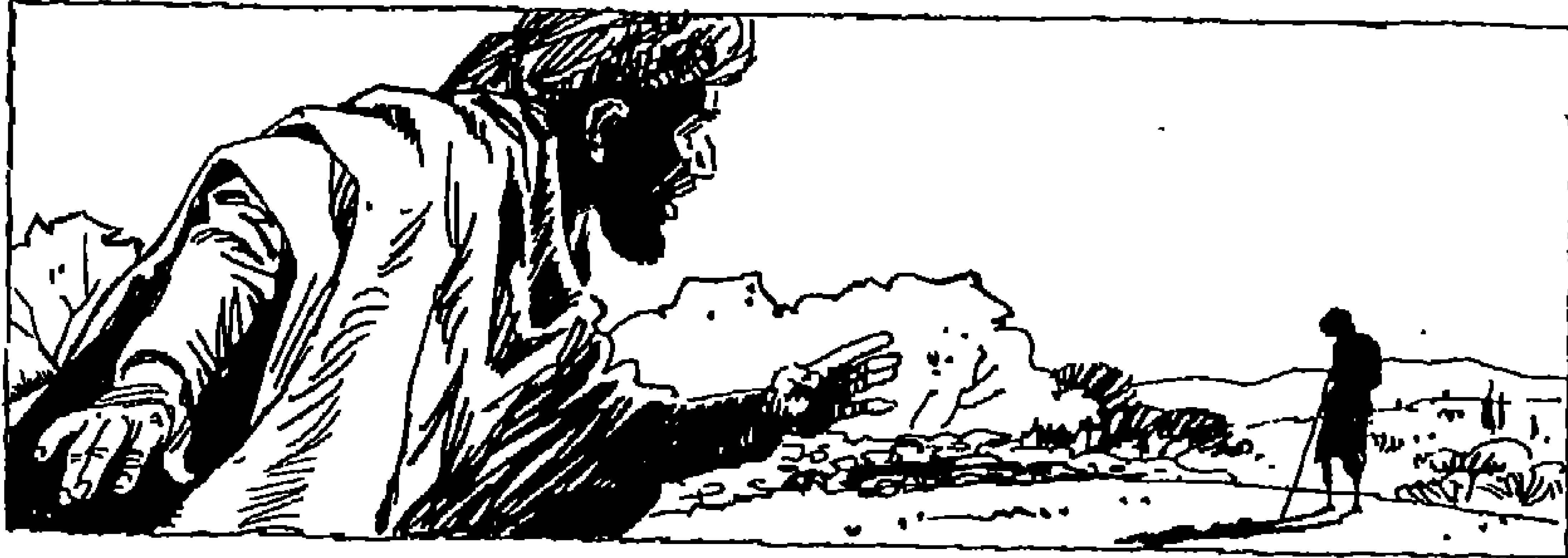
وفى بؤسه هذا رجع إلى نفسه وشرع يتأمل قائلاً : « كم أجير لأبى يفضل عنهم الخبز ، وفى نفس الوقت أنا أهلك هنا جوعًا ... قد فرغ معين صبرى . سأرجع إلى أبى وأقول له : « ياأبت ، أسأت التصرف وأعترف بذلك . إنى أخطأت إلى السماء وإليك ، ولست أهلاً بعد لأن أدعى لك ابنًا ،

فاجعلنى كبعض أجرائك »... فى تعبيره هذا كانت فكرته صحيحة : بما أنه حصل على حصته من الإرث ، لا حق له بعد فى المطالبة بأى شىء ، لا بالطعام أو اللباس أو السكن ، ولذا ففى نيته أن يكسبها بموجب عمله ... آه ، إنه يحمّر وجهه خجلاً عندما يفكر فى الخزى والإذلال اللذين يلحقان به حينما يتقدم فى حالته البائسة . كيف سيُقبل فى منزل أبيه ؟ ليس له إلا أمل واحد : أن يثق فى محبة أبيه . **فقام ومضى ليرجع إلى أبيه .**

كلما اقترب تحقّق من البلد ... تعرّف إلى الكروم ومزارع الزيتون ، واستبان شجر التين . عادت إلى ذهنه ، وتدافعت كل الذكريات ... وها هو هناك بيت أبيه . ماذا سيحصل لو صادف أباه فى منعطف الطريق ، أو أخاه أو أحدًا من شيوخ الأجراء ؟... يرتعش لمجرد هذه الفكرة ... لا يجرؤ أن يتابع سيره ... ولكن ، من الآتى لملاقاته ؟...



لم يتعزَّ أبوه عن سفره . هذا المستهتر ، هذا الابن الضال ، الذى لا يزال مع ذلك ودائمًا ابنه . منذ سفره كان والده حزينًا . كان شيخًا مجهدًا . انفطر قلبه ... **وكان الشاب لم يزل بعيدًا عن المنزل إذ رآه أبوه على الطريق** . لابد له أن يكون والدًا حتى



يعرف عن ذلك البعد الابن المتمرد ، الذى ترك المنزل بغطرسة قبل بضع سنين ، والآن ، تحت أطمار تغطّى بكد أعضاءه الهزيلة ، بدون معطف ولا أحذية ، والشعر مشعث بدون ترتيب ! ولكن قلب الأب لا يخطىء فى تقديره . **مهتز المشاعر بالشفقة على هذا البائس المر النفس** ، ومدفوعًا بالحنان الذى يفيض من

قلبه ، لم تخالج صدر الأب لحظة واحدة الفكرة أن ينتظر برباطة جأش ونظرة منتصرة ابنه العائد بمرارة فى القلب وخيبة فى النفس . إنه لا يرى إلا شيئًا واحدًا : ابنه الراجع إليه .



وها هو الأب يركض سريعًا لملاقاة ابنه ، فيضمه بين ذراعيه دون أن يترك له الفرصة أن يفوه ببنت شفة ، ولا يأبه بوجهه المبلل بالعرق من كثرة التعب والتأثر ، **ويقبّله طويلاً .**

عندئذ ، وبينما الدمع يملأ عينيه من الخجل والسعادة ، بدأ **الإبن الضال** اعترافه . كان يود أن يتخلص من عناق والده ويرتمى على قدميه . لكن عبثًا ، وقد خانته قواه . **فتمتم** الجملة التى حفظها عن ظهر القلب :



« أقر بأنى أسأت تصرفى وأنى أخطأت إلى الله وإليك ، وأعرف أنى لست أهلاً بعد لأن أدعى لك ابنًا . ولكن الأب لم يتركه يتابع جملته ، والابن يشعر أن الإعلان لأب محب للغاية أن ابنه يود أن يصبح أحقر خدامه قد يكون إهانة للوالد . فلا يسع الابن إلا أن يبكى أسفًا وفرحًا ، ملقيًا رأسه على صدر أبيه .

وها هما يستجهان نحو المنزل

كصديقين حميمين ، يضم كل منهما الآخر . لا يقبل الوالد أىّ تحفظ بينه وبين ابنه : يقصد بالعكس أن يمحى كلّ اضطراب ، كل شعور بالتفوق أو بالنقص . ويرفض أن يذكّر ابنه بأنه أخطأ ، ويأبى كذلك أن يطالبه بتعويض . قد اتخذ الابن بادرة الرجوع : وهذا يكفى الأب . من الآن فصاعدًا ، لن ينظر إلا إلى فرحة الملاقاة .

وأول خدم يلقونهما يتعرفون على ابن سيدهم تحت ثيابه الممزقة . والأب يقرأ فى وجوههم ابتسامة هازئة تنطق بالكثير عن حقيقة مشاعرهم . ولكنه لا يتغاضى عن ذلك : يود أن يعامل ابنه كشخصية بارزة .



«**اسرعوا فهاتوا أفخر حلّة وألبسوه إياها** (كانت العادة أن يقدم ثوب رسمى لمكافأة فضل كبير ، مثلما ، فى مكان آخر ، يمنح وسام). **واجعلوا فى إصبعه خاتم الأسرة** (المزود بالطابع الذى يستعمل للتصديق على الإجراءات الرسمية)... « **وفى رجليه نعلين** » (**المواطن الحرّ يمشى محتزيًا ، بينما العبد يسير حافى القدمين**)...

« **وإذبحوا العجل المسمن** » (**لم يكونوا يأكلون لحم عجل إلا فى المناسبات الكبيرة**)... « **فنأكل وننعم** »: **نحن نحتفل بمناسبة سعيدة للغاية : لأن ابنى هذا قد رجع رغم أنى ظننته لن يعود ، وها هو قد عاد . فبالنسبة إلىّ كان ميتًا فعاش ، وكان ضالاً فوجد** ».

فأخذوا ينعمون . وكانت إعادة الاعتبار كاملة بعد الصفح والغفران . لم يعد الماضى موضوع بحث بعد . قد تلاقت الأسرة ثانية بعد طول فراق .

ويقصد الأب أن يعرف الجميع ذلك ويفهمونه .

كان فى وسع يسوع أن ينهى هنا قصته : فهى كافية لفهم مدى حبّ أبيه السماوى للخطاة : حب لا يكلّ ، يتبع الإنسان إلى أبعد ما يضل ، ولكنه يحترم إرادة استقلاله وكرامة حرّيته ومسئوليته .

ولكن يسوع أضاف :

غير أن الابن الأكبر كان يدير الشغل فى الحقول . وعند عودته وبعد انتهاء النهار ، سمع العازفين والمغنين الذين أحضرهم الخدم ليزيدوا بهاء الاحتفال . **فطلب الابن الأكبر أحد الغلمان وسأله عما يحدث :**

« رجع أخوك ، وأبوك فى غاية السعادة لملاقاته سالمًا ، ذبح العجل المسمّن لرفع شأن الحفل »



ماذا !!؟... رجع أخوه ، وأبوه يحتفل بهذا الرجوع !؟ إنه لأمر لا يطاق !... **فاعتراه غضب شديد وأبى أن يدخل البيت** ليعبر عن سخطه .

لما علم **الأب** برجوعه لم يتردد لحظة : **وترك المائدة وخرج إلى ابنه الأكبر يرجوه بإلحاح** وبكلمات عذبة **أن يأخذ مكانه على المائدة .**

لكنه أجاب أباه بامتعاض :

كيف ؟... « ها أنا أعمل للأسرة منذ سنين طوال ، ولا أعصى لك أمرًا ، فما أعطيتنى حتى جديًا واحدًا لأنعم به مع أصدقائي . ولما رجع ابنك هذا بعدما أكل مالك مع البغايا ، أقمت له وليمة وذبحت له العجل المسمن .

يابنى الحبيب ، من يسمعك يظن أنك تُعامل كعبد ... **ألم تكن معى دائمًا ؟ أنت هنا فى بيتك وكل ما هو لى فهو لك . ولكن كان لابد أن**

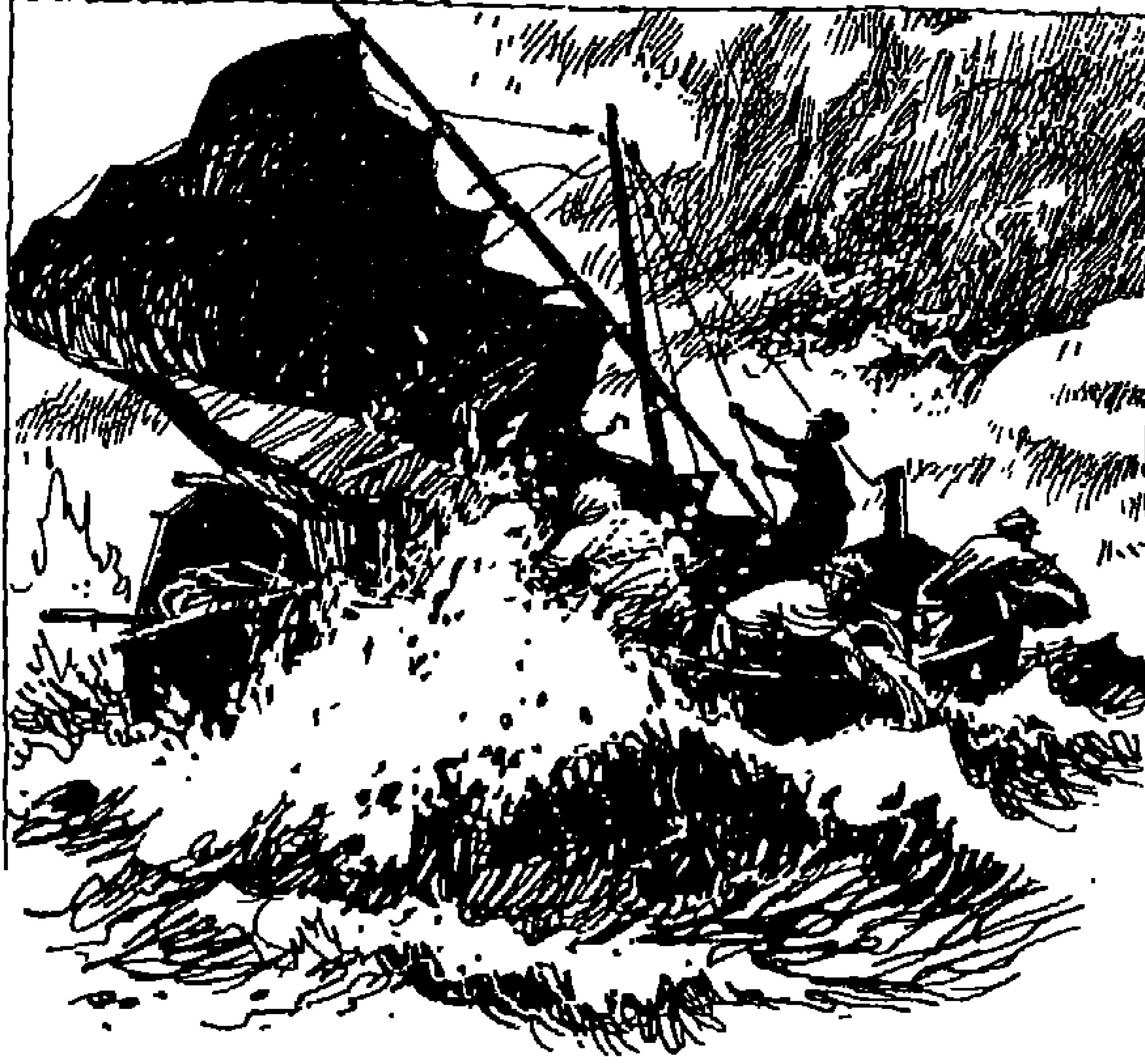


نحتفل بهذا الحدث ، وكان عليك أن تمتلىء أنت أيضًا مثلى بالفرح . فكّر فى ظرفنا هذا : إن أخاك هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد !

عندما يسرد يسوع هذ القصة ، فإنه يفضى إلى سامعيه بمكنونات الله . يعلن عن الحنان الذى يغمرنا به حب الله . لا يجوز للإنسان أن يرى فى الله نوعًا من الحاكم الذى ينتظره عند منعطف الطريق ليضبطه متلبّسًا بخطيئته ويجرّه لاهثًا إلى محكمته . إن ذلك فكر خاطىء ومهين ، تنقضه تمامًا صورة الأب الذى يقدمه يسوع فى المثل ، أب يسرع تجاه ابنه ، حالما يهمّ هذا بحركة رجوع . وبينما فى سائر الأديان يظهر المؤمن مثقّلاً بشعور ذنبه ــ ولذا نجد فى تلك الأديان عددًا لا بأس به من طرق التكفير ــ يسوع يشدد على إله حنّان يغفر الزلات ، يقدم يسوع كصورة الله أبًا يحرم نفسه من خيراته ، من حقوقه لعرفان الجميل ومنت تقديرْ ابنه لشخصه وحتى من كرامته . كل هذا ليعطى الفرصة لابنه أن يحقق شخصيته تمامًا ، لكى يعيش حياته بكل حرية ومسؤولية وألا يشعر بأنه فى قبضة سلطة أبيه . هكذا الله يعرض ذاته على الإنسان ولا يفرضها . ومثلما كانت الحال بالنسبة للأب فى المثل ، فإن تلبية رغبات الله منوطة بالإنسان .

هذا ما لا يفهمه بعض الكتبة والفريسيين ممن يدعون استقامة الرأى . روى لهم يسوع قصة هذا المثل ... أجل لأولئك الذين تشككوا واصطدموا برؤية يسوع يهتم بالخطاة المعروفين . هؤلاء الكتبة والفريسيون يشبهون الابن الأكبر ... وهنا نجهل نهاية القصة : لأن يسوع لم يذكر ما إذا كان الأخ الأكبر قد اشترك أخيرًا فى ابتهاجات الأسرة أم لا .

ويعطى يسوع التفسير الصحيح لتصرفه إزاء المرأة الخاطئة : هكذا الله الآب ، يمتدحه إلى ذلك الحد البعيد ويعظم فرحه حتى يرى خلاص الذين كانوا ضالين ، وكان هو قلقًا تمامًا على حالتهم . ويْفهِم الكتبة والفريسيين : « أنتم يامن تشعرون ببركم الذاتى ، المتمتعون بامتيازات لأنكم مثل الأخ الأكبر ، لا تتركون أسرتكم ، أرجو ألا تحتجوا على فرح الله ، بل أدخلوا قاعة الوليمة ، وإلا سوف تفتقدون كل شيء من « احتفالات الله ».



(١٥) عاصفة تهب بغتة ... ويسوع على ظهر السفينة

(مرقس ٤: ٣٥ـ٤١،
لوقا ٨: ٢٢ـ٢٥،
متّى ٨: ٢٣ـ٢٧)

يريد يسوع الذهاب ليعلن عن ملكوت الله إلى شاطىء البحيرة المقابل . فيطلب من بطرس أن يعود إلى سفينته ويجعلهم يعبرون هو وتلاميذه .

قد خيّم الليل . لابد من عدة ساعات لعبور ما يقرب من الاثنى عشر أو الخمسة عشر كيلومترا التى تمثل عرض البحيرة . غير أنه ، فى بعض مراحل السنة ، يكون عبور البحيرة **محفوفًا بالخطر** : فعندما تندفع ريح شرقية معينة فى حوض هذا البركان الطبيعى القديم ، الذى يهبط مائتى متر تحت سطح البحر ، تحدث عواصف .

وهذا هو ما حصل بالضبط فى تلك الليلة . **كان يسوع متمددًا فى مؤخرة السفينة** بين الشبكة ومقعد الجدافين ، **ورأسه على وسادة** ، تعبًا بعد كرازة نهار كامل ، **ونائمًا** على هزهزة المجاديف المنتظمة ... **ولكن ، فى وسط البحيرة ، جرت الريح بغتة . فهبت عاصفة هوجاء وأخذت الأمواج تندفع أعلى من السفينة** . ولأنّ سفن الصيد مسطحة . فهى غير معرضة للانقلاب

إلا فى أندر الأحوال لكن قد تتخطّاها الأمواج ، وهنا يكمن الخطر .

أصبح تلاميذ يسوع حقًا فى خطر . بعد الآن لا جدوى من التجديف ... طووا الشراع ولم يتمكنوا من دفع الماء خارج السفينة بسرعة كافية . ولما اشتدت الريح ، اضطروا أن يتعلقوا بشىء ، بخيبة أمل ، خوفًا من السقوط ... وها هى السفينة تغطس شيئًا فشيئًا ، وتفقد توازنها شيئًا فشيئًا فى وسط الأمواج المتلاطمة . كان يسوع قد نام ملء جفنيه . هذا الهدوء الزائد أغضب التلاميذ . إذا استمرت الريح عشر دقائق بهذا العنف ، سيهلك كل شىء . وسوف يغرقون فيموتون ... ليس إلا سلطة تفوق قدرة البشر يمكنها أن تنقذهم . **فهزوا كتف يسوع حتى يوقظوه** .

« **لعلك لا تظن أننا فى خطر عظيم ... نحن على وشك الغرق** ... أما تبالى أننا نهلك ؟». كانت هذه صرخة ضيق ... لكن ما لهم يخافون ، بما أن يسوع معهم ؟



« **يا لكم خوافون !... هل هذه كل ثقتكم فىّ ؟**»

عندئذ ، فى وسط هؤلاء الرجال الذين فقدوا كل حيلة : مشعثى الشعر وثيابهم لاصقة بأجسامهم ، الأوجه متصببة عرقًا من الخوف ، والسيقان خائضة فى الماء ، والأذرع معلّقة بحبال السفينة ، **قام يسوع** ... ياله من تهور أن ينتصب هكذا ويواجه العاصفة مثل شراع مركب ، معرضًا للسقوط بسبب الرياح !... لكن لا..

بدأ يسوع يكلّم العناصر الهائجة بهدوء ، مثل رجل واثق من نفسه ومن سلطة قوته التى لا تخطىء .

وصاح فى العاصفة :

اخرس أنت أيها الريح !... وأنت أيها البحر ، اهدأ !...

وإذا بقوة عليا تكبح جماح العواصف وتتغلب عليها . **فقد سكنت الريح وهدأت الأمواج** ... ولم يعد يسمع إلا رفيف موجات بحر هادىء تمامًا ، بينما كان لابد أن تمضى ساعات حتى تهدأ الأمواج بعد زوبعة كهذه .

التلاميذ يحملقون وقلوبهم تنتفض رعبًا . قد رأوا من قبل كثيرًا من الأشياء العجيبة ، لكن ليس من هذا النوع ! **ظلوا مبهورين فى مكانهم ، ومذهولين** .

وفيما هم فى ربكة وحيرة ، برز فى ذهنهم سؤال الله وحده يمكنه أن يأمر البحر ، الذى يعرف بأعماقه ووحوشه وعواصفه ، والذى كان أهل ذلك الزمن ، يعتقدون أنه ملتقى القوى الشريرة ، ويرمز إلى التمرد على الله ، إلى الشر والخطيئة . وها هو يسوع قد انتصر عليه ، فبأية سلطة !... ولكن ، من جهة أخرى ، من المحال بالنسبة إليهم أن يتصوروا أن ذات الله موجودة فى يسوع . لن يفهموا ذلك إلا فيما بعد .

إلى هنا لم يخطر على بالٍ أن يُعبد إنسان ، ولو كان هذا الإنسان هو الذى لا يزال فى أعينهم بعد مجرد رسول من عند الله ... ها هم حقًا أمام وضع حرج لن يخرجوا منه إلا فيما بعد . وعليه ، بينما كانوا يستعينون بالأوعية المختلفة ليفرغوا السفينة من مائها ، ويلقون خفية نظرات على يسوع ، **كانوا يطرحون السؤال على أنفسهم ، وكل منهم على الآخر :**



« من ياترى يكون هذا حتى يأمر الرياح والأمواج فتطيعه ؟»

لم يكن بعد إيمان تلاميذ يسوع به إيمانًا تامًا . والبرهان هو أنهم لم يحتفظوا بهذا الهدوء الذى كان يسمح ليسوع بأن ينام .. والسفينة فى العاصفة ، سوف يتذكرونها فيما بعد عندما تصيب المتاعب والإضطهادات جماعات التلاميذ . وسيكون يسوع موجودًا فيها دائمًا ، رغم أنه نائم ، أعنى « محجوب عن الأعين البشرية ». لكن نومه لن يكون غيابًا ، وإنما علامة أنه يثق فى الذين يديرون السفينة ... ولو يظهر أنه نائم إلا أنه هنا حاضر فى قلب تلاميذه وعامل فيهم وبهم .

(١٦) هل قيمة الإنسان تقدر بمال ؟

(مرقس ٥: ١ــ٢٠)



فى الغداة ، وصل يسوع وتلاميذه إلى الشاطىء الآخر من البحر فى ناحية كورة الجدريين ، شرق بحيرة الجليل . وهم فى إقليم دولة اتحادية مكونة من عشر مدن : جراسة ، بيلا ، فيلادلفية ، الخ .. ذوات الثقافة اليونانية . وهى المنطقة التى تخيم فيها فرق الاحتلال الرومانى فى سوريا وفلسطين . البلد وثنى وملىء بالأصنام . اليهود فيه قليلون ... وينحدر ساحله عموديًا إلى البحيرة ، ولذا فهو مأوى غير مرغوب . وتُرى على هضابه قطعان كبيرة من الخنازير ، وهى ثروة المنطقة .

ما كادوا أن يترجلوا حتى رأوا رجلاً عريانًا يركض نحوهم ، أشعث الشعر ، يحرك قيودًا مكسورة ، كانت تقيد قدميه ويديه . رجل تعيس ، مصاب بجنون ، يقال إنه « ممسوس من الشيطان »، يعيش هنا فى كهاف الجرف وبين القبور ، يصيح ويرضض جسمه بحجارة قاطعة . وحاول الناس بدون جدوى أن يسيطروا عليه بتكبيله بالسلاسل ، فقطع السلاسل وكسر القيود .



ولكن عندما وصل أمام يسوع ، وقف المجنون شارد النظر ، وكأنه مقهور ، مسحور ...

وقال ليسوع : « ما لى ولك ، لا تعذبنى »!

قل لى : ما اسمك ؟

اسمى «جحفل الشياطين »!... لا تطردنا من هنا وإلا فاتركنا ندخل فى قطعان الخنازير هذه !

« أيتها الأرواح النجسة ، أخرجى فورًا من هذا الرجل !»

كان يسوع يتكلم بهدوء وسلطان ... وإذا المجنون قد حل عليه السلام فجأة ، وأصبح وديعًا كالحمل .



ماذا حصل لهذا « الجحفل من الشياطين » المطرودين من شخص المجنون ؟

قد طلبوا بفم المجنون : « دعنا ندخل فى قطيع الخنازير على التل ».

عندئذ شهد الناس منظرًا

غريبًا مفاجئًا : **اعترى هوس الجنون قطيع الخنازير الكبير الذى كان يرعى هناك ، فوثب من أعلى الجرف ، ونزل من منحدر ، وارتمى فى البحيرة حيث غرق جميعه .**



من أعلى الجرف كان رعاة الخنازير ، الذين يحرسون قطيعهم ، يتتبعون المشهد عن بعد ، بينما كانت السفينة تقترب من شاطئهم . لعلهم كانوا متوقعين أن يروا المجنون يهاجم الذين حضروا إلى بلدهم ، وتوقعوا مشاهدة قتال عنيف ... ولكن لا ، ما حدث كان العكس ، رأوا المجنون يستلقى بقرب الذى كان يتراءى لهم قائد الفرقة وظلوا مذهولين . وفى سهوهم عن حراسة القطيع ، لم يلاحظوا أن اعترى إحدى بهائمهم نوع من الذعر المفاجىء ، فارتمت من أعلى الجرف والبهائم الأخرى تتبعها وتلقى بنفسها فى البحيرة لتهلك .

أسرع الرعاة وهم فى رعبهم ودهشتهم إلى أصحاب القطيع ، فى المدينة والمزارع المجاورة ، وحكوا حادث اليوم : إنه نزل عندهم من سفينة ساحر ذو سلطة تفوق القدرة البشرية ونتيجة لوجوده فى أرضهم ، هلكت قطعان خنازيرهم .

فهرع الناس فى الحال من كل جهة ، فماذا شاهدوا ؟... كان المجنون

الذى يعرفونه ، « **الممسوس من الشيطان** » باعث الرعب فى البلد ، **جالسًا بكل هدوء عند أرجل يسوع ، وصحيح العقل تمامًا . قد لبس ثيابًا وهو الذى كان يعيش عاريًا** ، لعل أحد تلاميذ المسيح أعطاه جلبابًا ... أحس الجميع بارتياح . تخلص البلد أخيرًا من وجود هذا المجنون الخطر والمزعج بصياحه .

أجل ، لكن ... قطيع الخنازير قد غرق فى البحيرة الأمر الذى أدى إلى خسارة عظيمة لحقت بأصحاب القطيع ! هم لا يبالون بأن المجنون تخلّص من شياطينه ، فهو لم يكن يزعجهم على أية حال . ما يرونه هو إبادة رأسمالهم ! فلا قيمة لكائن معتوه ، لا قيمة له فى نظرهم . فما يهمهم هو نجاح أعمالهم ... إن الثروة فى نظرهم تفوق كل شىء من حيث الأهمية .

لم يخشَ يسوع أن يشرع فى النقاش بطريقة مثالية . أراد ملاّك البلد الأثرياء أن يتخلّصوا من هذا المجنون بربطه عنوة بسلاسل ، لأنه كان يزعج البلد ، وجعلوا منه حيوانًا يتحاشونه لأنه يبعث الرعب فى المنطقة . لكنهم فى الغالب لم يحاولوا قط أن يعاملوه بالرفق ، ولا يؤالفوه أو يعيدوا إليه شيئًا من الكرامة . وظنوا أنه مكتوب له على الدوام أن يعانى من مس الشيطان .

لكن يسوع لا يقبل هذا الوضع . فلا مرض إلا وله علاج ، فالإنسان عنده أعظم من كل ثروة . وخسارة رأس مال من آلاف من الخنازير لا حساب لها إزاء إعادة كرامة إنسان واحد . لاشك أن الأثرياء الأنانيين استحقوا درسًا قاسيًا . وها هم قد نالوه .

هل فهموا هذا الدرس ؟... وفى تعاقب الأجيال ، هل تلاميذ يسوع أنفسهم سيفهمونه دائمًا ؟...

بدأ الخوف يتغلب على سكان منطقة العشر مدن هذه . فهم يُغالون فى أهمية المادة وينشغلون كثيرًا بهموم الحياة ، فلا يتجاوبون مع أفكار يسوع . **ولذا ، عندما رأوا أن سلطة يسوع العجيبة تتعارض مع مصلحتهم ، فضّلوا أن يطلبوا من يسوع أن ينصرف عن بلدهم** . إن هؤلاء الوثنيين ، وقد سيطرت عليهم الماديات ، لم يعرفوا مدى قيمة الإنسان ، فى نظر الله .

ويسوع لا يلحّ . استجاب يسوع لطلبهم فى أن ينصرف عن بلدهم ، ولم يلح فى البقاء ، لأنه لا يفرض نفسه ، ولا يثير مشكلات .

(١٧) أمراض وعاهات مختلفة ... وطفلة ميتة

(مرقس ٥: ٢١ــ٤٣)



سرعان ما راجت الأخبار عن رجوع يسوع إلى كفرناحوم وانتشرت سريعًا ، وجمهور من الناس المتشوقين رؤيته وسماعه اجتمعوا عند البحر عندما نزل على الشاطىء المقابل .

وقد رحب به خصيصًا أحد رؤساء المجمع ويدعى يائير ، وارتمى عند قدميه وألح فى السؤال ليصاحبه يسوع فى أسرع فرصة إلى ابنته لكى يشفيها .

« لى ابنة صغيرة تلفظ أنفاسها ... فتعال وضع يدك عليها فتبرأ وتحيا ».

هى ابنته الوحيدة ، وكانت فى الثانية عشرة من عمرها ... فذهب يسوع مع يائير .

وتبعه جمع كثير يزحمه . وكانت هناك امرأة تنزف دمًا منذ اثنتى عشرة سنة ، جاءت بين الجمع من خلف ولمست هدب رداء يسوع . منذ اثنتى عشرة سنة يعترى المسكينة نزيف يؤلمها كثيرًا . وقد لجأت إلى أطباء كثيرين أخضعوها لأنواع عديدة من الأدوية ولم تتحسن حالتها . وأنفقت جميع ما تملك فلم تستفد شيئًا ، لا بل صارت من سيىء إلى أسوأ . فلما سمعت بأخبار يسوع وبمعجزاته العجيبة ، قالت فى نفسها : « حسبى أن ألمس طرف ثوبه فأبرأ ».



وفى الحال ، شفيت من مرضها : جّف سيل دمها وأحست فى جسمها بأنها برئت من علتها .

لكن لم تحصل هذه المعجزة فى غفلة من صاحبها . فليس يسوع آلة معجزات . ولا يكفي لأحد أن يلمسه حتى يحصلْ تلقائيًا على النعمة التى يرغب فيها . يعلم **يسوع** حق العلم من الذى لمسه ، ومن هى هذه المرأة التى تثق فيه كل هذه الثقة . **وشعر تمامًا بالقوة التى خرجت منه** : ولاشك أنه رضى بذلك . لكنه لا يريد أن هذه المرأة تتخيل أن أحدًا يمكنه أن يستخدمه هكذا ويفاجئه ، وأن يمنح لثيابه قوة سحرية . لأن هذا خرافة وليس ديانة على الإطلاق . يجب الرجوع إلى الله الذى يسمح بالمعجزات ليس عن طريق الأشياء المادية . ولكن عن طريق الإيمان .



يسوع يلتفت إلى الوراء ويقول :

« من لمس ثيابى ؟»

والسؤال جدير بأن يدهش التلاميذ الذين يحيطون به :

« ترى الجمع يزحمك وتقول : من لمسنى ؟»

ولكنه يحاول أن يرى فى الجمع التى لمسته . وإذ المرأة المسكينة خافت واضطربت . فجاءت وسجدت له واعترفت بجسارتها . فقال

لها يسوع :

« يابنتى ، أبرأتك ثقتك بى ، فاذهبى بسلام ، وتعافى من علّتك ».

ووقتئذ ، وصل أناس من دار يائير يؤدون هذه الرسالة :

« سبق السيف العذل ... ماتت ابنتك ... فلا جدوى من أن تأتى بيسوع إلى منزلك ».



كل شىء قد انتهى !... نتخيل حركة انهيار لدى يائير ، ونفهم غمّه الشديد ، فهو الذى شهد توا معجزة شفاء ، وكان يأمل أن يرى أكثر من ذلك ... خاصة أنه طالما توجد حياة يوجد أمل . ولكن الآن ... لم يتمكن يائير من كبت حزنه : سينفجر بالبكاء ... **لكن يسوع ، الذى سمع كل شىء ، قال له :**

« لا تقلق يا يائير ... احتفظ فقط بكل ثقتك فىّ ».

ولم يدع يسوع أحدًا يصحبه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه .

ولما وصلوا إلى دار يائير ، وقف أمام مشهد النائحات والموسيقيين . فهو نشاز نغمات أناس يبكون ويُعْوِلون .

فمن حضر جنازة فى بعض بيئات شعبية من البلاد الشرقية يمكنه أن يدرك التباين بين مظاهرها الصاخبة والهدوء الصامت الذى يحيط بغرفة الميت فى مناطق أخرى من العالم . لكن هناك ، مثلما هى الحال فى كل مكان ، حضر إلى المنزل المكلفون بالجنازة ، بعدما أُنذروا بأن المريضة تحتضر : وبينهم كل هؤلاء النساء اللائى — حتى يعجبن أسرة الميت ويكسبن حياتهن — يتكلّفن الحزن الذى لا يشاركن فيه حقًا أقارب الميت ، ويمدحن الابنة الميتة التى لا يعرفنها ، وبينهن أيضًا جميع الموسيقيين الذين يتظاهرون بالانهيار ويتراءون بحزن

كاذب على ألحان جنائزية .

فدخل يسوع وقال لهم : « لماذا تضجون وتبكون ؟ لم تمت الصبية ، وإنما هي نائمة .

فضحكوا منه وهزأوا به : إنه أتى توًا . فكيف يمكنه أن يعرف ؟... البنت ماتت حقيقة ، هذا أكيد ، هم على يقين من ذلك ... عبثًا يحاول الإنسان أن يكون قويًا ، أمام الموت وليس بيده حيلة .



ولكن يسوع لا يلعب دورًا ولا يتظاهر بالقوة : بل يتكلم بجدية : هذه الصبية لم تمت . شهاداته صادقة : فَقَد الموت مع يسوع حقيقته المخيفة ، وأصبح نومًا .

أخرجهم بسلطته ، ودخل بأبي الصبية وأمها والتلاميذ الثلاثة الذين كانوا في صحبته ، لأنه ، بحسب شريعة ذلك الزمن ، لا بد من شاهدين أو ثلاثة حتى تعتبر الشهادة صحيحة . **ودخل إلى الغرفة التي كانت فيها الصبية الميتة .**



فأخذ بيد الصبية وقال لها:

(**ياصبية** ، أو ياعروستي ، أقول لك : **قومي**).

وهنا رآها الحاضرون تفتح عينيها وتحرك شفتيها . واسترجعت الوجنتان

لونهما ، واستعادت البنت تنفسها ، فقامت من ساعتها وأخذت تمشى . فدهش والداها أشد الدهش وظلا متسمرين فى مكانهما . لكّن يسوع إنسان واقعي وله إحساس مرهف بكل ما هو مناسب ، لأن الصبية محتاجة إلى طعام : فأمر والديها : « الآن عليكما أن تطعماها ».

ثم أوصى الجميع مشددًا عليهم بألاّ يعلم أحد بما حدث .

عبثًا !... لعل أكثرهم سخرية من لحظة فضّلوا أن يفتر عزمهم ويقولوا إنها كانت نائمة ليس إلا ، فى حالة غيبوبة أو إغماء عميق كما نقول فى أيامنا ، بدلاً من أن يؤمنوا بواقع المعجزة . لا بأس . فالأكيد أن هذا الشخص ، يسوع ، بمجرد وجوده وكلمته ، دون استعمال أى أسلوب طبى معروف ، قادر على أن يعيد الحياة إلى صبية كانت على وشك الدفن . هو السلطة العليا ، القادر على أن يطرد الشر الذى نلاقيه بأى شكل كان ، حتى فى حده الأقصى الذى نسميه الموت .

(١٨) يسوع يختار اثنى عشر تلميذًا حميمين ، مختلفين ومتعارضين فى طباعهم ... ولكن متحدين إيمانًا فى شخصه

(متى ١٠: ٢ــ٤، مرقس ٣: ١٦ــ١٩، لوقا ٦: ١٣ــ١٦)

فى تلك الأيام ، **بعد ليلة قضيت كلها فى التأمل والصلاة لله** ، **فى خلوة التلال** التى تقوم على جانب بحيرة الجليل ، **اختار يسوع حلقة صغيرة مكونة من اثنى عشر رسولاً** ، من بين كل المؤيدين الذين يأتون لرؤيته وسماعه ، ويتمنون أن يصبحوا تلاميذه .

من بين هؤلاء الاثنى عشر المفضلين ، يوجد أولاً الأربعة صيادين المتّحدين : **بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا** ، وكذلك **فيلبس وبرثلماوس (نثنائيل)** وهما صديقا الأوائل . وهؤلاء هم من دعاهم يسوع ، **يأتى بعد ذلك متى العشار ثو توما وسمعان الغيور ، ويعقوب بن حلفى ، أصغر قامة من يعقوب الأول . ويهوذا المسمى تدّاوس ، وأخيرًا يهوذا الإسخريوطى ، ذاك الذى سيسلم يسوع .**

الظاهر أن هؤلاء المختارين من إقليم الجليل : ولكنهم من عقليات وبيئات مختلفة ، حتى ومتعارضة . وإزاء الوطنيين المتحمسين ، مثل صيادى البحيرة ، وجد عدة غيورين ؛ أعنى الذين يؤيدون بعنف الاستقلال القومى ، وبالتالى الجهاد بلا هوادة ضد قوى الاحتلال . وهما سمعان الغيور وسمعان الإسخريوطى ... وبالعكس ، كثيرون غيرهم كانوا « متعاونين » يؤيدون تفاهمًا مع الرومان ، فيستغلون النظام القائم فى البلد ، مثل متى العشّار وربما يعقوب بن حلفى ... من جهة أخرى ، نجد توما الذى ليس بمتهور ، بل إنه واقعى ، يطالب دائمًا ببراهين وأدلة حتى يؤمن . أخيرًا ، يهوذا ، الملقب بتدّاوس ، ومعناه « الشديد » تعبيرًا عن أنه رجل قوى جدًا من الناحية البدنية .

إذا كان من الواضح أنه يوجد تناقضات فى فريق هؤلاء الاثنى عشر . لكن أمرًا واحدًا كان مشتركًا بينهم ... أمر واحد فى الحقيقة ، لكنه أمر جوهرى ويفسر كل شيء : هو ثقتهم المحبة فى يسوع . ويدل هذا بوضوح على أن تلاميذ يسوع ، فى أى مكان نلاقيهم ، قد تكون طباعهم مختلفة ، وأصلهم وثقافتهم متنوعان ، وقد يدافعون عن اختيارات سياسية ، اقتصادية واجتماعية ، بل إلى حد ما دينية ، متعارضة كل التعارض ... ومع ذلك يظلون متحدين إزاء الأمر الأساسى ، أعنى ثقتهم فى يسوع وحبهم لشخصه .

لماذا عدد الاثنى عشر ؟ إن هذا العدد يعنى الكثير فى نظر يسوع . هو عدد آباء الشعب الذى اختاره الله لرسالة دينية عظيمة فى تاريخ العالم . فالجد يعقوب — اسرائيل — كان له اثنا عشر ابنًا وهم آباء ورؤساء أسباط هذا الشعب الاثنى عشر . لكن هذا الشعب أخلف برسالته ، حيث رفض أن يعترف بيسوع كمرسل من الله . وبما أن الله لا يستغنى عن شعب لإتمام هذه الرسالة الدينية فى العالم ، اختار يسوع اثنى عشر رجلاً سوف يكونون أساس هذا الشعب الجديد ودعامته .

(١٩) أسرة يسوع الجديدة

(مرقس٣: ٢٠ــ٢١، ٣: ٣٢ــ٣٥، متى ١١: ١٢و٢٣: ٧ــ١٢، لوقا ١٢: ٤٩)

فى يوم ما ، كان مجلس شورى أسرة يسوع مشغول البال من جهة كل ما يقال بخصوصه ، ومتخوفًا من مشاكل وإجراءات من جهة السلطات المعادية له ، **فقرر إرجاعه إلى الصواب ، على أن يستأنف مهنته وحياته العادية فى قرية الناصرة . فقد كان ذووه يقولون : « إنه خرج عن جادة الصواب »**.

وها هم يصلون إلى المنزل الذى جمع فيه يسوع عددًا من الذين يضعون كل ثقتهم فيه ويأخذون بطريقة الحياة الجديدة التى يعرضها عليهم عندما يكلمهم عن ملكوت الله .

فى الواقع ، بين تلاميذه لا يوجد فقط الاثنا عشر رجلاً وبعض النساء ، الذين تركوا كل شيء ليتبعوه . بل أيضًا جماعة لا بأس بها من المؤيدين الذين ، بدون أن يتركوا أهلهم وبيوتهم ، أعمالهم وأراضيهم ، مدينتهم أو قريتهم ، صمموا على أن يمارسوا هذه الحياة التى تغيرهم وتجعل منهم رجالاً جددًا : **إنه تيار يجرى بحدة . ويسوع ذاته يتكلم عنه .**

إن ملكوت الله يشق طريقه بالرغم من كل العقبات : لا شيء يقدر على إيقافه ... جئت لألقى الخبر السار على الأرض على صورة نار . وكم أرجو أن يشتعل وينتشر مثل حريق على أرض بائرة ، مدفوعًا بالريح **!**

فى الحقيقة ، خطة يسوع أحرزت تقدمًا ملموسًا . أنشأت أسرة جديدة ، أسرة يسوع ، تجمع أنواعًا عديدة من الأشخاص من كل طبقات المجتمع . إن كان أغلبهم من بيئات فقيرة ومغبونة ، يوجد أيضًا من هم من طبقة متوسطة وآخرون ينتمون إلى الطبقات العليا فى البلد ــ حتى إذا حرص بعضهم على التستر ولزم التخفى .

لكن ، لنرجع إلى مجلس شورى الأسرة الآتى من الناصرة ليسترد يسوع . حتى يضمنوا النجاح فى مسعاهم **اصطحبوا معهم** ــ وقد يكون ذلك عنوة ــ **أمه مريم . وجدوا يسوع فى هذا المنزل فى وسط اجتماع كبير . ولم يتمكنوا من الدخول ، لأن كثرة الحاضرين كانت قد أوصدت الباب . فظلوا خارجًا**

لكنهم أرسلوا إليه من يدعوه .

إن أمك وأقرباءك فى خارج الدار يريدون حتمًا أن يكلموك .

لكن يسوع يطرح سؤالاً .

من هى أمى ... ومن هم أقربائى ؟...»

ثم أجال طرفه فى جميع الملتفين حوله . وقال :

« هؤلاء هم أمى وأقربائى ... لأن من يسمع تعليمى ويعمل بمشيئة أبى السماوى ، هو قريبى وأخى وأختى وأمى !»

هكذا إذن تخلى يسوع عن أسرته حسب اللحم والدم وأنشأ لذاته أسرة جديدة .

وقد يظهر هذا القول صعبًا وخاصة بالنسبة لأمه مريم : ولكنها كلمة انبثقت كومضة ضوء . حقًا لابد أن تراعى حقوق أسرة الأرض ، والعشيرة والقبيلة ، وبيئة الحياة ، والأمة والنسل . ولكن ، فوق ذلك ، يوجد الاختيار الحر لقرابة الروح . يشعر يسوع بأن ارتباطه بتلاميذه وبجميع الذين يثقون فيه ويصممون على الحياة حسب متطلبات ملكوت الله ، أقوى من ارتباطه بأقربائه وأنسبائه . وهكذا إذن نلاحظ أننا نؤالف يسوع بتوجيه الروح والقلب هذا أكثر من مؤالفتنا أقرباءنا بالدم . ومريم نفسها أكثر ألفة مع ابنها باتحاد الروح منها بكونها أمه .

إن أسرة يسوع الجديدة هذه تنشىء شعب الله الحقيقى ، منذ أن رفض رؤساء إسرائيل أن يعترفوا بأنه المرسل من الله ، بالرغم من كل البراهين التى أعطاها إياهم . عن قريب سيسمى هذه الأسرة الجديدة « الكنيسة ». ولكن ما الذى يميزها ويفرق بينها وبين سائر أسر العالم التى حولها والتى لابد لها من أن تحيا فى وسطها ؟

هى جماعة تلاميذ يعتبرون أنفسهم إخوة وأخوات ، ولكنهم لا يسمون أحدًا « أبًا » أو « معلمًا » إلا الله وحده . فليس لهم حقًا إلا أب واحد هو الله .

(٢٠) دستور أسرة يسوع الجديدة

(متى ٥، ٦، ٧، ١١: ٢٨ــ٣٠، مرقس ١٠: ٢٣ــ٢٧،
لوقا ١٢: ١٣ــ٢١، ١٦: ١٣)

ما هى قوانين حياة أسرة يسوع الجديدة ، التى دعاها الله لتنشر فى العالم مثل ملكوت الله الأعلى ؟

عندما تكلم **يسوع أمام جمع من الناس تبعوه إلى أعلى تل** فى ضواحى كفرناحوم ، **بدأ بإعلان رسمى** ، ومعارض للمألوف .

لكل من اختاروا أن يكونوا فى عداد تلاميذى ، أعلن :

إذا عدلتم عن جعل المال القيمة العليا ... طوبى لكم !... أنتم فى خط ملكوت الله .

إذا عاملتم الآخرين بحسن التفاهم **والوداعة** بدلا من أن تحتقروهم وتتسلطوا عليهم ... **طوبى لكم !... بهذا تضمنون السعادة على الأرض .**

إذا كنتم فى حزن أو بؤس أو عذاب ... طوبى لكم !... **سوف تعزون** وتعانون وتشجعون بالجماعة التى تحيطكم بعطفها .

إذا كانت لديكم رغبة حارة ــ كأنها **جوع وعطش** يقبضان على جوفكم ــ **فى أن تمضوا حياة مطابقة لإرادة الله ... طوبى لكم !... سوف يمكنكم أن ترضوا هذه الرغبة** فى أسرتى الجديدة .

إذا أمكنكم أن تغفروا سيئات الآخرين والضرر الذى يسببونه لكم ... **طوبى لكم !... حينذاك يغفر الله لكم** خطاياكم .

إذا حفظتم قلبكم طاهرًا من كل تعلق بما يمكنه أن يصبح معبودًا تخضعون له كل حياتكم : مثل المال والسلطة واللذة ... **طوبى لكم !... تكونون على يقين من رؤية الله** ، وهو الوحيد الذى يمكنه أن يحقق كل رغباتكم .

إذا عملتم لتحقيق السلام والتفاهم والوفاق حولكم وفى حياة العالم ... طوبى لكم !... **فأنتم إذن الابناء الجديرين بكل خير الذين يحبهم الله .**

إذا احتملتم الاضطهاد ، لأنكم أعضاء أسرتى الجديدة ... افرحوا !... طوبى لكم !... أنتم حقًا مواطنو ملكوت الله هكذا قال ليسوع .

ثم راح يعطى تفاصيل بعض قواعد الحياة التى يعرضها على أعضاء أسرته الجديدة . يدور الكلام عن عقلية جديدة وتصرف جديد ، على طريقة حديثة جدًا لرؤية الناس والأحداث ، تتبلور دائمًا فى حب عطوف قوامه الحنان والتفاهم ، ونسيان الزلات والغفران . فتلميذ يسوع يريد نجاح الآخرين وانطلاقهم ونجاحهم . ويعرف أن تحقيق رغبته هذه قد يؤدى به إلى التضحية بحياته من أجل من يحبهم .

يبرز يسوع الفرق العظيم بين أحكام دستوره والشريعة القديمة : شريعة موسى التى تسيطر على تصرف مجتمع بلده وزمنه . **تلك الشريعة تقول :**

أحبب أقرباءك وأصدقاءك ، ولكن ليس مفروضًا عليك أن تحب أعداءك وخصومك ، ومن يسبّبون لك ضررًا .

أما أنا يسوع ، فأقول لكم :

لابد من أن يصل حبكم العطوف إلى الأعداء . أحبوهم وادعوا أيضًا لمضطهديكم . تشبهوا بالله الآب . فهو يطلع نور شمسه على الأشرار مثلما يطلعه على الأخيار وينزل غيثه على حقول الفُجّار مثلما ينزله على حقول الأبرار ... إن لم تظهروا عطفكم إلا لأصدقائكم فأى شىء غريب تفعلون ؟ **فلا فرق بينكم وبين الآخرين .**

كانت شريعة موسى تقول : لا تقتل ! فإن من يقتل يستوجب القضاء . أما أنا فأقول لكم : إذا غضبت فقط على أخيك ، وإذا عاملته كأنه أحمق أو مجنون ، وخاصة إذا لعنته ، فحالتك فى نظر الله شريرة ، ويأخذ الله ذلك بعين الاعتبار حسب الجسامة ... وكم بالحرى إذا كان عليك أن تمارس فرضًا دينيًا . فاذهب قبل ذلك وصالح أخاك ، بادر أنت بالخطوة الأولى ثم بعد ذلك اذهب لملاقاة الله فى مجمعه .



لا تحكم على أحد ولا تدنه !... كن دائمًا عطوفًا على الآخرين ... **كيف ترى قذى فى عين أخيك ولا تأبه للخشبة التى فى عينيك أنت . وإذا أردت أن تخرج القذى من عين أخيك ، إبدأ أولاً باخراج الخشبة من عينك . حينئذ سوف تبصر فتخرج القذى من عين أخيك** ... وبإيجاز العبارة ، أصلح نفسك أولاً لتكون أهلاً لإصلاح الآخرين .

بالنسبة إلى الزواج ، كان يسوع يعطى هذه القواعد :

تقول شريعة موسى : « لا تزن »، ولكنى أنا أقول لكم : إن ارتكاب الشر يقع فى نية القصد . **من نظر إلى امرأة غير امرأته فاشتهاها فقد زنى بها فى قلبه .**

إزاء أنانية وفساد أخلاق ذلك الزمان ، كان موسى ، المشرع الكبير ، قد سمح للرجال أن يطلقوا نساءهم على شرط أن يعطوا المرأة المطلقة كتاب طلاق ، حتى لا تنبذها أسرتها ولا يتركها المجتمع . ولكن ، فى زمن يسوع انتهى بهم الأمر إلى تأويل هذا القانون بطريقة تساهلية وفاضحة : كان القضاة يسمحون بالطلاق لأتفه الحجج : مثلاً : يكفى لرجل أن تكون امرأته قد طبخت له طعامًا لم يستسغ طعمه أو أنه لقى امرأة أجمل من زوجته الشرعية .

يطالب يسوع بأمانة مطلقة بين الزوجين . هذا الطلب الذى يعرضه على تلاميذه ، وعلى الذين لا يجوز لهم ترك مقر زواجهم ، صارم بقدر المطالبة بترك الأسرة المفروضة على الذين عزموا على تلبية دعوته واتباعه .

تقول شريعة موسى : « من أراد أن يطلق امرأته ، فليعطها كتاب طلاق . أما أنا فأقول لكم : من طلّق امرأته ــ إلا فى حالة الفحشاء ــ عرّضها للزنى إذا تزوجت من جديد ، ومن تزوج مطلقة زنى ».

كذلك يطلب يسوع من أعضاء أسرته الجديدة أن يعرضوا عن القوة والعنف . وعندما يطالب يسوع بهذا لا يوجه كلامه إلى الدول والأمم بصفة عامة : لم يشغل باله بهؤلاء ، لكنه ما زال يقول إن ملكوته ليس من هذا العالم . سوف تحيا أسرته الجديدة ، هذه الجماعة الاختيارية التى أسسها ، داخل العالم دون أن تتبنى روح العالم . وهكذا سوف تكوّن معضلة إزاء العالم ، وتحاول أن تصلحه . وهذه الأسرة الجديدة ، لا تفرض الشروط العنيفة ، بل المصالحة والأخوة . وهذه هى قاعدتها : الأفضل هو احتمال الظلم ، وليس فرض الحق بالقوة .

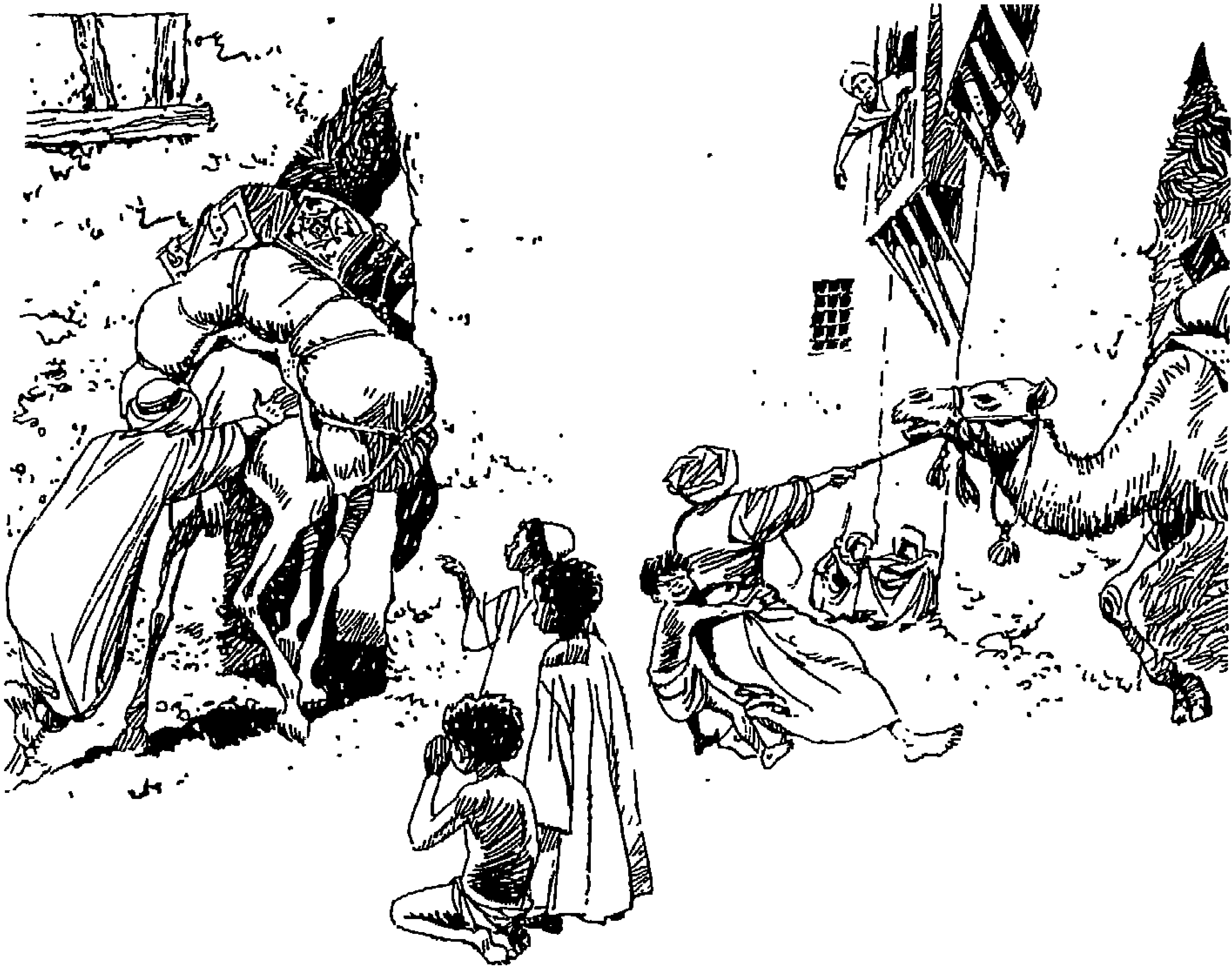




إن شريعة موسى تقول : « العين بالعين والسن بالسن » ومعنى ذلك أن المرء له الحق فى أن يطالب بتعويض موازٍ للضرر الذى وقع عليه ، ولكن ليس بأكثر من ذلك . وكانت هذه تعتبر شريعة تقدمية فى زمنها، لأنها كانت تحدّ الانتقام الذى كان يمارس دائمًا ، وبشكل متزايد ، ويدوم أحيانًا مدة أجيال . فى عصر يسوع كانت المماحكات متواترة : وكان الناس يلجأون إلى العراك والسب لِعلّة لا تذكر ، ويشكو الناس بعضهم بعضًا إلى القضاء لأسباب تافهة ... **أما يسوع فقال لتلاميذه :**

« لا تقاوم الذى يهينك ... إذا أخذ أحد ثوبك ، لا تفكر فى أن تقاضيه أمام المحكمة لتسترده ... بل اترك له رداءك أيضًا ... وإذا لطمك أحد على خدك الأيمن ، فاعرض له الآخر بدلاً من أن تعامله بالمثل وتهينه . وهكذا تختفى العداوة . وذلك هو غاية المرام .

يوجد طلب آخر هو طلب التجرد عن خيرات هذا العالم . لا يعطى يسوع أية قاعدة دقيقة بالنسبة إلى المال والثروة . لا يدين المال لذاته ، ولا يطالب



تلاميذه بأن يفلسوا أو أن يعيشوا كالمتشردين . لم يزدر الأغنياء ، بل جلس عدة مرات على موائدهم ، لكنه حذر جديًا ضد عبادة المال ، لأن المال والثروة يعرّضان لخطر جسيم .

أترون ، يا تلاميذى الأعزاء ، ما من أحد يستطيع أن يعمل لخدمة سيدين معًا : الله والمال . سيخدم لزامًا أحدهما ويعرض عن الآخر ... آه ، ما أعسر على الغنى المتعلق بماله إدراك هذا المفهوم الجديد للحياة الذى هو ملكوت الله !... أقولُ لكم على سبيل الفكاهة : **إن دخول الغنى للملكوت أعسر من أن يدخل جمل من ثقب إبرة ...**

فى هذا الصدد ، وبمناسبة رجل أتى يطلب منه أن يستعمل شهرته ليحكم فى قضية ميراث ، أجاب يسوع أن ذلك ليس من اختصاصه ، وأنه ليست له سلطة لذلك . وانتهز الفرصة ليسرد هذه القصة :

هذا يجعلنى أفكر فى هذا الرجل الغنى الذى أخصبتَ أراضيه كثيرًا ، ولم يكن له إلا شاغل واحد : فكان يقول فى نفسه : لابد أن أهدم مخازنى

وأبنى أكبر منها حتى يمكننى أن أضع فيها جميع محاصيلى . سوف أجد نفسى هكذا عندى خيرات وفيرة . وحينذاك ألهو وأستفيد من كل وقتى . سوف يمكننى أن آكل وأشرب وأتنعم بقدر ما أريد ولسنين طويلة ... ياله من جاهل !.. فى الليلة عينها قضى نحبه ، ولم يستفد من كل خيراته ؟... كم كان أفضل له أن يتعلق بقيمة غير المال ويكوِّن لنفسه رأس مال أفضل فى نظر الله !

فى أسرة يسوع الجديدة يسود نظام مشاركة الفقراء والمعدمين . ولكن تلميذ يسوع لا يخلط بين « البؤس » و« الفقر »، بل يقتدى بيسوع ويقاتل البؤس الذى هو شر ، ولكنه ينمى روح التجرد من خيرات العالم . وهو لا يرضى أبدًا عما وصل إليه ، لأنه يشعر دائمًا بوجوب السير إلى الأمام . وقصارى القول ، يتبنى ويطبق هذه القاعدة المستوحاة من الإنجيل : من المحال أن يجد الإنسان لذته فى أمواله ، إذا كان يحب الله حقيقة ، لأنه فى هذه الحالة الأخيرة يكون الله لذته وفرحه .

أمام متطلبات مثل هذه يمكننا أن نتساءل إن كان فى وسعنا أن نطبق كل هذا على حياتنا العادية ... ألم يحِّمل يسوع تلاميذه ثقلاً لا يُطاق ؟... آه ليست مسيحيتنا رخيصة الثمن !... إن خضوعنا لمتطلبات يسوع خضوع رائع للغاية حتى أن مظهره الثقيل والصعب يتطاير شظايا ، إن جاز هذا التعبير !... عندما تنطلق هذه الجماعة الاختيارية (أسرة يسوع الجديدة) إلى العالم ، لا يسع الإنسان الشريف ، المحب للخير ، إلا أن يكون متحمسًا ، مستعدًا . وهى تستهويه بطريقة لا تقاوم إلى حد أنه لا يقابل صعوبة كبرى لتغيير حياته . كم تطيب له الحياة فى هذا الجو من الحنان ، من التفاهم ، من الغفران ومن التعاون ، عندما لا يشعر الإنسان البتة بأى عداوة ، عندما يحيا مع غيره فى أخوة بحيث يصبح الجميع كأولاد وبنات الآب الواحد المحب الحنَّان .

وحتى يدل على أن كل شىء ممكن معه وأن لا شىء مما يطالب به يعتبر بطوليًا فى ممارسته ، ضرب يسوع مثل « النير » الذى يفرضه المزارع على ثوريه حتى يستخدمهما . بعض هذه الأنيار الثقيلة ، الخشنة ، تؤلم وتجرح حيوانات



الخدمة فى الحقل . أما نير يسوع(*) فليس كذلك . وليس فيه تمسك بالشكليات ولا تدقيق فى أمور طفيفة . هو على قدر كل شخص ، ويتوافق جيدًا مع حياته الجديدة . لا يريد يسوع تلاميذًا مرهقين ، شكسين . **ويعلن :**

نيرى يتوافق جيدًا مع حياتكم لأنه هين . والحمل الذى أطلب منكم أن تحملوه خفيف . تعالوا إلى جميعًا أيها المرهقون : إن ثقل حياتكم سوف يتحول إلى خفة . لأنى لم آتِ لأسيطر على الناس ولا أطغى عليهم ... بل بالعكس لأحررهم . **أنا الوديع المتواضع القلب** ... أدعو ، ولا أفرض ... وأترك الناس يتنفسون .

لا غنى عن أسرة يسوع الجديدة هذه لتغيير العالم ونجاح البشرية . ليس عليها ، أن تفرض نفسها بالقوة أو بالسلطة ، وليس أيضًا أن تذوب فى العالم ، بل تعيش كنور فى العالم ، فى بر وصلاح حتى يروا أعمالنا فيمجدوا أبانا الذى فى السموات . **قال يسوع لتلاميذه :**

أنتم ملح العالم . يمكنكم وحدكم أن تعطوا طعمًا للعالم وتحفظوه من التلف ، حتى إن كان لا يعايش . عليكم أن تدخلوا إليه قانون المعايشة بدلاً من قانون الغابة . **فإذا فسد ملحكم فأى شىء يعيد إليه طعمه ؟... وفى هذه الحال ، أنتم ، الملح ، لا تصلحون إلا لأن تطرجوا خارجًا وتداسوا .**

(*) سمى نيرٌ لأنه يفرض علينا قواعد



أقول أيضًا : **أنتم نور العالم** . أسرة التلاميذ كمدينة موضوعة فى مكان عالٍ من التل ، لا يجدر بها أن تظل مخفية ، بل أن يلاحظ الناس بهاءها ، ويروها من كل مكان ، ونورها يسطع فى الليل . **أنتم اذن لا يجب أن تخفوا ضوءكم . لا يوقد سراج ليوضع تحت السرير أو تحت المكيال ، لكنه يوضع على المنارة ، ليضىء لجميع الذين فى البيت . ليسطع نوركم هكذا ، ليكن فى إمكان الجميع أن يلاحظوا تصرفكم المختلف كل الاختلاف عن تصرف العالم : الأمر الذى سوف يحث الناس على أن يؤمنوا بالله أبيكم الذى فى السموات .**

(٢١) ضابط معتاد على إصدار الأوامر ـــ أمّ لحوحة

(متى ٨: ٥ــ١٣، ١٥: ٢١ــ٢٨)



عند رجوعه إلى كفرناحوم أتى إلى يسوع ضابط رومانى يرأس سريّة مكوّنة من مائة جندى ، ولذا سموه « قائد مائة ». إنه غريب ، وأكثر من ذلك : يقود جيوش احتلال البلد ، فهو مكروه لهذين السببين .

جثا القائد أمام يسوع متوسلاً إليه :

لديّ عبد عزيز عليّ جدًا . هو ملقى على الفراش ، مقعد ، ويعانى أشد الآلام . فقال يسوع : أنا ذاهب لأشفيه .

سيدى ، لست أهلاً لأن تدخل بيتى ...

ثم أضاف :

سيدى ، حسبك أن تقول كلمة ... هكذا عن بعد ... وأنا على يقين أن عبدى سيبرأ . هكذا أنا لست إلا قائدًا مرؤوسًا ، ولى جند بإمرتى . يكفى أن أقول لأحدهم : اذهب هناك ، فيذهب ، وإذا قلت لآخر : تعالَ هنا ، يهرع إلىّ ... وإذا قلت لعبدى : « افعل هذا »! فيفعله فورًا ... بالنسبة إليك يحصل نفس الشىء : ليس عليك إلا أن تأمر المرض من بعيد ، وأنا على يقين أنه سيزول فى الحال .

وتعجب يسوع لمجرد سماعه كلام القائد وقال :

الحق أقول لكم ، لم أجد أحدًا من شعبنا يثق فىّ ويؤمن بى مثل هذا .

وقال لقائد المائة :



اذهب ... وليكن لك على قدر ما آمنت ... لا تقلق : عبدك قد شفى .

وفى الواقع ، عند رجوعه ، وجد قائد المائة أن عبده قد شفى تمامًا .

يدرك يسوع أن تلاميذه ، الذين حل بهم التعب والإرهاق يحتاجون إلى راحة . فقرر أن يعبر الحدود ليهرب من مضايقة الجموع ، ويأخذ بعض الوقت للترفيه عن النفس فى منطقة لا يعرفه سكانها : بلدتى صور وصيدا ، على شاطىء البحر ، فى شمال إقليم الجليل . الأمر الذى

يحتاج إلى سفر على الأقدام يمتد إلى بضع عشرات من الكيلومترات . وظن التلاميذ أنهم هناك على الأقل سوف يكونون فى هدوء .

« ولكنهم أخطأوا فى حسابهم ». لأن سمعة يسوع تعدت هذه الحدود . فلا يمكنه أن يمر من هناك إلا ويلاحظه الناس . قد تَعَرَّفَ بعضهم عليه ، وانتشر الخبر .

وإذا بامرأة كنعانية تأتى وتتوسل إلى يسوع :

سيدى ، أنت الذى يقال عنه إنه ابن داود (أعنى المسيح)، رحماك !... إن ابنتى يتخبطها الشيطان تخبطًا شديدًا ودائمًا .

هذه المرأة من أصل سورى — فينيقى ، فهى إذن وثنية . على كل ، المنطقة بأسرها عابدة أصنام . وفى الغالب تشكو ابنتها من مرض عصبى ، من حالة صرع بلا شك . ويظن الوثنيون ، مثل اليهود ، أن الأرواح النجسة التى تسكن أجسام البشر تسبب هذه الأمراض .



يتابع يسوع سيره ولم يجبها بكلمة . لكن المرأة تتبع يسوع ملّحة :

أرجوك ، أغثنى !

فقال التلاميذ : **يالها من امرأة مزعجة !...** لن نكون أبدًا فى هدوء أينما ذهبنا ! **بصياحها هذا ستنبه كل أهل البلد !... اصرفها يايسوع ... أو امنحها ما تطلبه حتى تتركنا** هذه المرأة الأجنبية **فى سلام !**

أيتها المرأة ، تسمعين ما يقولون ، وهم على صواب : **إنى لم أرسل إلا إلى شعبى . « لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل »... وليس**

إلى الآخرين . ترين ، « لا يحسن أن يؤخذ الخبز من أفواه البنين ليلقى إلى جراء الكلاب ».

دخلت العادة فى كلامهم : كان اليهود يقولون بسهولة : « هؤلاء الغرباء الكلاب ». واستأنف يسوع عن قصد هذه الصورة المزدرية التى تجعل من اليهود « البنين » ومن الغرباء « الكلاب »، إلا أنه يصحح قليلا ويتكلم على جراء الكلاب التى تعيش ببساطة تحت نفس السقف مع البنين ، تعارضًا مع « الكلاب الشاردة ».

ولكن هذا الدفع بعدم سماع دعواها لم يكن له وقع فى نفس **المرأة** ، ولم تكترث لأى إذلال . فهى لحوحة ، لأن الأمر هنا هو حياة ابنتها ، وتعرف كيف تنتهز الفرصة السانحة . **فردت على اعتراضات يسوع :**



هذا صحيح ، ولكن حتى جراء الكلاب تأكل من الفتات الذى يتساقط عن مائدة البنين .

ويسوع الذى كان يريد أن يجربها رحّب بهذا الجواب :

أيتها المرأة الطيبة ، ما أعظم ثقتك فىّ . إذن ، فليكن لك ما تريدين . يمكنك أن تذهبى مطمئنة . قد خرج الروح الشرير من ابنتك .

رجعت المرأة سريعًا إلى بيتها ووجدت ابنتها هادئة ومستريحة ، إذ كانت **قد شفيت .**



لابد أن تصل رسالة يسوع إلى الإنسان فى كل الأزمنة والأجناس ، فى كل الثقافات والأديان . من يرغب فى أن يكون عضوًا فى أسرته الجديدة ، فى كنيسته كما يسميها ، لا يضطر إلى أن يتخذ جنسية شعب معين ويفقد هكذا أصالته الثقافية ، ولا ضرورة أن يتبنى أخلاق وعادات حضارة خاصة ، أو يتبنى فلسفتها ولغتها ، فنها وآدابها ، رأيها فى الإنسان والكون ، ولا حتى طريقة تعبيرها عن إيمانها . يكفى فقط أن يضع ثقته فى يسوع وأن يجعل حياته مطابقة لتعليم يسوع . فعلى كل شعب وكل نسل أن يكتشف ، حسب أسلوب ثقافته الخاصة ، أسرار رسالة يسوع العجيبة .

(٢٢) يافتى ... قم !

(لوقا ٧: ١١—١٧)

استأنف يسوع جولاته فى الجليل . وحدث أن مر مع تلاميذه بمدينة نايين الصغيرة ، الواقعة فى جنوب الناصرة . **فلما اقتربوا من باب المدينة ، إذا ميت محمول خارجًا منها . فسألوا : « من توفّى فى نايين ؟ فأجاب الحاضرون : إنه شاب ، ابن وحيد لأرملة مسكينة** . ليس لها فى الحياة سواه . حقًا هذه الوفاة تجربة صعبة : لن تتعزى التعيسة عن حزنها . **جاءت كل المدينة تشيّع ابنها ، تعاطفًا نحو هذه الأم البائسة .**

حسب العادة ، تسير الأم قرب النعش حيث الميت ممدد ، مكشوف الرأس وملفوفًا فى كفنه . تبكى بكاء مرًا ، بكاء الأمهات اللائى فقدن سندهن الأخير وعلة حياتهن الوحيدة .

يتنحى التلاميذ احترامًا ليسهلوا مرور الموكب . **اهتزت مشاعر يسوع شفقة وتحننًا . فأوقف الأم التعيسة عند مرورها وقال لها :**

« **لا تبكِ** ».

ثم تقدم خطوة ، ووضع يده على النعش . فوقف حاملوه .

تأمل يسوع برهة وجه الشاب : وتأثر قلبه البشرى أمام صورة الموت هذه .



حينذاك ، بسلطان لا يقهر وهدوء تام ، **اكتفى بالقول :**

« **يافتى ، قم ، أنا أريد ذلك** ».

وإذا بالشاب يفتح عينيه ، وينتصب ، ثم ... جلس على النعش وشرع يتكلم .

بحركة لطيفة وابتسامة طيبة ، **قال يسوع للأم :**



أيتها المرأة ، ها إنك تلقين ثانية ابنك فى تمام الحياة .

كان أول انطباع للجمهور انطباع خوف : جثة انتعشت من ساعتها أمام عيونهم . **ولكن سريعًا تحول الخوف إلى تمجيدات** نحو « رجل الله ».

لاشك حقًا أن نبيًا عظيمًا قد حل بيننا ! هذه المرة لا يسعنا إلا أن نقول : إن الله افتقد شعبه .

ولعل البعض يقارنون هذا الحادث بقصة إيليا النبى الذى أقام ابن أرملة صرفة فى بلدة صيدا . وفى الواقع ، كان هذا النبى قد اختفى بطريقة سرية ، وكان الاعتقاد الشعبى أنه سيظهر من جديد فى زمن المسيح ... ومن يعلم ؟ لعل يسوع يبرهن هكذا أنه هو المسيح ؟

(٢٣) تكريم الأمهات وأولادهن

(لوقا ١٨: ١٥ــ١٧ و١٧: ١ــ٢)

الاهتمام الذى يبديه يسوع للأمهات وأولادهن يظهر فى عدة ظروف . فى كل مكان يمر به يجذبهم مثل المغنطيس . كل الأمهات وجميع الأطفال يريدون أن يقتربوا منه ، أن يروه عن قرب . **وتقدم الأمهات له أولادهن ، طالبات أن يلمسهم ويباركهم .**

يايسوع ضع يديك على طفلى ، سوف أكون سعيدة جدًا !

تتجاوز الأحداث التلاميذ الذين يشرفون على النظام : لا يمكنهم أن يصدوا الجمهور . **وليس المزاحمون هم الأطفال الرضّع الذين على أذرع أمهاتهم فحسب** ، لابد أيضًا أن يراقب التلاميذ كل صبيان الأزقة الذين يلعبون فى الشوارع ويندسون فى كل مكان ... وجوههم غير مغسولة ، وشعرهم ملىء بالغبار ، ثيابهم ممزقة وأرجلهم حافية وقذرة . فالماء نادر فى بعض الأماكن ، ولابد من ادخاره . فضلاً عن ذلك ، أن جروحًا صغيرة تملأ أوجه كثيرين من الأطفال وتجلب الذباب ، وأعينهم محمرّة ومنفوخة من كثرة البكاء . فى الغالب كان الشعب فى عصر يسوع وفى بلده يعتبر الأولاد الصغار عديمى

الشأن . تجد منهم كثيرين فى الأسرة ، إن عددًا لا بأس به منهم يموت فى سن الطفولة . وكان الأبوان يتركان الطفل الذى يولد بعيوب وراثية أو بعاهة يتركه أبواه ليموت . لاشك أن الوالدين يحبان أطفالهما ، لكن فى الواقع ، لا يهتمان كثيرًا بهم ، **ويتركون الأطفال لحالهم** .

فى بعض الأيام يفقد تلاميذ المسيح صبرهم ، ويصرفون الأمهات مع أطفالهن .



إن يسوع له أعمال أهم من الاهتمام بالأطفال .

لكن يسوع يؤنبهم بشدة :

أمنعكم أن تنهوا الأطفال عن أن يأتوا إلىّ ... فلأمثال هؤلاء ملكوت الله . لأن الذين لا يتقدمون إلى الملكوت بقلوب أطفال ، أى ببساطة وثقة وإنكار للذات ، **لن يدخلوه .**

وها هو يقبل كل الأطفال الذين يقدّمون له ، يأخذهم على ركبتيه ، يدللهم ويباركهم ... ياله من فخر لمثل هؤلاء الأمهات .

بالنسبة ليسوع قيمة الطفل ليست أقل من قيمة أى شخص بشرى .،فهو يستحق كل احترام .

ولذلك يقول :

ويل للعالم لأنه يعرّض الناس للخطيئة !... لن تختفى العثرات من العالم ، لكن الويل لمن يعمل ما يعرِّض طفلاً أو ضعيفًا لارتكاب الشر ، للوقوع فى الخطيئة أو لفقدان ثقته فىّ !...

فأولى أن تعلق رحىً من حجر فى عنقه (مثل الرحى التى تديرها الحمير لطحن القمح) ويلقى فى البحر .

ويختم يسوع كلامه معلنًا :

لا تحتقروا أحدًا ، حتى ولا طفلاً صغيرًا . وتذكَّروا أن ملاكه الحارس عند الآب فى السموات .

(٢٤) اللجاجة فى الصلاة

(مرقس ١: ٣٥، لوقا ١١: ٥ـــ١٣، ١٨: ١ـــ٨)

ينتهز يسوع فرصة مثل هذه ليلقى عن الصلاة تعليمًا كاملاً يوشّيه بصور طريفة ومقارنات مستوحاة من الحياة اليومية .

وهو شخصيًا يعطى المثل : يمضى ساعات فى الصلاة ، فى تأمل من القلب إلى القلب مع أبيه السماوى . يقوم فى الصباح مبكرًا ، ويخرج للذهاب إلى مكان قفر ، ليصلى هناك .

يلح كثيرًا فى المداومة على الصلاة وفى الثقة التى يجب على التلاميذ أن يضعوها فى أبيهم السماوى . لأن يسوع يعرف القلب البشرى حق المعرفة . يحذر الإنسان غالبًا من أن يرى فى الله سيدًا وليس أبًا . أى لا يؤمن بسهولة أن الله يهتم به . فيقول فى نفسه : على الأرض عدد لا يحصى من البشر ، فهل لدى الله الوقت والمقدرة ليفكر فى كل واحد منهم ؟... فضلاً عن ذلك ييأس الإنسان سريعًا جدًا . إن لم تتحقق رغباته سريعًا ، يفقد الثقة ، يظن أنه صلى بالكفاية ويترك الصلاة جانبًا . ويحبس نفسه فى خيبة أمله مثل الطفل الغاضب . والحقيقة أن يسوع يريد ـــ مهما كلف الأمر ـــ أن يفهم تلاميذه أنه لابد لهم من أن يضعوا ثقة لا حد لها فى الله أبيهم .

ومن أجل هذا يسرد عليهم يسوع قصصًا مألوفة ، بل مليئة فكاهة ، ولكنها موضحة .

وعلى سبيل المثال ، **قصة القاضى الظالم والأرملة العنيدة . ها هى أرملة ،** لا تزال شابة ، **تود أن تدافع عن حقوقها** وحقوق أولادها **ضد أناس يريدون لها الشر .** وهم فى الغالب أناس من أقاربها ، يسلبونها خيراتها وميراثها . **فذهبت إلى القاضى .** لكنها فقيرة ، وليس لديها ما يسمح لها بتقديم هدية له . بيد أن خصومها ، يمكنهم أن يتصرفوا بتواطؤ مع القاضى . فلم يبقَ للأرملة إلا سلاح واحد تدافع به عن نفسها : لجاجتها فى مجيئها لتقلق هدوء القاضى وعدم اكتراثه . **فأبى أن يستمع إليها مدة طويلة . ولكنها لم تزل تعيد الكرّة ،** حتى ولو اضطرت أن تأتى وتقيم مع أولادها على عتبة بيته .



أخيرًا ، فرغ معين صبره وقال فى نفسه :



قد انتهى الأمر بهذه المرأة إلى أن تصدع رأسى بقصتها . وإن لم يكن لى اهتمام كبير بالعدل : فأنا لا أخاف الله ولا أهاب الناس . بل إنى لا أهتم بحق الناس ، لكن لأرتاح منها .. سأنصفها .

هكذا صلاة هذه المرأة



أصبحت سلاحًا حقيقيًا ... فى حالات عديدة وبدون استعمال طرق عنيفة ، يطالب أشخاص لنيل حقوقهم . قوتهم هى صراخهم ، **وفى النهاية يحققون غرضهم .**

ويسوع يستخلص النتيجة :

قد سمعتم تفكير القاضى الظالم ... والآن ألا تظنون أن الله ، الذى هو الطيبة بعينها ، سيسمع نداء مختاريه الذين يصرخون إليه ليل نهار ؟... أجل ، بالطبع ، سوف يستجيب إليهم وينصفهم .

وكذلك يؤكد لتلاميذه أن الله سيسمع استغاثة ضيقتهم ، **يسرد يسوع قصة الصديق الذى يأتى إليه صاحبه ليزعجه ليلاً .**





أضرب لكم مثلاً : **كيف تتصرفون مع صديقكم ؟... لنفرض أنه يمضى إليكم فى نصف الليل ، ويقرع بابكم ليقول: « يا أخى أقرضنى ثلاثة أرغفة . تصور أن صديقًا وفد علىّ فجأة وليس عندى ما أضيفه به ».**

تبدأون بإجابته من الداخل :

« أرجوك ، دعنى وشأنى ، فالباب موصد ، وامرأتى وأولادى معى فى الفراش ، فلا يمكننى أن أقوم مرضاة لك ».

لابد أن نعرف ، فى الواقع ، فى أية حال تكون الغرفة الوحيدة التى تكوّن مسكن عائلة بسيطة أثناء الليل فى زمن يسوع وفى بلده . قبل النوم تبسط الحصر على الأرض بعدما ترتب على امتداد الجدران وعلى الصناديق كل الأطباق والجرار والسلال والثياب ، بحيث أن الباب يكون موصدًا . وكل الأسرة موجودة هنا ، متمددة تحت الأغطية . فمن المحال أن يصل أحد إلى صندوق الخبز ويفتحه .





وتابع يسوع : ولكن صديقكم باق وراء الباب ، يلح ويعلن أنه لن يترك المكان إن لم يحصل على ما يطلبه . **ويستمر فى قرع الباب . اذن فإن لم تريدوا أن تقدموا له مساعدة لكونه صديقًا ، ستنهضون مع ذلك وتعطونه ما طلبه للجاجته** . وإلا قد لا يتراجع أمام منع كل العائلة من النوم ... فضلاً عن أن واجب الضيافة نحو هذا الصديق الذى يستقبل أحد أصحابه فجأة واجب مقدس ، أليس كذلك ؟...

فيبتسم المستمعون لكلام يسوع ، ويقولون :

آه ، أجل ، هكذا بالضبط تحدث الأمور !

ويستنتج يسوع الدرس الآتى :

لا تظنوا أن الله يصم أذنيه ، ولكنه يود أن تستمروا فى الصلاة . **اسألوا تعطوا ، أطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم** .

هنا يطرح سؤالاً : لأن الخبرة تبرهن على أن الصلاة لله ، ولو كانت حارة وملّحة ، فقد لا تستجاب دائمًا ، لأن بعض الأشياء ليست لخيره ولا تدخل فى خطة الله له . على كل حال ، من المؤكد أن صلاته الحارة والواثقة سوف تستجاب ... يسوع يؤكد ذلك .

« بشتى الطرق سوف يمنح أبوكم السماوى الروح القدس لسائليه

أهم شيء بالنسبة للتلميذ أن يكون له نصيب فى روح يسوع ، فى روح إنجيله ، ليتصرف فى الحياة . هكذا الصلاة الحقيقية لا تضيع سدًى . حتى لو لم يُستجب طلب التلميذ فهو رابح دائمًا بروح الإنجيل التى تجعله يرى الأشياء والأحداث بأعين يسوع ، ويفهم المعنى الحقيقى لما يحصل ، يحكم ويعمل بصفته « ابنًا أصيلاً لله »

وذلك فى حال السعادة أو التعاسة ... فى الصحة أو المرض ... فى النجاح أو الفشل ... فى زمن السلام أو زمن الحرب ... سواء فى الأسرة أو فى حياة المجتمع أو فى السياسة ... فى عصر التسامح أو فى عصر الاضطهاد ... وأخيرًا أمام الموت .

من فرط التطلع إلى يسوع والتأمل فى إنجيله ، وبكثرة الصلاة حتى يبعث فيه روحه ، ينتهى التلميذ بأن يشبه يسوع على قدر ما . وقصارى القول ، إنه من الأهم أن يطلب التلميذ أن « يصبح مثل يسوع » من أن يطلب الحصول على هبات يسوع . والصلاة التى تطلب الاقتداء بيسوع تستجاب بصورة أكيدة .

(٢٥) الأقنعة تتساقط

(متى ٦: ١ــ١٧ و٢٣: ٢٧ــ٢٨، لوقا ١٨: ٩ــ١٤)

واستمرارًا فى المصارحة ، كشف يسوع كل الأقنعة التى كان بعض الكتبة والفريسيين يخفون زيفهم وراءها ليكسبوا تقدير الآخرين وحظوة الرأى العام . وندد بكل أنواع النفاق والادعاءات الكاذبة التى يحتال بها أصحاب المناصب ، وبصفة خاصة الذين يريدون أن يظهروا أناسًا كاملين فى أعين الآخرين ، لا غبار عليهم ، خاصة فى الميدان الدينى .

تحرصون على أن تبرزوا تمسككم بالشريعة الدينية . ولذا تحملون على جباهكم رقائق صغيرة من الصفيح مكتوب عليها بعض كلمات من هذه الشريعة ... تودون أن يعرفكم الناس كأشخاص قديسين ... ولكنكم فى الحقيقة تبحثون عن مراتب الشرف ، وعن أمكنة الصدارة فى المجامع والولائم ، تهوون المال وتحتكرون بلباقة ثروة الأرامل ... ويراكم الناس تمارسون صلوات طويلة علنًا ، فى مفارق الطرق ليعجب بكم المارّون . وتغيرون وجوهكم لتظهروا للناس أنكم صائمون صومًا قاسيًا ...



يحسن بكم أن تصلوا فى الخفية فى مخادعكم ... وتدهنوا رؤوسكم بالطيب ، وتُظهروا وجوها فرحة لكيلا يظهر لأحد أنكم صائمون . حينئذ الله الذى يرى فى الخفية ، يقدر تعبكم ... بينما إذا حصلتم على إعجاب الآخرين تكونون قد أخذتم أجركم .

ينفخون أمامكم فى الأبواق حتى تكونوا بمرأى من الناس عندما تقدمون هبة مهمة لجمعية خيرية ... وهنا أيضًا أخذتم أجركم ، وتفقد هبتكم قيمتها فى نظر الله .

بعض المرائين بينكم أنتم أيها الكتبة والفريسيون يجعلوننى أفكر فى هذه القبور المبيضة من الخارج التى تبرق فى ضوء الشمس ... لكن افتحوها : إن باطنها ممتلىء من عظام الموتى وكل نجاسة .

تظنون أنكم أناس كاملون ، لا غبار عليكم ... وتحتقرون الآخرين الذين يُعتبرون فى نظركم أهل شر وخطيئة ... وادعاؤكم المتكبر يبعدكم عن الله . فلأنكم متدينون ، أنتم على يقين أن الله معكم . يا له من خداع !... كل شىء يتوقف على ما فى قلوبكم . أما أنا ، فإنى أرى بغاة وعشارين يدركون حالتهم الخاطئة ويشعرون بأنهم مفتقرون إلى الخلاص والتحرير ... هؤلاء هم أقرب إلى الله منكم ، أنتم الذين أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم (مت ١٥ : ٦).

اسمعوا قصة الفريسى والعشار اللذين صعدا إلى هيكل أورشليم ليصليا . فوقف الفريسى قائمًا يصلى فيقول فى نفسه : اللهم شكرًا لك لأنى لست



كسائر الناس : بخيلاً ، زانيًا ، كاذبًا ، سارقًا .. كهذا العشار مثلاً الذى دخل من ساعته الهيكل فى نفس الوقت . فأنا أصوم فى الأسبوع مرتين ،

وأؤدى عشر دخلى كله لأقوم بنفقات عبادتك . آه ياسيد ، يمكنك أن تكون راضيًا عنى ، إنه يمكنك أن تعتمد على أناس مثلى . بدوننا نحن معشر الفريسيين لخلت الدنيا ممن يعرفون الله .

على أن العشار بقى فى مدخل الهيكل ، لا يجرؤ أن يرفع عينيه نحو السماء ، بل كان يقرع صدره ويقول : اللهم ارحمنى أنا الخاطىء ... إنى



أعترف أنى قمت بما هو شر فى عينيك ... اغتصبت من دافعى الضرائب أموالاً أكثر مما كانوا مدينين به لأغتنى ... اغفر لى ، أعدك بالتعويض عما اختلسته وبتغيير حياتى . ليس لدىّ ما أقدمه لك إلا روحى التى تحطمها الحسرة على ما بدر منى . ولكنك لا تحتقر قلبًا منسحقًا .... **أؤكد لكم ــ يقول يسوع ــ إنه عند الخروج من الهيكل نزل العشار إلى بيته مبررًا** ومحررًا ، **أما ذاك فلا** .

(٢٦) راعٍ وقائد

(يوحنا ١٠: ١ــ١٦)



فى الحقيقة ، كل طبقات العصر الحاكمة فى فلسطين ، سواء الملك هيرودس أنتيباس Antipas الذى يحكـم فى الجليل وفى بيريـة Pérée، الأحبار وطبقـة الأشراف الكهنوتية المكونة من صدّوقيّى أورشليم ، أو الكتبة ، معلمو الناموس وقضاة الأعمال الجارية ، فضلاً عن بيلاطس ، حاكم اليهودية الرومانى ، كلهم ينكشفون مخيبين للأمل . يتألم يسوع عندما يرى شعبه رؤساء أشرار إلى درجة بعيدة ، ويقول بصراحة إنهم « رعاة سيئون ».

لماذا يسمى رؤساء الدولة والطبقات الحاكمة « رعاة »؟... هذه الصورة مقتبسة من الحياة فى فلسطين ومن تاريخ الشعب اليهودى . بعكس الرعاة فى بلاد أخرى الذين يدفعون قطعانهم أمامهم ، إن رعاة فلسطين يسيرون على رأس بهائمهم ليقودوها إلى مراع خصبة وينابيع ماء لا يعرفها سواهم . إن أجداد أهل بلاد الكتاب المقدس : إبراهيم وإسحق ، يعقوب وأولادهم ، كانوا « رعاة ». وحينما أصبح خلفهم شعبًا ، سمى قادتهم بحكم الطبيعة « رعاة ». هكذا موسى هو أول « راع كبير». ثم داود ، الذى كان فى شبابه راعى بيت لحم ، والذى بعدما أصبح ملكًا ، سمى « راعى الشعب » لكن سريعًا ما قيل إن الراعى الحقيقى هو الله ، وإن الملوك وكل القادة الذين اختارهم الشعب ليسوا إلا ممثليه .

يعلن يسوع جهرًا أنه هو الراعى الصالح . وذلك بالمقابلة مع الرعاة الأشرار الذين هم قادة الشعب الدينيون فى عصره . وهم الذين يقصدهم .

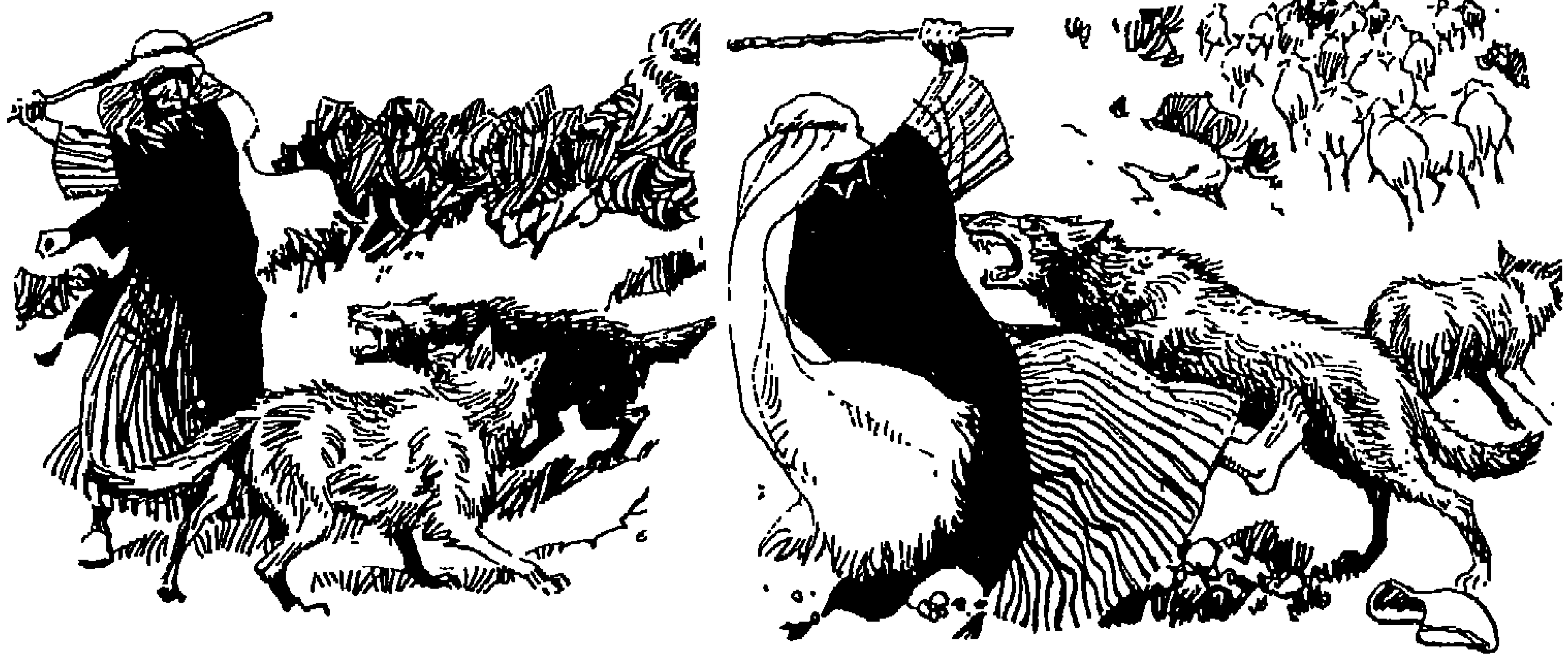
ويتابع يسوع : أنا الراعي الصالح . والراعى الحقيقى مستعد أن يبذل نفسه ليحمى خرافه ، بينما الأجير الذى ليس هو براع حقيقى ، يهرب إذا

رأى الذئب مقبلاً ويترك قطيعه . وهو يتصرف هكذا لأنه بالاختصار ليس إلا حارسًا أجيرًا ولا يبالى بالخراف . فيثب الذئب على الخراف فيفترس بعضها ، وقريبًا يبدد كل القطيع . أما أنا فإنى الراعى الحقيقى . أعرف خرافى وخرافى تعرفنى ، كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف أبى . وأبذل نفسى فى سبيل خرافى .



يتعارض تصرف الراعى الحقيقى مع تصرف الراعى المرتزق ، أى مع الأجير الذى يستخدم للضرورة ، ولكنه ليس براع حقيقى ، والذى فى حالة الخطر (عند هجمة ذئاب أو ضباع) يهرب تاركًا القطيع . وفى الواقع ، الحارس الأجير لا يبالى بالخراف . تنقصه العلاقة الحيوية التى تربط الراعى الحقيقى بخرافه ، ولذا فهو لا يتخذ موقفًا حسنًا ، ولا يجاذف بنفسه لينقذ خرافه من الخطر .

وبالعكس فالراعى الحقيقى لا يتردد فى بذل نفسه فى سبيل خرافه . إن رعاة فلسطين يتفاخرون بأسماء زملاء لهم ماتوا فى صراعهم ضد الوحوش



الضارية للدفاع عن قطعانهم . وذلك لأن صلة حب حقيقية تقوم بين الراعى الحقيقى وبين خرافه . فهو يعرفها جميعًا ، وقد أعطى اسمًا لكل منها بحسب شكلها ولونها وطبعها وخصائصها ، وسوف يحتفظ كل خروف باسمه دائمًا ويعرف أن الراعى يخاطبه عندما يردد بصوته اسمه فى أذنيه . يدعو الراعى خرافه ، كلاًّ باسمه ، ويذهب بها .

هكذا يعرف يسوع كل إنسان . يمكن كل شخص أن يقول إن يسوع يهتم شخصيًا به . ألم يكن كل واحد « حلم حب من أحلام الله »، كائنًا أصيلاً وفريدًا من نوعه ، ذا تاريخ لا يشبه أى تاريخ آخر ولن يتكرر أبدًا . وهو مدعو أن يحقق قصد الله فى حياته .

(٢٧) رقص ينتهى بقطع رأس

(مرقس ٦: ١٧ــ٢٩)



فى تلك الأيام ، بلغ يسوع وتلاميذه خبر موت يوحنا المعمدان فى ظروف مفجعة ... ومن السهل أن نتخيل الصدمة فى الجماعة ، وخاصة عند الذين تتلمذوا ليوحنا قبل أن يتبعوا يسوع .

ماذا حصل منذ الزمن الذى أشار فيه يوحنا المعمدان إلى أن يسوع هو المسيح ؟

هوذا : الملك هيرودس أنتيباس ، الذى كان حاكمًا فى الجليل وبيريه Pérée، انشغل فكره بالجماهير الحاشدة المتحمسة التى التفت حول رجل الصحراء ، وكان يخشى أن هذا الزعيم الشعبى يشعل ثورة : الأمر الذى يسىء إلى حلمه السياسى الكبير بأن يجمع كل فلسطين تحت سلطته ، برضاء إمبراطور روما الذى كان يتملقه لكى يحقق له حلمه .

وجاء حادث من حوادث حياة الملك الخاصة يعجّل الظروف .

كان هيرودس أنتيباس قد طلق امرأته الأولى ليتزوج من امرأة أخيه واسم هذه المرأة الثانية هيروديا . حسودة وشديدة السطوة ، كانت لا تتفاهم مع زوجها الأول ، الذى كانت تعتبره تافهًا ، وتحلم بأن تصبح ملكة فلسطين . وتعلم أن هيرودس أنتيباس طموح وأنه الوحيد القادر على أن يكون يومًا ما ملكًا على البلد كلها ... ولكن زواجًا ثانيًا غير شرعى سبب فضيحة . **وذات يوم حدث أن يوحنا المعمدان** الذى لا يهادن الخطيئة ، **حضر إلى قصر أنتيباس** ليصرخ محتجًّا : **إن شريعة موسى قاطعة فى هذا الصدد : « لا يجوز لك أن تتزوج من امرأة أخيك ». ووجد أنتيباس حينذاك سببًا جديدًا ليأمر باعتقال يوحنا المعمدان وإرساله إلى سجن ماخيروس** Machéronte.

كان الملك هيرودس أنتيباس طموحًا ، صفيق الوجه . **وكان بصفة خاصة يخشى يوحنا المعمدان الذى كان الشعب يعتبره نبيًا عظيمًا** . وكان هيرودس قلقًا ، وفى نفس الوقت مبهورًا بهذا الشخص الذى يرى فيه نوعًا من حضور الله . يمكننا أن نظن أن يوحنا المعمدان كان بالأحرى يتمتع ببعض الحرية فى القلعة ، **فيقابله هيرودس غالبًا ويسمعه . ويوحنا يوجّه إليه كلامًا مخيفًا ومحيرًا** . ولعل هيرودس كان يبحث سرًا عن فرصة ليطلق سراحه حتى يحوز رضا الشعب . لكنه سريعًا ما كان يقع تحت تأثير هيروديا التى كانت تكن للنبى حقدًا دفينًا وحلفت أنها ستقتله . كانت لا تزال تخشى أن يتراجع أنتيباس عن رأيه ويطردها : الأمر الذى كان يحبط كل أحلامها بالعظمة .

كانت الملكة هيروديا تضمر ليوحنا المعمدان بغضًا قاتلاً .

سنحت لها فرصة مواتية بمناسبة مأدبة عيد ميلاد الملك ، مأدبة كانت تجمع أصحاب الرتب فى القصر الملكى ، وقواد الجيش وأعيان أقاليمه .

وجرى ذلك فى ماخيروس Machéronte، القصر — القلعة التى كان يوحنا المعمدان مسجونًا فيها ، وحيث كان الملك أنتيباس يحب أن يسكن .

خلال المأدبة دخلت ابنة هيروديا ، واسمها سالومى ، **ورقصت أمام الضيوف** . لاشك أنه كان مشهدًا مثيرًا للأعصاب : نوعًا من الرقص الخليع قامت به فتاة شبه عارية . وبلاط الملك هيرودس أنتيباس ، غاوى الملذات الشهوانية ، كان شديد الرغبة فى هذا النوع الماجن .

فى هذه اللحظة ، كان الملك مترنحًا والمأدبة قد تحولت إلى قصف ورقص . تشتعل الأدمغة وتمتلىء الأعين شهوة وجشعًا أمام هذا الثعبان الصغير الذى



يتلوى برشاقة بالغة فى وسط القاعة على نغم المزامير والدفوف . **وابنة هيروديا تستثير عاصفة مدوية من التصفيق** . فى الغالب **كان الملك** قد سكر . وكان **مفتونًا بشدة حتى أنه قال للفتاة : ياحبيبتى ، سلى ما شئت أعطيك** ... وفى تهوره **يقسم لها : هذا أكيد ... أطلبى منى ما تريدين أعطيك إياه : أقسم لك بذلك ... ولو طلبت نصف مملكتى لأعطيته لك ، فإنى أقسمت** ..(هذه طريقة فى الكلام).

لم تتوقع الفتاة سالومى هذيانًا مثل هذا . **فخرجت وطلبت نصيحة أمها** (كان العرف يعارض أن تأكل النساء مع الرجال) : « أماه ، ماذا أطلب ؟... انتهزت المرأة الخبيثة الفرصة فورًا : فقد واتتها الفرصة للأخذ بثأرها . « **أطلبى منه رأس يوحنا المعمدان** »!



وتعرف سالومى إلى أى مدى سوف تحقق رغبة أمها . **فرجعت إلى قاعة المأدبة وأسرعت إلى مكان جلوس الملك** . وبابتسامة ماكرة ، وبوقاحة لا تليق البتة بسنها ، قالت : « **أريد أن تعطينى رأس يوحنا المعمدان فورًا ، هنا الآن وعلى طبق** ».

وعليه أفاق أنتيباس . وأدرك هول حماقته : يالرعونته عندما فاه بوعد مغالٍ فيه !... لكنه وقع فى الحفرة التى حفرها . **والآن يظهر أنه مرتبك ، بل حزين ، ومفحم . من المحال أن يرفض شيئًا ، لأنه أقسم من ساعته أمام كل ضيوفه** ، فلا يمكنه أن يتراجع عن قوله حتى لا يخزى ويصير أضحوكة للناس ، فالقسم شىء مقدس . وقصارى القول ، تغلّب الخوف على فظاعة ارتكاب الجرم . **فأرسل كُرْهًا السيّاف إلى السجن وأمره بأن يأتى برأس يوحنا المعمدان . [illegible] السيّاف إلى السجن وقطع رأس النبى** .

وبعد لحظات قليلة ، فى جو الحفلة الذى أصبح فجأة مرعبًا ، أُتى على طبق من فضة بهذا الرأس التى لم تزل ساخنة . كانت العينان الكبيرتان متجمدتين فى نظرة معذب أخيرة . رؤية مخيفة سوف تلاحق طويلاً الطاغى

مسببة له وخز مؤلم لضميره .

حينئذ دفع الطبق إلى الفتاة التى أسرعت تحمله إلى أمها .

(٢٨) وجبة فى الهواء الطلق تنتهى بمظاهرة

(يوحنا ٦: ١ــ١٦، مرقس ٦: ٣٠ــ٤٤)

جماهير كفرناحوم وشواطىء البحيرة لا تزال فى تزايد ، وتداوم الحضور لسماع يسوع ، مع حمل المرضى والعجزة ليشفيهم . غير أن يسوع يشعر بأن تلاميذه متعبون لكن لابد لهم من أن يعودوا بلا انقطاع إلى الاهتمام بجميع القادمين والذاهبين حول قافلتهم الصغيرة ، حتى لم تتح لهم فرصة لمجرد تناول الطعام .

فقال لهم يسوع : تعالوا ، سوف نذهب على حدة إلى ركن منعزل فى الجبل ، حيث يمكنكم أن ترتاحوا قليلاً ، وحتى نتفادى الجمهور . كل فرقة التلاميذ صعدت فى سفينة ، وتوجه أعضاؤها نحو بيت صيدا . ولكن ساكنى شاطىء البحيرة استشفّوا نواياهم ، فبادروا إلى الركوض على الدرب الذى بجانب ضفاف البحيرة ، آملين أن يصلوا أولاً . وعندما اقترب يسوع من الشاطىء ، وجد جماهير حاشدة جاءت من كل المدن المجاورة . هل سيرجع يسوع إلى الوراء ليهرب من الجمهور ؟... لا بالطبع ، من يعرفه لا يتصور ذلك !... نراه بالعكس ينسى تعبه وتعب تلاميذه ويبادر إلى توجيه كلامه إلى الشعب .

كان قد مضى وقت طويل وهو لا يزال فى كرازته . وبينما كان النهار قد بدأ يميل ، قال له التلاميذ : المكان قفر وقد فات الوقت . فلابد من صرف هؤلاء الناس ليذهبوا إلى المزارع والقرى الصغيرة المجاورة ، فيشتروا لهم ما يأكلون .

لماذا تريدون صرفهم ؟ عليكم أنتم أن تعطوهم ما يأكلون !

رأى يسوع الحيرة فى عيون تلاميذه . فتوجه إلى فيلبس الذى كان مشغولاً فى تقدير عدد الموجودين بالتقريب :

هيا ، من أين تظن أنه يمكننا أن نشترى ما يكفى من الخبز ليأكل الجميع ويشبعوا ؟ (وانما قال هذا ليعرف مدى ثقته ، لأنه كان يعلم ما سيصنع).

لابد من أن نضحى بأكثر من مائتى دينار حتى نعطى كسرة صغيرة لكل واحد منهم .

أية كمية من الخبز لديكم ؟ اذهبوا وانظروا !



فذهب التلاميذ وفتحوا أكياس سفرهم . فوجدوها فارغة : لا شيء ! **لاحظ أندراوس ، أخو بطرس صبيًا يحمل فى كيس فطائر رقاق وسمكات مملحة** ، لن يقلق لبيع بضاعته .

« ههنا صبى معه خمسة أرغفة من شعير وسمكتان ، ولكن هذا شيء تافه . ماذا يكون هذا ليكفى مثل هذا الجمع ؟.

مع ذلك قال يسوع . إئتونى بها . والآن أجلسوا جميع الناس على العشب أفواجًا أفواجًا ، كل فوج من خمسين شخصٍ .

كان الرسل قد بدأوا يتقنون خدمة الناس وترتيبهم . **وكان هناك عشب كثير .**

حدث ذلك فى فصل الربيع : فى تلك الحقبة من الزمن كان منحدر البحيرة يغطى بعشب أخضر منثور بأزهار ذات ألوان زاهية : سيوف الغراب وأزهار النرجس وشقائق النعمان .

وسريعًا ، كان كل الناس أفواجًا كل فوج يضم خمسين شخصًا ، تمددوا على العشب .

وبدأت الوجبة : **رفع يسوع عينيه إلى السماء وتلا عبارة البركة على**

الأطعمة . ثم جلس وأخذ **فطائر الرقاق الخمس ، وقسمها وأعطاها لتلاميذه ليوزعوها . وفعل مثل ذلك بالسمكتين .**



أكل الجميع قدر طاقتهم وشبعوا . أمر لا يصدق !.

عندئذ ، لما كان **يسوع** يعرف قيمة الكسرة من الخبز ، لأنه اشتغل حتى الثلاثين من عمره ليكسبها ، **أمر رسله قائلاً : عليكم الآن أن تجمعوا كل الفضلات ، فلا يجوز أن يضيع شيء .**

وجمعوا هكذا اثنتى عشرة قفة ممتلئة من الكسر والفضلات .

حقًا من المذهل أنه قدم أكلاً كافيًا لجمهور من الناس من بضعة أرغفة وسمكتين مشويتين . **يمكننا أن نقدر عدد المشتركين فى هذه الأكلة ببضعة آلاف** . لكن أليس هذا أمرًا مستبعدًا ؟... أسطوريًا نوعًا ما ؟...

لننتبه !. لم يكن هذا الحادث خياليًا ، قد يكون مناقضًا لطريقة البحث التاريخى .

فى الواقع إنه يحتم علينا التفكير التالى : من المؤكد أن عددًا لا بأس به من الناس اعترفوا بيسوع كالمسيح . وعليه كان لابد له من أن يقدم براهين تتناسب مع عقليات معاصريه وقادرة على إقناعهم . ماذا كان يمكن أن يقال

عن هذا المسيح المنتظر الذى كان الشعب يأمل فى أن يأتى معه بالعصر الذهبى على الأرض ؟. إن الحال كان يقتضى أن يحقق الطعام للشعب ، حتى ولو أنزله من السماء مثلما فعل موسى فى البرية على هيئة المن ... وهنا يثور تساؤل ... كيف حدثت هذه المعجزة ؟ لاشك أن محاولات كثيرة بذلت لتفسير هذه المعجزة ... لكن ...

ما الفائدة فى معرفة ما جرى بالضبط وكيف حصل ما حصل ؟... ما الفائدة فى الرغبة فى اكتشاف سر سلطان الإنسان (الإله يسوع) على المادة ؟. لقد جرى بمعرفة ومرأى جمهور بكامله . كان الانطلاق من لا شىء تقريبًا وآلاف من الناس شبعوا . وهذا الحادث كان مؤثرًا ومذهلاً إلى حد أنه لم يُمْحَ قط من ذاكرة الذين رأوه .



لم تكد الوجبة تنتهى حتى اندلعت مظاهرة شعبية : وصل الحماس إلى الذروة . وبخاصة أطلق الرجال العنان لحماسهم . فقد وجدوا المسيح الذى يحتاجون إليه ، رجلاً مذهلاً ، قادرًا على أن يشبع الشعب بمعجزات لا تحصى . حقًا كان يقال : إن المحرّر سوف يأتى إلى الأرض بالسعادة الكاملة ، بالغنى والثروة . لاشك أن يسوع هو المسيح . يا شعب إسرائيل ، أتت ساعتك ... ها هو قائدك ... فليحى يسوع المسيح . فليحى يسوع المحرِّر ... هيا بالأسلحة . إلى الأمام . الموت لهيرودس ، الدخيل ! الموت للرومان الغزاة ... **نريد يسوع ملكًا ... هو المحرر المنتظر** . الناس يتصايحون ، يؤمنون . أطلق الجمهور العنان لحماسه ، الصخب يتزايد ... الثورة تقصف ... هو الانتصار العظيم ليسوع وللمناهضين . لابد أن نكره يسوع على القبول ... لابد أن كل الشعب يعترف به ويهتف له ... لعله لا ينتظر إلا ذلك ؟ آه ، كان يريد أن يتأكد من شعور الشعب ... كان بلا شك يريد تصويتًا عامًا ... والآن ها هو .

يرى **يسوع** الخطر ... إنه خطأ تام فى معنى رسالته . بالنسبة إلى أصدقاء يسوع أنفسهم قد احمرت الدنيا فى أعينهم . وهذا هو الموقف الأكثر حرجًا . مهما كلف الأمر ، لابد من انتشالهم من هذا الحماس المندفع المتهور . حينذاك **أمر** يسوع **الرسل أن يذهبوا ، أن يعبروا البحيرة فى اتجاه بيت صيدا : سوف يلحق بهم هناك** . لكنهم لا يريدون أن ينصاعوا لأمره . ماذا ؟... كيف يتركونه فى أوج انتصاره ؟ إن نجاحه هو أيضًا نجاح لهم . هم فخورون به ... إنه زهوة كبرياء تهيجهم ... فهم وزراء النظام الجديد القادم ... يرى يسوع نفسه مضطرًا أن يتكلم بشدة : **هذا أمر . ولابد لهم من الخضوع .**

كان الليل قد هبط عندما نزل التلاميذ نحو البحيرة ، وكرهًا **صعدوا إلى السفينة للعبور** . بلا وعى **يجذفون فى اتجاه كفرناحوم** ... هم مرتبكون خجلاً ، يتساءلون عما فعلوه من شر ، ولماذا لم يرد يسوع أن يرى رفاقه انتصاره ، الذين لم ينفصلوا عنه بل نذروا أنفسهم له حتى الموت ؟... كل ذلك غامض بالنسبة لهم .

بينما يسوع فى وسط الجمهور يهدىء الشعب الذى لا يزال يصرخ . يوصيهم بالهدوء ، **ويحاول أن يُفهم جميع هؤلاء الناس أن الساعة متأخرة وأنه حان وقت رجوعهم إلى منازلهم . يعرف أن بعضهم يدبرون مؤامرة ، قد قرروا أن يخطفوه عنوة ليقيموه ملكًا رغمًا عنه** . فكان له حل واحد : أن يهرب منهم ، وهذا ما فعله ، **تمكن من أن يتخلص منهم ، ويصرفهم ، ثم توصل إلى أن يهرب ــ دون أن يراه أحد ــ إلى دروب الجبل ، وهناك قضى وقتًا فى الصلاة .**

(٢٩) علامات الملكوت

لنرجع إلى الأكلة المرتجلة التى سميت منذ قديم الزمان « تكثير الخبز ».

قد وجدنا من قبل عدة قصص لمعجزات وردت فى الأناجيل : مشلول يمشى بغتة ... أعمى يفتح عينيه فجأة فيرى ... ميت يعود إلى الحياة ... شبكة تفيض سمكًا بعد ليلة بدون صيد ... ماء يتحول إلى خمر ... أرغفة

تتكاثر ... عاصفة تهدأ بالأمر . من الأكيد أن حماس الجماهير الهائل إزاء يسوع لا يفهم البتة بدون كل هذه المعجزات . فإعلان يسوع ــ مثلما كان يقوم به ــ أن ملكوت الله حاضر وقد دخل فى حيز التنفيذ . أى أن تحقيق هذه الرغبة غير المعقولة التى كانت رغبة اليهود المتدينين وآلاف المساكين .. فى أن يروا الله يحضر أخيرًا ليأخذ كل شيء على عاتقه ، بعد سنين عديدة من العصيان والطغيان ، من البؤس والخطيئة ... كل ذلك كان يتطلب لزامًا براهين ساطعة ، وإلا كانت خيبة الأمل كاملة . ولذلك عمل يسوع هذه المعجزة .

والحال أن طاقة سرية كانت تنبثق من يسوع بقوة وفاعلية هائلتين (لوقا ٨: ٤٦). لا نعلم كل شيء عن سلطة الروح على المادة . **لماذا لم يكن قادرًا (مثلاً) فى ظروف معينة ، على إيقاظ وإثارة (بعد ضربها فى ١٠٠٠) إمكانات الشفاء الباقية فى جسم مريض أو عاجز لا يرجى منها شيء ؟**

ثمة سبب للتمييز بين « آية » و« معجزة ». الآية تدعو إلى الإعجاب . فى الحياة العادية نحن منغمسون فى وسط العجائب : البذرة الصغيرة التى تصبح زهرة رائعة أو شجرة شامخة ، طفل يتكون فى أحشاء أمه : أى شيء أعجب من ذلك ؟... لكنها عجائب مألوفة إلى حد أنها تكاد لا تلفت انتباهنا . أما المعجزة ، فهى آية غير عادية ، ومن شأنها أن تكون علامة من الله ، الذى يُبلغ رسالة من لدنه تجعلنا نتساءل : « ماذا يريد الله أن يقوله لنا »؟ فى المعجزات التى نقلتها لنا الأناجيل . الآية فى حد ذاتها (أى معرفة ما حصل) لا تثير أبدًا أية مشكلة . لا أحد ينكرها ، والتفاصيل التى نسردها بها قد تختلف فى صياغتها ونهجها . ولكن هذا لا يغير شيئًا فيما هو أساسى . قد تحقق منها الناس فعلاً . أما أعداء يسوع ، فيتساءلون فقط : ممن أمكنه أن يستمد هذا السلطان ؟... ولو كان من الشيطان ؟

هكذا إذن ، المهم فى المعجزة هو معرفة ما يريد الله أن يقوله لنا بهذه الآية غير المألوفة . لنأخذ مثلاً : عند رجوعى إلى منزلى وجدت باقة زهور أتتنى بها يد مجهولة . يمكننى أن أنظر إليها بإعجاب وأبادر فى البحث لأتحقق من أى نوع فى علم النبات هى ، وكيف تتفتح ... الخ . ولكنى أفضل أن أطرح

على نفسى أسئلة مثل هذه : « من وضع هذه الباقة عندى وبدون علمى ؟... بأية نية ؟... بأية رسالة أو تصريح حب تأتينى به هذه الزهزر ؟ هذا هو المهم . هكذا المعجزة آية تكلم المؤمن وتشير إليه بكلمة إو إرادة من الله .

المعجزة لا تجبر أحدًا على الإيمان . بين الذين رأوا معجزات يسوع ، كثيرون رفضوا أن يؤمنوا ، لا بل إنهم أعلنوا عداوتهم له . لم يقم يسوع بمعجزات ليبهر الناس ويفرض ذاته عليهم . إنه قام بها بطيبة صافية ، ولكى يضعهم على الطريق الصحيح . قد قال شخصيًا إن رجوع ميت إلى الحياة لهو برهان مدهش لكنه ليس جديرًا بأن يحمل شخصًا على أن يؤمن بشخص آخر ويحبه (لوقا ١٦: ٣١). فالمسيحى لا يؤمن بيسوع من أجل معجزاته : إن أساس إيمانه هو حادث قيامته من الأموات . والنبوات التى تضمنها الكتاب المقدس والتى تحدثت عنه ، وعن حياته وميلاده وآلامه وقيامته .

ما هى إذن العلامات ؟ رسائل الله التى لابد لنا من اكتشافها من خلال المعجزات الواردة فى الأناجيل ؟. ها هى بضعة أمثلة : شفاء ضرير هو علامة نور باطنى أو وحى للذى يؤمن بيسوع . ومُقعد يرجع إلى المشى على الأقدام هو علامة انطلاق روحانى للذى كان واقفًا بلا حراك ، متصلبًا فى همومه المادية ليس إلا ... وميت يعود إلى الحياة هو علامة عودة إلى حياة الصداقة مع الله للذى كان قد فقد هذه الصداقة وأصبح ميتًا روحيًا ... وماء يتحول إلى خمر أثناء مأدبة هو إعلان تغيير مجتمع بواسطة ملكوت الله الذى أتى به يسوع ... وعاصفة تهدأ أو سير على الماء هو علامة أنه مع يسوع يمكن للإنسان أن يتسلط على قوى الشر المتحفزة دائمًا لابتلاعه ... وصيد مدهش هو إعلان مجىء عدد كبير من الناس إلى يسوع ... وتكثير أرغفة هو إعلان طعام آخر روحانى يشير إلى يسوع بصفته خبز الحياة (يو ٦: ٣٥) والذى يقبل إليه لا يجوع . أو (الإفخارستيا) بحسب فكر الكنائس التقليدية .

لماذا لا يصبح شخصيًا كلُ تلميذ من تلاميذ يسوع « علامة » ليسوع فى بيئة حياته وفى كل تعهداته حتى أن جميع من يسمعونه يتكلم ويحكم ، ويرونه يعمل ، يطرحون أنفسهم على بساط البحث ويصلون إلى الإيمان ؟

(٣٠) حقيقة وليس خيال

(متى ١٤: ٢٢—٣٣، يوحنا ٦: ١٦—٢١)



بعد معجزة تكثير الأرغفة ، أجبر يسوع رفاقه على أن يركبوا السفينة ويعبروا البحيرة متجهين إلى كفرناحوم . أما هو فبقى وحده ليصرف الجمع .

عندما دخلت سفينة الرفاق فى عرض البحر عصفت الريح ، وكانت معاكسة للسفينة . فأجبرتهم على أن يجدفوا بصعوبة على مياه طغت أمواجها .

عند الساعة الثالثة صباحًا جاءهم يسوع ماشيًا على البحر كأنه ماشٍ على أرض صلبة . فلما رأوه يتقدم نحوهم اضطربوا بشدة ...

أنظروا : هذا خيال !... هذا خيال !...

لكنّ الخيال بادر بالكلام ... وعرفوا .. أنه صوت يسوع .



أنا هو !... سكّنوا روعكم ... لا تخافوا !...

بنفس الطريقة التى هدّأ بها العاصفة وسكّن البحر ، يظهر يسوع هذه الليلة أنه داس القوى الشريرة بسيره على الأمواج المزبدة . قلنا ، قبل ذلك ، إن البحر بأعماقه التى لا تسبر وعواصفه الهائلة ، كان فى العقلية الدينية فى ذاك الزمن رمزًا للشر .

بطرس لا يخطىء فى تقديره : يشترك يسوع فى تلك السلطة الإلهية القادرة وحدها على قهر قوى الشر . ألم يقدر أن يشرك بطرس ولو قليلاً فى هذه السلطة ، بما أنه صديقه ؟... **فصاح ليسوع :**

يسوع ، إن كنت إياه ، فمرنى أن أقتدى بك وآتى إليك ماشيًا على الماء .

بالطبع !... هيا ، تعال !...

وها هو بطرس يتخطى السفينة ويبدأ يمشى على الماء آتيًا نحو يسوع .



هو فخور أن يدوس ماء العاصفة والموت ، هذا الذى حاول مرارًا عديدة أن يبتلعه . حقًا إنه يعلم أنه وحده لن يقوى على ذلك ، لابد أن يكون هذا هو يسوع الذى يسمح له هكذا ، بسلطانه ، أن يسيطر على البحر . **لكن لو حوّل انتباهه عنه** وكفّ عن أن ينظر إليه آتيًا نحوه ، **لتعرض بطرس للغرق فى هذا البحر الهائج هيجانًا شديدًا فى هذه الليلة !...** أمن الفطنة أن ينقاد لتلك اللعبة الخطرة ؟... **ها هو**



خائف ... وأخذ يغرق ...



يايسوع ... نجنى !...

فمد يسوع يده وبطرس تمسّك بها ... وها هو يرجع إلى اتزانه ووقف على شيء صلب .

ياقليل الإيمان !... لماذا شككت فيّ ؟...

سريعًا تلاقى الجميع فى السفينة . سكنت الـريح بغتة . وعليه كان الرفاق مذهولين مثلما كانوا ليلة تهدئة العاصفة على البحيرة ، **ومضطرين أن يعترفوا :**

أنت حقًا صاحب سلطان إلهى !

هنا راح يسوع يتابع ما كان قد شرع به فى واقعة تهدئة العاصفة ، وهو تكوين رفاقه الأليفين ، حتى ينمى إيمانهم به .

فضلاً عن ذلك ، دفع يسوع رفاقه ، وبعدهم كل أعضاء أسرته الجديدة ، إلى أن يجازفوا بأنفسهم مثل بطرس الذى حاول السير على الماء . على مؤمنى كل الأزمنة أن يظهروا جرأة ليحملوا الإنجيل إلى كل مكان ، ويتعهدوا بالصراع ضد قوى الشر . وإذا وضعوا ثقتهم فى يسوع ، أو عرفوا مثل بطرس أن يطلبوا نجدته بتواضع وبالاعتراف ببؤسهم ، عندما يجعلهم ضعفهم وحماقتهم يغرقون أيضًا فى الشر رغم أنهم يريدون التغلب عليه ، حينذاك يدركون حضور يسوع الذى سوف يعدهم لمتابعة الصراع ضد الشر .

بعدما عبروا البحيرة ، نزل يسوع ورفاقه إلى شاطىء جنيسارت ، غير بعيد عن كفرناحوم .

(٣١) أطعمة أرضية و« خبز الحياة »

(يوحنا ٦: ٢٢—٧١)

أطعم يسوع جمعًا غفيرًا من الناس انطلاقًا من سلة صغيرة تحوى بضعة أرغفة وسمكتين . عرف الناس فى ذلك علامة عصر المسيح الذهبى الذى أعلن عنه الأنبياء . **وفى حماسهم أرادوا أن يعلنوه ... ملكًا ، لكنه توارى عنهم** .

فى مجمع كفرناحوم حيث لقوه ثانية فى الغد ، حاول يسوع أن يفهمهم أنهم أخطأوا فى تأويل **معنى هذه الوجبة المرتجلة** ، وأنه مثل كل الأعمال التى يقوم بها علنًا ، هذه المعجزة كان لها معنى : أن يطعم جمعًا غفيرًا بلا شىء تقريبًا ، هذا بلا شك علامة الوفرة فى زمن المسيح ، لكن لابد أن نرى فيها الإعلان عن أن الله سوف يعطى ويكثر خبزًا سريًا يضمن الحياة الحقة ، حياته هو ... فلابد إذن أن نتخطى رؤية زمن الرخاء البسيطة التى تحققها خيرات مادية وأطعمة أرضية . فقال لهم :

أنا عارف أنكم تطلبوننى .. من أجل فطائر الخبز التى أكلتموها وكفتكم أمس : هذا هو الذى يجعلكم تركضون نحوى لكن الطعام المادى ليس الوحيد الذى يحسب له حساب . لابد من الاهتمام بأمور الله .

والآن ، ماذا ينتظر الله منا ؟...

ما ينتظره الله منكم هو أن تضعوا ثقتكم فىّ ، أنا رسوله على الأرض .

إننا موافقون !... لكن تلزمنا علامة لا ريب فيها ، برهان ساطع لنؤمن بك ... نرغب أن نرى **مثلاً منًّا ينزل من السماء أمام أعيننا ، مثلما حصل فى زمن موسى .**

انتبهوا !... ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء .

الخبز الحقيقى النازل حقيقة من السماء والآتى من الله ، هو أنا . الخبز العادى لا يسكّن الجوع ، لابد منه دائمًا ويظل به الناس دائمًا على جوعهم ، فضلاً عن ذلك ، فهو لا يمنع من الموت . والبرهان على ذلك أن من أكلوا المن فى الصحراء ماتوا : أما الخبز الحقيقى الذى أعطيه أنا ، فمن يأكل منهلن

يجوع ولن يموت ، لأنه يعطى حياة أبدية .

يود يسوع أن يفهم سامعيه أنه وحده قادر على أن يسكّن جوع الإنسان ... وفى الواقع ، لا يوجد فقط جوع الطعام وعطش الشراب المادى . فهناك أنواع أخرى من الجوع ومن العطش : توجد الحاجة إلى الصداقة والأخوّة والحق . وأعمق من ذلك بكثير : جوع وعطش إلى الله ... فالله وحده يمكنه أن يشبع قلب الإنسان .

ولكن ليس هذا ما ينتظرونه . هذه الحياة الروحية التى يتكلم عنها يسوع هى شىء جميل ، لكن الإنسان قد يفكر فيها فيما بعد . هم يرون الأرض التى يسكنون فيها ، والحياة التى بين أيديهم . كانوا يظنون أن مع يسوع ، القادر على أن يحوّل الحجارة إلى أرغفة من الخبز وأن يكسو الصحارى بحصائد من الغلة ، سوف يمكنهم أن يأكلوا وينعموا بالوجود ملء رغبتهم . أن يفرضوا إرادتهم على أعدائهم ، ويتسلحوا للانتقام ويطردوا المحتلين من بلادهم ، وهلم جرا ... لكن الحلم الجميل ينهار . **لم يتمكنوا من أن يتفقوا على شىء وهمهموا :**

« ماذا يقول ؟... إنه آت من السماء ؟... »

هو يسوع ونعرف جيدًا من أين هو : هو ابن يوسف نجار الناصرة . كل الناس يعرفون أباه وأمه ... فكيف يجرؤ على القول : « أنا نازل من السماء ، آتٍ من الله »... هذا ينافى الحقيقة .

ولكن ، بدلاً من أن يوقف كلامه ، يسوع يتابع القول ويحير سامعيه أكثر فأكثر :

سأذهب إلى نهاية تصريحى ... الخبز الذى أعطيه لحياة العالم هو جسدى . أجل جسدى ، وإن لم تأكلوه ، وإن لم تشربوا دمى ، لن تحصلوا على الحياة الحقيقية . لأن جسدى هو الطعام الحقيقى ، ودمى هو الشراب الحقيقى . فمن يأكل جسدى ويشرب دمى يحصل على حياة الله الحقيقية . وأنا أقيمه فى اليوم الأخير .

والسامعون فى مجمع كفرناحوم يعارضون بقوة :

« **كيف يمكنه أن يعطينا جسده لنأكله** »؟...« هذا مثبط للعزيمة ، هذا لا يقبل إطلاقًا ».

إنهم يتوقفون عند الصورة الغليظة التى كونوها فى ذهنهم . لو كانوا وضعوا ثقتهم فى يسوع ، ولو جزئيًا ، لوجدوا تحت هذا الكلام المحير ، إعلانًا عن خدمة رمزية واستمروا فى الاستماع إلى يسوع .

لكن لا ، إن عددًا كبيرًا منهم ذهب خائب الأمل . كانوا يظنون أن العقل يثور أمام أقوال غريبة إلى هذا الحد . إن يسوع هذا غريب حقًا ومحير . هل النبوغ عنده يناهز الجنون ؟...

ومنذ ذلك الحين بدأ كثير من مناصريه ينسحبون . لن يراهم التلاميذ يرافقون يسوع بعد فى جولاته . ويسوع وهو يقبل انسحابهم الذى كان يتوقعه قرر أن يحرجهم ، لأن ما يريده هو معرفة الذين يثقون فيه حقًا .

بقيت الفرقة الأمينة ، بقى الفوج الصغير من الأصدقاء الحميمين . **فيتوجه يسوع إلى رفاقه** :

« **هل هذه الكلمات تصدمكم ؟... أفتريدون أنتم أيضًا أن تتركونى ؟**»

فيجيب بطرس باسم الجميع ، وليس المنطق فى جوابه بل الحب الذى له الغلبة :

إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك ؟... نحن نثق فيك . بالنسبة إلينا أنت حقًا الذى أرسله الله إلى العالم .

وفيما بعد ، يفكر الرفاق فى خطاب يسوع هذا فى مجمع كفرناحوم ... ويقومون بمقارنته مع الخبز والخمر اللذين قدمهما يسوع خلال وجبة الوداع ، والتى سوف يحتفلون بها فى اجتماعات التلاميذ والمؤمنين ، سوف يحتفلون إطاعة لأمر يسوع ، وذاك « بكسر الخبز »، الذى نسميه اليوم خدمة العشاء الربانى ، والذى تسميه الكنائس التقليدية خدمة القداس ، وذلك بحسب الفكر اللاهوتى لكل منهما .

(٣٢) « وأنتم من تقولون إنى أنا !؟ »

(متى ١٦: ١٣ــ٢٠)



فى تلك الأيام استصحب يسوع رفاقه فى بلد ينابيع الأردن ، فى الجولان ، فى سفح مرتفعات حرمون ، **وأقام فى قيصرية .**

هناك ، بعيدًا عن جماهير الجليل ، استطاع يسوع أن يتكلم بحرية مع رفاقه ، وينتهز فترة الراحة والتأمل هذه ليقودهم إلى اكتشاف أصالته الحقيقية ، بحسب قدرتهم على ذلك ، ويود أن يجعلهم يعبرون عن رأيهم فى هذا الصدد .

يطرح عليهم سؤالين ، الأول :

« من يقول الناس إنى أنا ؟... من يظنّون أنى أنا هو ؟»

ما يفكرون فيه أنه ليس إنسانًا عاديًا ، إن له مواهب عجيبة ، وإنه حصل بلا شك على رسالة من الله . لكن ما هى هذه الرسالة بالضبط ؟ من الصعب أن يتحققوا من نوعها !... فضلاً عن ذلك إنه قد يكون المسيح ، غير أن هذا ليس بأكيد . أولاً : نحن على علم بأهله : إنه ابن نجار القرية ، وأن ليس له البتة ما يجعل منه القائد الحربى الذى يطرد المحتلين ، كما يأمله أغلب الناس ... لكن حالته لا تزال لغزًا ، والآراء فيه تختلف كل الاختلاف .

وعليه يجيب الرفاق :

بعضهم يقول إنك يوحنا المعمدان

وفى الواقع راجت إشاعة أن يوحنا المعمدان قد قام من بين الأموات وأن روحه تعمل فى يسوع . وهذا الظن مؤكد فى بلاط الملك هيرودس أنتيباس ،

الذى لا يتعزى عن أنه أمر يقطع رأس يوحنا ، ويشعر بأن هواجسًا مرعبة تتسلط عليه ، لأنه يعتقد بخرافات .

وبعضهم يقول إنك إيليا ...

إيليا كان القديس الشعبى ، الذى اختفى بطريقة سرية وكان الشعب لا يزال ينتظر رجوعه إلى الحياة حتى يعين المسيح رسميًا ويكرسه علنًا ...

أخيرًا بعض آخر يظنون أنك لست إلا نبيًا جديدًا ، مثل الذين اعتاد شعبنا أن يتعرف عليهم خلال تاريخه .

هذا كان جواب الرفاق على السؤال الأول الذى طرحه عليهم يسوع .

وعليه **طرح عليهم سؤالاً ثانيًا :**

« من أنا على حد قولكم أنتم ؟»...

كانت برهة صمت .

ثم جاء جواب بطرس ... بديهى . ولا يمكن أن يكون إلا نتيجة خبرة حية ، وألفة طويلة مع يسوع .

بالنسبة لنا أنت المسيح المنتظر ، أنت هو المسيح ابن الله الحى .

لاشك أن بطرس لم يكتشف بعد أنّ يسوع له نفس عظمة الله . قد يكون ذلك غير معقول فى ذهنه . لكن كان عظيمًا عندئذ أن يكتشف بطرس بطريقة بديهية أن علاقة فريدة تربط يسوع بالله ، وأن يسوع هو حقًا ابن الله الآتى إلى العالم .

ولذا **فيسوع** يهنئه :



ياسمعان ، لم تكتشف ذلك وحدك ، بل أبى الذى فى السماوات أوحاه إليك ... إذن ، إذا لقّبتك ببطرس فذلك لأنى أريد أن أبنى كنيستى على مثل هذا الإيمان القوى كالصخرة ، وقوى الشر التى تجدّ فى القضاء عليها ، ستتحطم أمامها .

يا بطرس أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، حتى تسمح للناس بالدخول فيها ، أو تبعدهم عنها ، فمن آمن بى ودخل ملكوتى تغفر له خطاياه ومن رفض رسالة الخلاص ، لن تغفر له خطاياه .

إن كلمة كنيسة تعنى « اجتماعًا ». وهى الأخوّة الجديدة التى أراد يسوع أن ينشئها . وصورة « المفاتيح » إنما ترمز إلى فتح أبواب الملكوت أمام الأمم وليس اليهود فقط ليكون الخلاص مقدمًا للجميع .

(٣٣) ابنا الرعد

(لوقا ٩: ٥١—٥٦)



قرر يسوع أن يذهب إلى أورشليم . انطلاقًا من الجليل ، أقصر طريق هو الذى يمر بإقليم السامريين . ولكن التجار والحجاج الذاهبين إلى أورشليم يخشون جدًا عبور بلد السامريين ، الأمر الذى يجعل كثيرين منهم يختارون المنحنى الطويل الذى يمر بوادى الأردن وبيرية La Pérée. فى الواقع ، كانت عداوة الجليليين واليهود إزاء السامريين وبالعكس متأصلة جدًا إلى حد أنهم ، عندما يتقابلون ، كان يُخشى دائمًا أن يحدث بينهم تشاجر عنيف قد يصل إلى حد سقوط قتلى .

غالبًا ما يقفل السامريون تخومهم انتقامًا ويعرقلون التجارة والعلاقات بين إقليمى الجليل واليهودية اللذين يفصل بينهما بلد السامريين . فضلاً عن ذلك ، إنهم يعرفون حق المعرفة أوقات الحج ، وبما أنهم لا يقبلون احتكار أورشليم للعبادة ، فهم يُسَرّون بتأخير مسيرة قبائل الحجاج .

وهذا ما حصل لفرقة رفاق يسوع الصغيرة .



أرسل يسوع **مقدمًا بعض التلاميذ ليعدوا المخيم فى قرية على حدود بلد السامريين . لكن سكان هذا المكان ، الذين استشفّوا نية هذا الفريق من الحجاج الذاهبين إلى أورشليم** للاحتفال بعيد المظال ، **رفضوا أن يستقبلوهم أو يقدموا لهم مأوى للّيلة .**

كان الأخوان يعقوب ويوحنا ساخطين على هذا الرفض ... ألا يحترمون قانون الضيافة ، هؤلاء السامريون الحمقى ؟... وأكثر من ذلك ، يالها من إهانة لشخصية يسوع !... هذا يستحق عقابًا فوريًا . وتذكّر يعقوب ويوحنا كيف أنه فى تاريخ شعبهما أسقط النبى إيليا ذات يوم الصاعقة على مدنسى المقدسات ...

يايسوع ، أتريد أن نأمر النار باسمك **فتنزل من السماء وتأكلهم ، وتبيد قريتهم ؟**... سوف يكون هذا عبرة لهم ولغيرهم .

لكن يسوع انتهرهما بقوة :

« أيها الأخوان ، يعقوب ويوحنا ، أنتما حقًا ابنا الرعد ». لا تُكسب القلوب

بالعنف ... إنها روح الانتقام التى تجعلكما تتكلمان هكذا . أنا لم آتِ لأدين وأعاقب ، لكن لأغفر وأخلص ... **هيا نمر بقرية أخرى .**

(٣٤) قصة وكيل أموال بلا قلب

(متى ١٨: ٢١ــ٣٥)



على الطريق ، يتكلم بطرس مع يسوع :

« تقول لنا إنه لابد من الصفح عن القريب . لكن الصفح له حدود ... كم مرة يخطىء إلىّ أخى وأغفر له ؟ إن لم يكفّ عن إهانتى ولا يزال يسبب لى ضررًا ؟... **أسبعَ مرات ؟...**

يابطرس ، لا أقول لك سبع مرات ... بل سبعين مرة سبع مرات . (أعنى دائمًا).

ياتلاميذى الأعزاء ، اسمعوا هذه القصة التى توضح جيدًا الطريقة التى تجرى بها الأشياء فى ملكوت السماوات .

قرر ملك أن يضبط حساباته مع كبار موظفيه . رجع إلى دفاتره وطلب أحد الموظفين الذى كان مدينًا لبيت المال الملكى بمبلغ ضخم يوازى عشرة آلاف قطعة من الذهب . (قد يكون محصل ضرائب أو وكيل أموال أو حاكم

إقليم . ويشكو من عجز فى ميزانيته)

المهم أنه بكل تأكيد لا يملك ما يسدد به دينًا مثل هذا . وكل ثروته كموظف كبير لن تكفى لذلك ... كان الملوك الشرقيون يحكمون بالعبودية أو بالاحتقار لمعاقبة مثل هؤلاء الرجال ليكونوا عبرة لغيرهم .

فأمر الملك ببيع هذا الموظف الكبير وبيع امرأته وأولاده وجميع ما يملك ليحصل على بعض من دينه .





حينذاك جثا له الموظف ساجدًا ، وعليه ، أسند جبينه إلى الأرض وتوسل إليه متضرعًا : « أمهلنى ، أرجوك ، سوف أؤدى لك كل ما علىّ ».

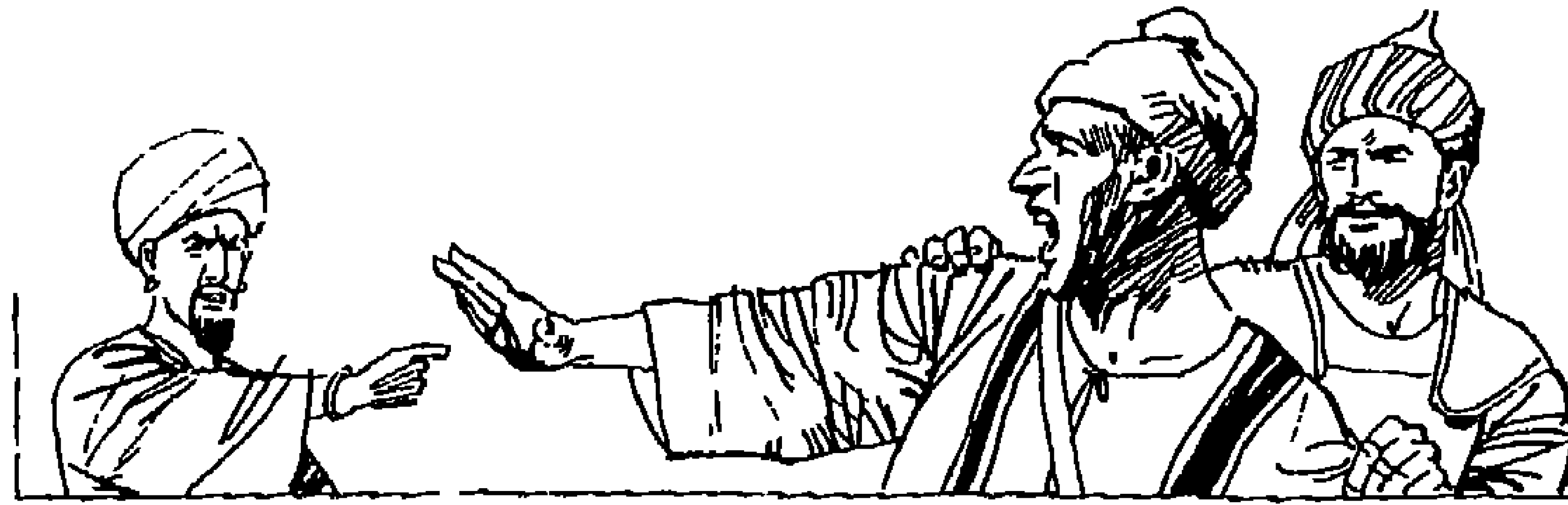
فاهتزت مشاعر الملك أمام ضيق مثل هذا ، فأطلق سراحه وصرفه مُعْفًى نهائيًا من كامل دينه ، الأمر الذى فاق كل توقعاته ، يصفح الملك عن كل شىء . وهذا لا مثيل له !... لعله لم يُخدع بكل دلائل هذا الموظف . لكن هذا الملك طيب إلى حد عظيم !... يفهم كل حالات التقصير التى وقع محصل الضرائب هذا تحت تأثيرها ، ويدرك الظرف البائس والمذلّ الذى تؤدّى إليه إدانة هذا المسكين . لذا أظهر نحوه هذا الحلم ومنحه هذا الصفح الجميل .

لكن ، حال خروجه من البلاط الملكى ، قابل هذا الموظف الكبير أحد مرؤوسيه وكان مدينًا له بمائة قطعة من الفضة ، فأمسك بخناقه وشد على عنقه وكاد يخنقه قائلاً : « أدِّ لى ما عليك فورًا »... فجثا له المسكين متضرعًا إليه : « أمهلنى فأرد لك كل دينى ». لكنه لم يسمح له ، بل بالعكس ذهب به وألقاه فى السجن إلى أن يدفع كل دينه ...

بالرغم من أن هذا المرؤوس كان يشترك فى الخدمة مع هذا الموظف الكبير ،



وأن دينه ، الذى لا يتعدى المائة قطعة من الفضة تافه بالنسبة إلى الدين الذى يرتفع إلى عشرة آلاف قطعة من الذهب .



فهو سهل السداد ، أما الدين الآخر فلا .. لكن لا شىء يؤثر فى القلب المتحجر لهذا الموظف الكبير ، فلا يرق قلبه ولا يتسامح أبدًا ، بل يلجأ لقانون ذلك الزمن الذى يفرض على المدينين الذين لا يقدرون أن يدفعوا ما عليهم فورًا أن تصادر أموالهم . وعليه يجمع الأقارب والأصدقاء بسرعة إذا أمكنهم المبلغ المطلوب سداده لينتشلوا المدين من المأزق .

وصل الخبر إلى مسامع زملاء الموظف الكبير ، فاستاءوا كثيرًا وسخطوا عليه وأخبروا الملك بما حدث . فأحضر الملك الموظف الكبير وقال له : « أيها العبد الشرير !... إنى أعفيتك من كل دينك لأنك ارتميت على قدمى متوسلا لى . أفما كان يجب عليك أنت أيضًا أن ترحم مستخدمك كما رحمتك أنا ؟...

وفى غضبه دفعه إلى الجلادين ليحصلوا على اعترافاته بدينه ويرغموه على رد الدين ، ودفع جميع ما عليه إلى آخر فلس .

(كان أمراء الشرقيين فى ذلك العصر يلجأون إلى تعذيب محصلى ضرائبهم إذا اتهموهم بالغش ، وأرادوا أن ينتزعوا اعترافاتهم ليكتشفوا أين أخفوا المال).



وختم يسوع هذه القصة قائلاً : « فهكذا يفعل أبى السماوى بكل واحد منكم إن لم يغفر لأخيه من صميم قلبه ».

الدرس واضح ... هذا الملك الذى تهتز مشاعره طيبة ورأفة وغفرانًا هو صورة الله ... إنه يعفى الإنسان من دين كبير ، لأن الكائن البشرى ليس إلا خليقة ، وعندما يتمرد على الله أو يسىء معاملة إخوانه (فهو يمس الله من خلالهم) لا يمكنه أن يعوّض عن خطئه من تلقاء نفسه ولا يمحو خطيئته . إن الله لن يعطينا هذا الإنعام الذى لا مثيل له إن لم نقدم للآخرين ، الذين هم أندادنا وإخواننا غفران الذنوب التى يكونون قد ارتكبوها ضدنا .

(٣٥) إعلان إلهى على حافة بئر

(يوحنا ٤ : ١ ـــ ٢٧)

وصل يسوع من زمن بسيط ، مع تلاميذه إلى وسط السامرة . وكانت الساعة نحو الثانية عشرة ظهرًا ، عندما كانوا على مرأى من المدينة الصغيرة التى تدعى سوخار ، والمبنية على موقع العاصمة القديمة شكيم Sichem فى سفح جبل جرزيم Garizim. **وقفوا بقرب بئر مشهور ، على مسافة بسيطة من المدينة . ويقال إن حفر هذه البئر يرجع إلى يعقوب** ، المسمى أيضًا إسرائيل ، أحد الأجداد الكبار الذى أعطى اسمه لشعبه من حوالى سبعة عشر

قرنًا مضت (فى تاريخ وقوع هذه الحادثة).

هذه البئر عميقة جدًا . يوجد ماؤها على بعد ثلاثين مترًا ونيف ، وهو ماء ينبوع ينفجر فى قاع البئر . ولا يزال الناس حتى الآن يرون هذه البئر ويشربون من مائها : فالبئر توجد حاليًا فى سرداب كنيسة قديمة جدًا مبنية فوقها .

بينما كان تلاميذ يسوع قد مضوا إلى المدينة المجاورة القائمة على بضع مئات من الأمتار ليبتاعوا قوتًا ، **كان يسوع قد تعب من السير** تحت أشعة شمس الظهيرة ، **فجلس على حافة البئر** .



وإذا امرأة من المدينة ، حاملة جرّتها على رأسها ، قد جاءت تستقى .

فقال لها يسوع : « اسقينى »

حدّقت المرأة فى الشخص الغريب : إنه يهودى ... لابد أن يكون شديد العطش ليتنازل ويطلب منها أن تسقيه مع أنها سامرية . لكن هذه خدمة لا ترفض . فربطت جرتها إلى الحبل الطويل ، وبينما هى تنزل الجرة فى البئر ، كانت سعيدة أن تشعر اليهودى ، مهما كان عريق النسب ، أنه قد يحتاج إلى سامرية :

« أنت يهودى ، فكيف تستقى منى ، وأنا بالنسبة إليك سامرية حقيرة ؟»

يعرف يسوع أن التحدث مع سامرية لدى اليهود يعتبر تعديًا . لكنه يتعدى

عمدًا هذا المنع ... إنه إن كان يتابع هذا الحديث ، فذلك ليظهر أنه قرر أن يعلن لهذه المرأة ، التى هى شبه بغىّ ، أعظم الأسرار .



(لو كنت تعرفين العطاء الذى يقدمه الله لك فى هذه اللحظة ومن هو الذى يقول لك « اسقينى »، لسألته أنت أولاً أن يسقيك ، فأعطاك ماءً حيًا).

لا تدرك السامرية إلى أين يريد هذا الغريب أن يصل ، ولكنها أرادت أن تفتخر بما تعرفه ، فقالت :

كيف يمكنك أن تعطينى من ماء الينبوع ؟... ليس لديك ما تستقى به ... والبئر عميقة ! إلا إذا كنت تجعل الماء ينفجر من الأرض بشبه معجزة . **لكنك لست أعظم من أبينا يعقوب ، على ما أظن . كيف يمكنك أن تقدم لى ماء أفضل من الماء الذى وجده وشرب منه هو وبنوه وماشيته ؟**

أترين أيتها المرأة ، عبثًا يشرب المرء من ماء هذه البئر ، فلا يزال عطشانًا . لكن الماء الذى أكلمك عنه ، والذى أعطيه أنا ، فمن يشرب منه لن يظمأ أبدًا ، لأن هذا الماء يصير فيه عين ماء لن ينضب أبدًا ، لا فى هذه الحياة ولا فى الحياة الأخرى .

يريد يسوع أن يتكلم عن هذه الحياة الإلهية التى يأتى بها . ويمكننا أن نتساءل لماذا لا يقول ذلك بوضوح . إنه يتلاعب بالألفاظ : ينبوع حياة ، ماء محيى يتفجر من القلب ... حقًا إن سكان فلسطين ، فى بلدهم القاحل ، الذى تجعله الشمس يابسًا ، كانوا يعلمون أن الماء وحده يأتى بالحياة ، وأكثر كفاءة من غيرهم أن يفهموا تلك الرموز . أجل ليس من السهل أن ينفذوا تمامًا إلى سر الحياة الإلهية . لذلك لا يُعرض هذا السر إلينا ، نحن الكائنات

البشرية ، المكوّنة من جسد ونفس ، إلا بواسطة الرموز .

تشعر السامرية أن كلام هذا الغريب الذى قابلته على حافة البئر يخفى شيئًا سريًا ، ولكنها تتصرف كمن لا تريد أن تفهم . ولعلها تفكر فى أن هذا اليهودى مختل العقل بعض الشيء : فقد عرَّض رأسه للشمس ... فبابتسامة هازئة تجيب عليه :

«إذن ، أسرع وأعطنى من هذا الماء العجيب . حتى لا أعطش بعد ذلك ، فلا أكلف نفسى بالمجيء هنا كل يوم لأستقى ».

بالرغم من هذا الدفع بعدم سماع الدعوى ، يصر يسوع على سماع رغبته فى أن يعلن أسرارًا مهمة لهذه المرأة التى قابلها مصادفة فى الطريق . لم يطالبها إلا بشرط واحد : أن تكون صادقة ، مخلصة ، بدون رياء ، وتعترف بحقارتها . ولذا فهو **يقول لها** فجأة :

إذهبى فادعى زوجك ، وارجعى إلى ههنا .

ليس لى زوج .

هذا صحيح . ليس لك زوج . أى أنك اتخذت خمسة أزواج ، والذى يعاشرك اليوم ليس بزوجك . إنك أصبت .

فى الحال ، بقيت السامرية فاغرة الفم . هكذا هذا الرجل كشف سر حياتها ، الذى لا يصح أن تبوح به ... وقد كشف عن قلبها . هذا الرجل المجهول قرأ ما فى نفسها ... فى الغالب قد طردها أزواجها الواحد بعد الآخر ، وكان هذا من حقهم فى ذاك العصر . لعلها كانت شابة جميلة ، أنيقة ومحبّة للبهرجة ، تداهن محيطيها . لكن فى حياتها الزوجية كانت تظهر لأزواجها مستهترة وغير رصينة بالكفاية . ولما لم تجد من يتزوجها ، سلمت نفسها لرجل جعل منها عشيقته ...

لم تحاول أن تنكر ، أو تدافع عن نفسها أو تبرر موقفها ، أو تتخذ مظهر امرأة متضايقة لأن يسوع كشف عن أفكارها ... كلا ، إنها تعترف فى صمت ... وتتحقق من أنها أمام رجل الله :

قالت المرأة : أرى أنك نبى .

وأعظم ما يدهشها هو أن هذا الرجل العجيب لا يلومها على شيء ولا يدينها .. فيمكنها أن تكلمه بكل حرية .

بدأ حينذاك الحديث عن موضوع « العبادة التى تؤدى لله ». بما أن السامرية تواجه نبيًا يهوديًا يستطيع أن ينفذ إلى أفكار الغير بقدرة عظيمة ، فلابد من أن تنتهز الفرصة لرؤية واضحة فى كل هذه التعارضات بين اليهود والسامريين :

ما هو الدين الحسن ؟ نحن ، السامريين ، أسوة بآبائنا ، نذهب إلى هذا الجبل (وأشارت إلى جبل جرزيم Garizim— الذى ترى عليه أطلال معبد



كبير) **لنعبد الله . أما أنتم ، اليهود ، فتقولون إنه يجب الذهاب إلى معبد أورشليم فقط . فمن مِنّا على الصواب ؟...**

صدقينى أيتها المرأة ... ستأتى ساعة لا يكون المقصود فيها أن نتساءل عما إذا كان الواجب التواجد هنا أو فى أورشليم لعبادة الله . فمكان التعبد قد أصبح منذ الآن ثانويًا . المهم هو طريقة الصلاة . هل نحن خاضعون لروح الله أم لا ؟ لأن الله روح . فالذين ينقادون بروح الله ويتبعون الهاماته فى صدق حياتهم ، هؤلاء هم المؤمنون الحقيقيون ، كما يريدهم الآب السماوى . لكن لا يجوز أن نفكر فى أن كل المناهج الدينية تتساوى . **أنتم السامريين ، تعرفون شيئًا بسيطًا عن الله بموجب منهج عبادتكم . أما نحن اليهود فنعرفه جيدًا ، ولهذا السبب يمكننا القول إن الخلاص آت من اليهود**

(قد أتى يسوع ذاته بالوحى الأعلى عن الله).

قالت المرأة : **ألفت نظرك إلى هذا : إنى أعلم جيدًا أن « المسيا » آت ، الذى يسمونه أيضًا «المسيح ». ومعه على الأقل ، سوف نعرف ما نكتفى به ، ويصبح كل شىء جليًا .**

أنا هو المسيح ، أنا الذى يكلمك .

قد وصلت الرسالة العظيمة : وانجلى الوحى الكامل ... وذلك لصالح امرأة ذات حياة غير موثوق بها ، قابلها يسوع على حافة بئر . ومن هنا ندرك المحبة العظيمة التى يقدمها يسوع ، ابن الله ، هذا الذى لا يُقصِى أحدًا ، بل يذهب بالأحرى إلى الأكثر بعدًا واحتقارًا وقنوطًا من بين الناس .

لم تحتفظ **السامرية** بهذا الاعلان لنفسها . بل **تركت جرّتها وأسرعت إلى المدينة تعلن الخبر المذهل** . لكل من تقابلهم وتعلن مغامرتها العجيبة

« هلموا فانظروا رجلاً سرد لى كل حياتى !... أظنه هو المسيح !»



الفصل الثالث

فى أورشليم اليهودية

(١) تجارب شيطانية يواجهها المسيح المحرِّر

(متى ١٦: ٢١ــ٢٣ و٤: ١ــ١١ ولوقا ٩: ٢١ــ٢٣)

عبر يسوع ورفاقه السامرة . وها هم فى اليهودية ، سائرين نحو أورشليم .

يسوع رجل غاية فى الحرية ويرفض أن يُملى عليه برنامجه . والباقى له من حياة على هذه الأرض قصير ، وهو يعرف ذلك . فالمهم فى نظره أن يتفرغ قدر استطاعته لتكوين رفاقه الأمناء .

هم فى حاجة إلى ذلك ، فى الواقع ، حتى إذا كانوا يستشعرون فى يسوع شيئًا إلهيًا فائق الطبيعة ، فتفكيرهم فى المسيح لا يطابق تفكيره . مثل أغلب مواطنيهم ، هم ينتظرون مجىء مسيح سيكون قائدًا باهرًا ، يحرر البلد من جيوش الاحتلال الرومانية ويعيد أمتهم الإسرائيلية إلى مجدها القديم ، مجد زمن الملوك العظام داود وسليمان .

يرى يسوع أنه من الضرورى أن ينقذ تلاميذه من هذا الفكر الخاطىء . فهو يخطرهم أنه بدلاً من الركوض نحو نجاح رائع ، فهو يسير نحو الموت .

أجل ، نحن صاعدون إلى أورشليم ، وكل ما تنبأ به الأنبياء عنى سيتحقق . سوف أقدّم إلى محكمة الأحبار والكتبة والشيوخ ، ويُحكم علىّ بالموت . حينذاك سوف يسلموننى إلى الرومان الذين سيهزأون بى ، ويصقون علىّ ، يجلدوننى ويقتلوننى ، ولكن بعد ثلاثة أيام سوف أقوم من الموت ، حيًا .

غير أن الرفاق يحلمون بعروض مجيدة ومسيرات انتصارية ، وينسون أن النبى إشعياء تكلم عن مسيح متألم ، ويوحنا تكلم عن حمل الله الذى يحمل خطايا العالم ... **فيجيب الرفاق بفم بطرس :**

لا !... هذا محال !.. لن يحصل أمر مثل هذا ... ولن يسمح الله به .
بالعكس نحن سائرون نحو النصر ... أرجو منك ، يايسوع ، دعك من الخور واليأس .

فغضب يسوع وصرخ فى بطرس :

ابتعد عنى يا شيطان !... إرجع يا مجرب !... إن إبليس هو الذى يلقنك

هذه الكلمات ... **إن الطريق الذى تريد أن تجذبنى إليه ليس هو طريق الله بل طريق البشر .**

عندما تريدون أن تكرهونى على أن أكون مسيحًا يفرض نفسه بالشهرة والقوة **تذكروننى بهجوم الشيطان المجرب أثناء الفترة التى أمضيتها فى البرية للتأمل والصوم .**

كان يهمس فى أذنى : « أنت جوعان . لكن بما أنك المسيح ، يكفى أن تقول كلمة واحدة فيتحول حصى الصحراء إلى كرات من الخبز ».



قاومت هذه التجربة التى كانت تشير إلى أن أكون مسيحًا خاليًا من كل عذاب ، حتى من عذاب الجوع ، وأن أؤمِّن الرفاهية لأنصارى موفرًا لهم كل الأطعمة الأرضية بكثرة .

أجبت المجرب بكلمة كتبنا المقدسة : ليس بالخبز المادى وحده يحيا الإنسان بل أيضًا بكلمة الله .

فى زمن آخر ، رأيت نفسى قائمًا على قمة الهيكل ، مُطلاً من العلاء على جمهور الحجاج ...

فهمس الشيطان فى أذنى : « ألق بنفسك إلى أسفل ، كأنك آت من السماء وبدون أن يحصل لك أى ضرر . **وبما أنك المسيح ، لن تتعرض لأى خطر . سيرسل الله ملائكته**

الذين يساندونك بأجنحتهم أثناء سقوطك ... وعندئذ كم يكون انتصارك مجيدًا فى نظر الجماهير !»

قاومت هذه التجربة التى تحث على القيام بمعجزة تستهدف لفت الأنظار ، وتجعل الناس يحملوننى على الأكتاف . **فلا يُجرَّب الله هكذا** كأن الإنسان يرغمه على القيام بأعجوبة .

أخيرًا رأيت نفسى على جبل عال :

وهمس الشيطان فى أذنى : « أنظر إلى هذه الممالك وثروتها وسلطانها . أعطيك هذا كله إن خررت لى ساجدًا ».



فأجبته : إليك عنى يا شيطان . وقاومت هذه التجربة التى كانت تعرض علىّ سلطانًا على العالم أحصل عليه إذا قمت بعبادة الآلهة المزيفة ، آلهة السلطة والثروة ، آلهة العنف والظلم ، آلهة الخداع والكذب . **عليك أن تعبد الله الحق**

وإياه وحده .

« أنظروا يا أصدقائى ، لا تتمثلوا بالشياطين المجرّبين »!

لم يكن فى مقدور أحد أن يعرف تجارب يسوع هذه لو لم يتكلم عنها بنفسه . وأتى كلامه فى لغة تصويرية ، راويًا نوعًا من صراع دار بينه وبين الشيطان ، إبليس .

بالنسبة إلى الشيطان ، لا يصح لنا أن نظن أنه شخصية محض خيالية : يعتبره يسوع بجدية حتى ويدعوه « سيد هذا العالم ». هو الخصم المخيف . تحت اسم إبليس أو الشيطان ، لابد من رؤية سلطات أرواح معادية لله وللخير ، تبث سمومها فى بنيان المجتمع ، وبالمثل فى قلب كل كائن بشرى . وجاء يسوع يحرّرنا من قبضة الشيطان ، شريطة أن يوافق كل واحد منّا على ذلك ... إذ أن تضليل الشر قوى ، وكذلك كوننا محمولين بقوّة على الاهتمام به .

وبينما كانوا يسمعون مناجاة يسوع عن التجارب التى قاساها ، **وقع رفاق يسوع فى اضطراب تام** . عرفوا فى الساعة أن يسوع لن يستسلم لتجربة الشهرة والعنف والإنقلاب ، لكنه سيقبل بالأحرى القبض عليه والحكم والتعذيب والقتل . وتلاميذه مثله سيعانون مثله ، ومدعوون إلى مشاركته فى مصيره !... أمّا هم فلم يتوقعوا ذلك ! إلا أن **يسوع لم يخدعهم** :

« لا يجوز لمن أراد أن يصبح تلميذى أن يبحث عن صالحه ومنفعته . بل يجب عليه بالعكس أن يضحى ويتألم ويسير ورائى حاملاً صليبه ».

(٢) يسوع يتجلى فوق الجبل

(متى ١٧: ١ــ٩، لوقا ٩: ٢٨ــ٣٦، مرقس ٩: ١ــ١٠)

يشعر يسوع جيدًا أن هذا الكلام لا يعقله رفاقه بسهولة . فالجو المعنوى يثقل فى جماعته الصغيرة ــ قد يحسن إذن أن يرفع من روحها المعنوية ويعيد إليها النشاط والحيوية . أن يظهر لها أن الله ذاته يصدِّق على قول يسوع بإمضائه ، ويؤكد أن رسالة يسوع هى حقًا التى وصفها وعرضها على رفاقه .

وعليه **اختار يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا** الذين يكوّنون الشخصيات الثلاث البارزة فى فريق تلاميذه . **وفى المساء ، بينما كانت القافلة قد حطت فى سفح التل لتخيّم ، دعا الثلاثة إلى مرافقته حتى القمة .**



وإذ خلال الليل استيقظ المحظوظون ووجدوا أنفسهم محاطين بسحاب نيّر . تجلى يسوع بمرأى منهم . وتبدّل منظر وجهه وأضاء كالشمس . فتلألأت ثيابه ناصعة البياض ساطعة كالنور ... هكذا تحقق حلم البشرية القديم الذى عبرت عنه كل خيالات الشعراء ... وكان الرفاق الثلاثة شهودًا لإعلان باهر عن شخصية يسوع والعالم الآتى . **وتراءت هنا بالقرب من يسوع شخصيتان بارزتان من شخصيات الماضى : موسى وإيليا** . كان الاثنان قد حظيا على جبل سيناء بلقاء مع الله ، خلال التجلى ... **وإن كانا هنا ، فليتحدثا مع يسوع عن الميتة التى سيلقاها فى أورشليم** ، حتى يقنعا أخيرًا الرفاق الثلاثة .

•

كنا نود أن نعرف تفاصيل أكثر عن هذه الرؤية . لكن ، كيف يكون تعبيرنا للكلام على التجلى ؟... الكلام عاجز والمقارنات باهتة إلى حد اليأس .

وهى تماثل موقفنا عندما نريد أن نعبر لمن ولدوا عميانًا عن جمال العالم الذى نعيش فيه .

فى **التجلى** ، فهم الرفاق أن يسوع هو حقًا المرسل من الله ، وأكثر من ذلك ، أوحى إليهم كما أوحى إلى يوحنا المعمدان عندما كان يعمّد يسوع فى الأردن ، أن الله حاضر فى يسوع ، ومثل المعمدان **سمعوا هذا الإعلان الإلهى** .

« هذا هو ابنى الحبيب ، وهو منبع كل فرحى ... فله اسمعوا !»

انتهى التجلى وتلاشت الرؤية . وانكفأ الرفاق الثلاثة بوجوههم إلى الأرض ... وأجالوا الطرف فى ما حولهم ، فلم يروا إلا يسوع وحده ... فى هيئته المعتادة .

إن « التجلى »، مثلما عاشه التلاميذ الثلاثة المحظوظون ، هو نمط الاختبارات السرية بالذات ، ونمط أوقات الاستنارات التى يحبو بها الله بعض الذين يبحثون عنه ... لابد للتلميذ من أن يؤمن لنفسه أزمنة مليئة بالتأمل والصلاة والمشاهدة التى تنير تفاهة الحياة اليومية ، وتقوّى وتعطى معنًى للصعوبات والتعهّدات وجهاد الحياة .

(٣) شعب إسرائيل يستقبل ملك السلام

(لوقا ١٩: ٢٩ــ٤٥، مرقس ١١: ١ــ١١، متى ٢١: ١ــ١١ و١٤ــ١٦)

فى هذا الأسبوع الذى هو أسبوع عيد المظال ، الذى يسمّى بالعبرية « سوكوت » أى « أكواخًا من الأغصان »، **يصل حجاج الأقاليم إلى أورشليم** فى قوافل طويلة . هو العيد الأكثر شعبية فى السنة : نوع من سوق خيرية لفرح الصغار والكبار . يقام فى سبتمبر ، فى زمن جنى الفواكه والعنب . ترتب مسبقًا فى الهيكل احتفالات كبيرة تسمع فيها صيحات «هوشعنا »! وهى دعوات رنانة موجهة إلى المسيح المنتظر .

أتت قافلة حجاج مهمة من إقليم الجليل ، ومرت بضياع بيت فاجى(*)

(*) بيت فاجى : سميت بيت التين لأنها كانت مكورة فى ثنية أرض ومخفية فى أشجار التين .

وبيت عنيا ، قبل أن تنفذ إلى جبل الزيتون شرقًا وتطل على أورشليم .

وإذ هى تقابل يسوع ورفاقه الآتين أيضًا للعيد . لأن يسوع يحب الأعياد التى تجمع الجماهير ، وتزيل الحواجز بين الناس وتجعلهم يَتَّحِدُون فى جو العيد .

فاعترى الجماهير حماس شديد : إن حجاج الجليل فخورون إلى حد كبير بنبيّهم يسوع ، الذى من إقليمهم ، وقد حقق معجزات عديدة وأظهر بوضوح تام أنه المرسل من الله ... حتى أنهم مستعدّون ألا يتركوا للانفلات أية فرصة ليتظاهروا لصالحه . بينما يشيعونه براسم النصر ، يفكر الأكثر تحمسًا بينهم فى دخول أورشليم بصورة تلفت انتباه الشعب . وبهتافهم له يريدون أن يظهروا أنهم يعترفون بأنه المسيح المنتظر .

ولا يتهرب يسوع من هذا التظاهر الشعبى : بل يقبل الإعلان بالهتاف أنه الآتى باسم الرب . إلا أنه يتصرف بطريقة ، تعلن للناس أنه هو فعلاً المسيح ! لكن ليس كما يتصوره الشعب ، الذى لا يزال يحلم بغازٍ سوف يطرد جيوش الاحتلال الرومانى ، ويجعل من الأمة اليهودية الأمة الأُولى فى العالم . ولهذا السبب لن يدخل أورشليم ممتطيًا حصانًا مهيبًا كالقواد المتغطرسين ، الواثقين بالانتصار ، لكنه يختار مطيّة الشعب البسيطة ، الجحش ، وهو المطية التى كان يمتطيها جدّه داود ، الملك فى بساطته ووداعته .

أرسل يسوع اثنين من تلاميذه إلى قرية بيت فاجى الصغيرة ، « بلد التين » وقال لهما :

« اذهبا إلى هذه الضيعة . عندما تدخلانها تجدان جحشًا مربوطًا لم يركبه أحد قطّ ، فحلاّ رباطه فأْتيا به إلىّ ».

ها هو الموكب يتحرك : نزل من منحدر جبل الزيتون متجهًا إلى أورشليم .

والجمع الذى كان يخيّم هناك ، على منحدر جبل الزيتون ، **أخذ معه سعف نخل وأغصانًا من شجر الزيتون** . وهكذا كان الموكب يتقدم فى غابة متموجة من الخضرة . **وعند دخول المدينة** ، كان الناس يزحمون بعضهم بعضًا .



يتدافعون لينثروا الأزهار والأغصان على الأرض ، ويلقون بمعاطفهم ذوات الألوان الزاهية ليكوّنوا بساط شرف ويصيحون ويشيرون ، ويطلقون الهتافات المعتادة فى مراسِم عيد المظال هذا : **هوشعنا !... هوشعنا !...** (ومعنى الكلمة : « يارب خلّص ») **هوشعنا لابن داود !...** (ويريدون بذلك أن يقولوا : « ليحى المسيح ، ابن داود »)... **ليحى المرسل من الله !... مجدًا وإكرامًا لله فى أعالى السموات !**

وتصادف مرور بعض الفريسيين ، فشاهدوا الموكب ... فصُدموا بهذه الهتافات التى أعتبروها غير مناسبة ، **وصاحوا قائلين ليسوع :**

يا معلم ، يحسن بك أن تنتهر تلاميذك !...

فى الواقع كان هؤلاء يحسدون يسوع على نجاحه ويريدون أن يهددوا الجموع ويجعلوها تظن أن شرطة الرومان ، التى تقوم بدوريّة فى الشوارع ، قد تتدخل لتعيد النظام إلى نصابه . ولكن **يسوع** يرفض أن يصد هذا الاستقبال الشعبى الحاشد . **فأجابهم:**

« لو سكت هؤلاء ، لهتفت الحجارة !»

وهو بذلك يريد أن يقول : يوجد جو انتظار حضور المرسل من الله ،

وفرح لاستقباله وتحيته ، إلى حد أن الخليقة بأجمعها مشبعة بهذا الجو وملتهبة بهذا الفرح .



كل المدينة فى هياج .

يتساءل الناس : ما الذى يحدث ؟ من كل جهة تنتشر مثل نثار البارود **هذه الكلمات : « هذا النبى يسوع من ناصرة الجليل »**

والجمع ، يتزايد بعدد المتسوّلين وذوى العاهات الذين يكثرون فى أيام العيد هذه ، **يرافق يسوع وهو صاعد إلى الهيكل . عند مروره ، دنا إليه عميان وكسحاء فى الهيكل ، فشفاهم** . وتضاعفت الحماسة . ولكن ، حينذاك انفجر الموقف : **دخول الهيكل محظور على ذوى العاهات** ، بحجة أنهم ليسوا فى حالة طهارة شرعية : لأن المرض يعتبر نتيجة الخطيئة . **والواقع أن ذوى العاهات يدخلون الهيكل فى إثر مخلصهم يحملهم الجمع** . ولا يقدر حرّاس الهيكل أن يردّوهم . وهم لا يبالون بهذا الحظر ...



وأسوأ من ذلك ... بينما الكبار لهم شيء من الاحترام للمكان المقدس ويكفّون عن الهتاف ، يقوم الصغار بصراخ حاد : « **ليحىَ يسوع** !... ليحىَ يسوع !... ليحىَ يسوع !... **يريد المسؤولون عن الهيكل أن يسكتوهم** لكن صبيان أورشليم يحاولون بصورة تهكمية أن يغيظوا هؤلاء الشيوخ الحاقدين . فيعلو صراخهم أكثر فأكثر . فيقول الشيوخ فى سخط : ها هو يسوع الآن يستقر فى الهيكل قلعتنا ويتصرف كسيد ، ويسمح بأن يهتف الناس له فى الساحة المقدسة . ياله من تجديف !... فيقولون ليسوع : « **أتسمع هؤلاء الصبيان يصرخون فى الهيكل ؟... أسكتهم ، احترامًا للمكان المقدس !** »

فقال لهم يسوع : نعم أسمعهم بلا شك . لكن قولوا لى : أما قرأتم قط فى الكتب المقدسة هذه العبارة : « من ألسنة الصغار تخرج أجمل الهتافات ؟ »

وكان أعداء يسوع فى غيظ شديد ... لأنه من المحال أن يقبضوا أو يتسلطوا عليه ... وهو يتمتع بهذه الحظوة لدى الشعب !... وكان الجميع تحت تأثير سحر شخصيته .

أما يسوع ، فكان يسرّح النظر باحثًا **فى أنحاء الهيكل ويتفقد كل المتاجر القائمة فى بيت الله . لكن ، لما كان الوقت قد مضى ، استأذن الجمع فى الذهاب ، ثم خرج بسرعة من المدينة والتحق ببيت أصدقاء له فى بيت عنيا وبات مع رفاقه هناك .**

(٤) طرد الباعة من الهيكل

(مرقس ١١: ١٥ــ١٨، يوحنا ٢: ١٣ــ١٧)



فى الغد رجع يسوع إلى الهيكل

سوف ينفلت عن قريب مشهد فجائىٌ فى الساحة العظيمة التى تمتد على أكثر من مائتى متر مربع وتحيط بقدس الأقداس. إن لم تكن هذه الساحة قدس الأقداس بالذات، إلا أنها حينذاك الهيكل، أى مكان صلاة. يدخلونها من تسعة أبواب محصّنة ومن ممرات نفقية. كانت مفتوحة للجميع، لكن، فى الداخل، كان يوجد فناء للنساء، وآخر مخصص للرجال، وأخيرًا فناء ثالث، قريبًا جدًا من قدس الأقداس، لا يدخله إلا الكهنة، وفيه تقدم الذبائح حول المذبح الكبير.

دخل يسوع إلى الساحة الواسعة التى تحيط بها ممرات ذات أعمدة بصحبة رفاقه والحجاج الذين هتفوا له عبر شوارع المدينة. أتى ليرفع صلاته إلى أبيه السماوى فى هذا المكان الوحيد المخصص للعبادة لجميع اليهود الساكنين فى فلسطين أو المشتتين فى العالم الرومانى، لأن يسوع يحترم التقاليد كل الاحترام.

ولكن أى مشهد يتراءى لعينيه ؟... قد تحول كل الفناء إلى ساحة سوق : يتزاحم فيه عالم بأجمعه ، وتتعالى صيحات البائعين والمشترين . تدخل إليه بغتة قطعان من الخراف . فتضرب الناس الحيوانات التى تتمدد على البلاط تعبة ظمأى . يمتدح التجار سلعهم ، جاثمين على أكداس من أقفاص الحمام : هم باعة حمام ويمام ، يجتذبون الزبائن الشعبيين : الذين لا يقدرون على تقديم بهيمة أو خروفًا ، فكانوا يكتفون بذبح فرخى حمام — تحت صفوف الأعمدة . جلس على الأرض أصحاب المصارف أمام طاولات صغيرة تتكدس عليها أكوام عملات من ذهب وفضة ونحاس . وأصحاب هذه العملات يتبادلون النقود بفائدة ليسهلوا التجارة ويسمحوا ليهود روما واليونان ومصر أن يقتنوا النقود المفروضة لدفع الفريضة المالية الدينية للهيكل . وينتهزون فرصة أن العملات الأجنبية لا تقبل لخزانة الهيكل لأن الصور والكتابات التى عليها وثنية — يسود هنا ضجيج مزعج . والريفيون ، غارقون فى الأوحال ، ينصبّون فى فيض من الكلام قبل ما يحلّون صرة نقودهم . أما الأجانب ، فعندما يلاحظون أن الناس يستغلونهم ، يهددون التجار الطماعين بتدخل شرطة الهيكل .

أين يجد المؤمن ركنًا هادئًا فى غوغاء مثل هذه ليختلى بنفسه ويصلى بهدوء ؟ وكيف يقدم للرب بقلب مسرور ذبائح مساوم فيها بهذا الحماس ؟... ولكن كل واحد متعجل ليرى دوره قد أتى ليقدم للكاهن الذبيحة التى اختارها .

أما فناء المعبد — فكان إلى حد بعيد يشابه المجزر ، يسيل فيه الدم بغزارة . والمذبح الضخم يحرق فى يوم واحد مئات من الذبائح . تعلو رائحة اللحم المشوى من هذا الأتون وتختلط برائحة الدم الساخن وبرائحة روث القطعان فى الساحة الكبيرة — بين كل الأحبار والكهنة الكثيرين العاملين فى الهيكل ، يوجد حقًا أشخاص متفانون فى خدمة الله . هؤلاء يقومون بواجبهم بروح دينية عميقة . لكن يوجد أيضًا للأسف ، خاصة فى طبقة الأشراف الدينيين العليا ، المهتمون بتكديس الأرباح أكثر من التحلى بعواطف العبادة والندم التى ترمز إليها هذه التقدمات .

على مرأى من هذا السوق وهذه الضوضاء بدأ قلب يسوع يخفق بسخط مقدس : ماذا ؟ كل هذا الفساد فى الهيكل !... فى بيت أبيه !... فقرر أن يقوم بتدخل صاخب ، على طريقة الأنبياء القدامى ، ليضع حدًا لاستغلال هذا

النفاق الشعبى .

تعثرت رجلاه فى حبل بقر ، فالتقطه وجعل منه سوطًا وشرع فى طرد الباعة صائحًا :

« إليكم عن هذا المكان !... أخرجوا من هنا !... ألا تهمكم كلمة الكتب المقدسة ؟... »:

فالله يقول « بيتى بيت صلاة . وأنتم جعلتم منه وكر لصوص ».



وعليه كان الرعب ! **شق يسوع لنفسه طريقًا** ، ملوّحًا بسوطه ، **قالبًا طاولات أصحاب المصارف** ، التى سقطت منها عندئذ قطع النقود ورنت رنينًا حادًا على البلاط قبلما تتبعثر فى كل الجهات **ـــ وكان باعة الحمام مع أقفاصهم الأكثر إزعاجًا :**

« إذهبوا بكل هذه « الكراكيب »! بيت أبى ليس ساحة سوق !»

كان المشهد لا يوصف : زحام عند أبواب الخروج ... صراخ ، خوار ، ثغاء ... حمام يطير ... **عتّالون يحاولون أن يعبروا الساحة بسلعهم ، ويمنعهم يسوع ...**

لا يسع جمهور الحجاج إلا أن يؤيدوا هذا النبى الذى يندد علنًا بالفساد الذى يسود المكان المقدس :

« الحمد لله !... هذا النبى على صواب ! أليست مخجلة كل هذه المتاجرة المالية فى الهيكل ؟».

ولكن ليس الجميع ينظرون إلى ذلك نظرة استحسان . لاشك أنه يوجد البعض من الذين اعتادوا المتاجرة فى الهيكل . لكن الأحبار المسئولين يشجعون ذلك لأنهم يستخلصون فائدة عظيمة من هذا الاحتكار ، ببيعهم الأمكنة للتجار بالمزاد . ثم حدث أن الناس نبهوا هؤلاء الأحبار ، وها هم يسرعون إلى ساحة الهيكل .

(٥) هل ينقض الهيكل ويقام فى ثلاثة أيام !!

(يوحنا ٢: ١٨—٢٢)



عندما أمكن الأحبار المسئولون عن الهيكل اكتشاف يسوع فى الازدحام ، صاحوا به ثائرين :

« ياهذا ! ماذا تعتقد فى نفسك أنك هو ؟... أنت الذى تأتى لتحدث الاضطراب هنا وتقلب الأوضاع القائمة ؟... من أعطاك السلطة لتعمل ذلك ؟... وممن ، من فضلك أجبنا ؟»

يجيب يسوع بعرض لغز عليهم :

« أتريدون برهانًا ؟... إذن ، أنقضوا هذا الهيكل وأنا أتكفل بإعادة بنائه فى ثلاثة أيام !»

« أنت تمزح !... هذا الهيكل استغرق بناؤه ستًا وأربعين سنة ، وأنت تقدر على إقامته فى ثلاثة أيام ؟...

يواجهون يسوع بلهجة ساخرة ، مثلما يهزأ أحد بردود شخص عديم الذكاء . لكنهم فى قرارة أنفسهم أدركوا جيدًا أن يسوع يطرح عليهم — بكلام

غامض لغزًا لا يمكنهم حل رموزه ـــ مسألة خطيرة تعيد كل شيء إلى بساط البحث ... يرون الآن أنهم لم يصلوا إلى نتيجة مع يسوع ، ولذا لا يلّحون فى السؤال ، لأن الجمهور حولهم يمنح كل تعاطفه ليسوع . لكنهم يضمرون حقدًا مميتًا لهذا المصلح المفاجىء .



أما هو ، فتخلى عن الأحبار المذهولين من جرأته وترك الهيكل .

لكن مثل الأحبار ، ها هم رفاق يسوع لم يفهموا جوابه . لأن هذا اللغز كان طريقة غامضة لإعلان قيامته . فى الواقع ، **الهيكل الذى كان يقصده يسوع ، والذى تكلم عنه ، هو جسده** ، هيكل الله « الحقيقى »، وحضوره فى وسط البشر هو قدس الأقداس . وكانت سلطات البلد سوف تنقض هذا الجسد بقتل يسوع . غير أنه ، فى ثالث يوم بعد ذلك ، سوف يظهر يسوع حيًا . **ولن يفهم الرفاق حقًا معنى هذا اللغز إلا بعد القيامة . وحينذاك يمكنهم أن يهتفوا قائلين : « هذا ما كان يريد قوله !»**

(٦) هل يجب أن ندفع الجزية لمن يحتل بلادنا ؟

(لوقا ٢٠: ٢٠ــ٢٦، مرقس ١٢: ١٣ــ١٧)



فى الأيام التى تبعت الانقلاب المهيب الذى حققه يسوع بطرد باعة الهيكل ، استشاط **الأحبار** غضبًا لرؤية امتيازاتهم وأهم مصدر دخلهم قد أعيد الجدل حولها . **فأخذوا يبحثون فى وسيلة يعجزونه بها عن الجواب علنًا** ليجعلوه غير مُقنع **أو ليتخلصوا منه** . لكن ، حتى الآن ، فضح يسوع مكايدهم ببساطة وسهولة مذهلتين ، الأمر الذى أثار كل مرة السرور فى الشعب .

الحيلة العظمى هى أن يستدرجوا يسوع ليتفوه بكلمة مثيرة للشبهة أمام شهود ، وهكذا يبرهنون للشعب أن هذا المضلل يغشهم ، أو أن هذه الكلمة **تسمح أن يسلم يسوع للرومان كثورى** . وهذه الحيلة هى الوسيلة الوحيدة للنجاح بدون أن تكشف مؤامرة الأحبار لأعين الشعب . لكن ، كيف يجذبون يسوع إلى الميدان السياسى ؟... تناقشوا طويلاً فيما بينهم فى هذه المسألة . **وأخيرًا لم يحصل الاتفاق بينهم فحسب ، بل وجدوا أيضًا حلفاء لهم بين أصدقاء الملك هيرودس** الذى يحكم إقليم الجليل تحت إشراف الرومان . ومعروف أن هؤلاء متعاونون مع جيوش الاحتلال .

فذهبوا كلهم لملاقاة يسوع ، وبدأوا حديثهم بمداهنة سخيفة ، آملين من ورائها ، أن يحوزوا على جواب منه بطريقة أكيدة .

« يامعلم ، عهدناك صريحًا ، صادقًا، لا تبالى أحدًا ، لأنك لا تحابى الوجوه ، ـــ (وهذا اعتراف منهم بأن يسوع هو قبل كل شيء « رجل حر ») ـــ. **ليس لك إلا همّ واحد ، وهذا يشرفك ، أنك تهدى الناس إلى سبيل الله هداية صدق .**

« أعطنا رأيك عن هذا السؤال : ما هو واجبنا ؟ بالنسبة إلى الجزية ؟... أيجب دفعها أم رفضها ؟»

إنه موضوع هام ، لأن الجزية تدفع للرومان الذين يحتلون البلد . فلو أجاب « نعم » لخان القضية القومية ، وبالنسبة إلى يسوع ، الذى يهتفون له الهتاف اللائق بالمسيح ، لهدم كل شعبيته ، لأن الشعب لن يقبل محررًا يقول بدفع الجزية للمحتل ... ومن جهة أخرى ، لو أجاب « لا » لأعلن الحرب ضد روما . وعليه ، ياله من موضوع اتهام أكيد وخطير لدى بيلاطس ، الحاكم الرومانى ... على كل حال ، إن يسوع مجبر على أن يتخذ موقفًا ، وبالتالى أن يخاطر بسمعته . لا مهرب ممكن . كانت هذه الحيلة أو هذا التحدى هو المصيدة التى دبروها ، فالأحبار وحلفاء الملك هيرودس يتذوقون انتصارهم .

لا يزال يسوع هادئًا . يعرف نياتهم الغادرة ، ويفطن لرياء أعدائه تحت مدائحهم الماكرة .

« أيها المراؤون ، تظنون أنى سأقع فى شراككم !... أرونى إذن عملة الجزية حتى يمكننى أن أتطلع إليها ».

فى الحال أخرج أحد منهم دينارًا من صرته ، والدينار هو العملة الرومانية . لابد فى الواقع من دفع الجزية بمال جيوش الاحتلال ، الذى يقتنيها بهمة الصيارفة وأصحاب المصارف .



يتجنب يسوع لمس القطعة ، **ويسأل** :

« من ترون صورته على هذه القطعة وما هو المكتوب عليها ؟»

« الصورة والكتابة لقيصر ». هو رأس الإمبراطور طيباريوس ، المالك حاليًا ، والكتابة :

« إلى ابن قيصر أغسطس الإلهى ».

يالطياشتهم !... حال إخراج هذه القطعة من صرتهم ، كانوا خاسرين ، لأنه أظهروا أنه بالنسبة إلى وضعهم الشخصى قد حلّوا المسألة : فهم يدفعون الجزية . وأكثر من ذلك ، يدفعونها بقطعة وثنية من المال . إنهم يخضعون لإمبراطور يدّعى الألوهية ، هم الذين يصرحون بانتمائهم إلى الله الواحد ، الفريد والحق ، ويفخرون برفض كل ما يؤلّه الإمبراطور أو الدولة .

يجيبهم يسوع :

« أدوا إذن لقيصر ما لقيصر ، ولله ما لله »



هذه القطعة التى تستعمل لدفع الجزية ، فليرجعوها إذن لصاحبها ، قيصر روما ، بما أنهم قبلوها كعملة للمداولة وهى فى يدهم !

ليتذكروا ذلك جيدًا : كل سلطة تتولى قدرة سياسية كانت أم قضائية ، اقتصادية أم اجتماعية ، عليها أن تقدم حسابًا لله . إن رسالة الحكام أن يحكموا الناس الآخرين ، أن يجعلوهم يحيون معًا ، لكن ولتحقيق ذلك ، ليس لهم الحق أن يتصرفوا على هواهم ، أن يستعملوا أية وسيلة ليصلوا إلى أغراضهم . لأنهم لا ينجون من كلمة الله التى تحكمهم .

إن الدولة مؤسسة شرعية ، لكن لا يجوز لها أن تعتبر ذاتها كهيئة مطلقة ، تطالب الناس بكل شىء ، حتى بالعبادة . إن تلاميذ يسوع يحتفظون بعقلهم المميز ويبدون رأيهم فى كل سلطة على ضوء الإنجيل الذى هو كلمة الله .

لعل إجابة يسوع كانت مفاجئة لمحدثيه ، ولكنها قاطعة ، جلبت حولها قهقهة ، لأن المشهد جرى علنًا . يقول المثل : « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ». **ذهب المعارضون خائبين مقطّبى الوجوه ، صامتين .**

(٧) من سيرميها بالحجر الأول ؟

(يوحنا ٨: ١ــ١١)



فى الأيام التى يزدحم فيها الحجاج ، **يتوجه يسوع كل صباح إلى الهيكل مع رفاقه** . تحت الممشى الطويل ذى الأعمدة الذى يحف بجانب من الساحة الكبيرة ، يلاقى يسوع الكتبة ، الخبراء فى القانون المدنى والدينى ، الذين يلقنون تعاليمهم بصفتهم « مدرسى الشريعة » ويصدرون أحكامهم كقضاة فى المنازعات والأعمال الجارية التى تعرض عليهم . يجلسون على مقاعد متدثرين بمعاطفهم الفضفاضة ذات الأهداب ، فيطلون هكذا على مستمعيهم والمترافعين الجالسين على خصر مفروشة على الأرض .



يعتمد **يسوع** هذه الطريقة ، **ويجلس** فى مكان يجده خاليًا **فيرى سريعًا فريقًا كبيرًا من الناس** من كل البيئات **يتجمعون حوله** ، **لهم توق شديد إلى سماعه** ومولعين بتعليمه . كل ما يقوله جديد ، مبتكر ، يفتح آفاقًا واسعة وفى متناول الجميع حتى أن نجاح تعليمه مضمون ... وبديهى أن **الكتبة** ، الذين رأوا عدد مستمعيهم يقل ، **تمزقوا غيظًا لرؤية ازدحام مثل هذا حول رجل يزعم الشعب أنه «مدرس تفكير »**، لم يتردد على معاهدهم الكبيرة **ولم يحصل على أية شهادة رسمية** . فهم يضربون الأرض بأرجلهم غيظًا وحسدًا عندما يسمعون الذين يسرعون إلى يسوع يصرخون : « مروا من هنا !... نعم ، هو حقًا يسوع الناصرى ... بادروا إلى سماعه !».

إذ هى فرصة تسنح ليجرِّبوا وينصبوا شراكًا لهذا المشوش للنظام : **أن امرأة من أورشليم ضبطت ليلاً متلبسة بجريمة الزنى** . حالتها جهرية والقانون قاس . لقد أتوا بها أمام الكتبة ليحكموا عليها . يتشاور هؤلاء ويصممون على رفع النزاع إلى يسوع : الأمر الذى يضعه فى حيرة ، بل يُنصب له فخًا سوف يصعب عليه أن يخرج منه سالمًا .

فلو أن يسوع رفض أن يحكم على هذه المرأة بالرجم لكان على خلاف مع شريعة موسى المقدسة إلى أبعد حد ، ولعرّض نفسه للجرم ... ولو ، بالعكس ، أعلن تأييده للرجم مثلما تريده الشريعة ، لأظهر أنه عديم الرحمة ، ولناقض نفسه بما أنه يعاشر أهل السوء ويغفر حتى للبغايا مثل مريم المجدلية . على كل حال ، يكون أعداؤه قد وضعوه فى مأزق واختاروا وسيلة حسنة ليحطوا من نفوذه وسمعته علنًا .

وها هم يشقون لأنفسهم طريقًا خلال جمع سامعيه ويتركون أمامه المرأة التى ضبطت متلبسة بجرم الزنى :

« يامعلم ، وجدت هذه المرأة ليلاً تخون زوجها . وإذا اكتفينا بشريعة موسى وجدنا أن حالتها تستوجب الرجم . أما أنت فما هو قرارك ؟»

ولكن يسوع لم يعزم على الرد : لأنه ليس مكلفًا بأن يصدر أحكامًا وليس هو عضوًا من أعضاء المحاكم . وبينما هو يتظاهر بلامبالاة تامة إزاء هذا الاضطراب حول شخصه ، **أكب وأخذ يكتب أو يخط باصبعه فى الرمل** ،

كأنه يصرف الوقت وفى انتظار أن يسمحوا له باستئناف كلامه . وبشعور مرهف إلى أقصى حد ، عمد ألا يلتفت نحو المتهمة الراكعة على الأرض خائرة القوى ، فستانها ممزق ، وقد ضربها الرجال فى غضبهم وهتفوا ضدها . فلو رفض يسوع أن يتكلم لضاعت فرصة خصومه ويكون كل شيء آل إلى الفشل . ولذا **ألح عليه الكتبة والفريسيون بالسؤال** . هل سيجيب أخيرًا ؟...

عندئذ استوى يسوع جالسًا وقال لهم :

« من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم ويرميها بالحجر الأول ! »

كانت العادة فى الواقع تسمح بأن المدعى الأساسى وشاهد الإثبات يرمى الحجر الأول على الشخص الذى طلب ادانته . وكانت هذه مسئولية كبيرة تفرض أن يكون الشاكى واثقًا بنفسه ... أما أن يكون المرء بلا خطيئة ، فهذا بالطبع متعذر التحقيق .

بينما كان يسوع يصدر هذا الحكم ، نظر إلى محدثيه الواحد بعد الآخر وجهًا لوجه : وكل شخص كان يحس بهذا النظر ينقب فى قلبه ويكشفه ... فتبع تصريح يسوع هذا صمت مُجَلَّل بالخوف . ما كان أحد منهم يشعر بأنه فى أمان ، وكل واحد يظن أنه من الحكمة أن ينسحب فى صمت .

فأكب يسوع من جديد وتابع كتابته على الأرض . فانسحب فعلاً جميع الشاكين واحدًا بعد الآخر ، يتقدمهم الأشخاص المرموقون ، وهم القضاة ... بحيث بقى يسوع وحده مع المرأة أمامه .

فاستوى يسوع جالسًا ونظر حوله وقال :

« والآن ، أيتها المرأة ،... أين هم الذين اتهموك ؟... ألم يحكم عليك أحد ؟...»

أجابت المسكينة بوجه مرعوب : **« لا أحد ياسيدى »**... وكانت تنظر إلى يسوع من بين ذراعيها اللتين تخفيان وجهها .

« ولا أنا أحكم عليك ... يمكنك أن تذهبى مطمئنة . لكن لا تعودى إلى الخطيئة ».

ومع ذلك لا يوافق يسوع البتة على الزنى ... والبرهان على ذلك أنه سبق وقال فى ظرف آخر : « من نظر إلى امرأة فاشتهاها فقد زنى بها فى قلبه » (متى ٥: ٢٨). لكن ، فى هذه الحال ، لا تحاول المرأة المتهمة أن تدافع عن نفسها . بل تقبل ما يقدمه لها يسوع من غفران ... وها هى معفاة من خطيئتها ... والآن تذهب مجددة روحيًا ، بينما الكتبة والفريسيون يرجعون مثقلين بخطاياهم ، لأن قلوبهم لا تزال مغلقة أمام السماح والغفران .

(٨) كرم الضيافة

(لوقا ١٠: ٣٨ـ٤٢، ١٨: ١ـ٣)

أثناء إقامتهم فى أورشليم ، كان يسوع ورفاقه يُستقبَلون غالبًا فى بيت أسرة مرحبة تسكن فى قرية بيت عنيا الصغيرة ، بقرب جبل الزيتون ، أى فى الريف القريب من المدينة المقدسة . وكان منزل هذه الأسرة مأوى يطيب فيه المبيت



ليسوع وجماعته . وأسرة لعازر وأختيه مرثا ومريم تعيش فى شىء من اليسر والرخاء : فهى معروفة فى أورشليم وتحظى بسمعة حسنة . تتمتع فى الغالب

بملكية عقارية واسعة حيث كل الفريق الذى يتبع يسوع يجد راحة ، فضلاً عن أن مرثا ، ربة المنزل ، تحسن استقبال الضيوف وتتقن طبيخها . والرفاق — مثل بطرس — يقدرون أكيدًا هذا الاستقبال الحسن ، الذى يتنافى مع حياتهم الشريدة على طرق فلسطين .

كيف تعرّف يسوع على هذه الأسرة المخلصة له تمامًا ؟... لا نعلم . على كل حال ، **كان يسوع موجودًا ذلك اليوم فى بيت عنيا عند لعازر وأختيه ، وراح يتحدث خصوصًا مع إحداهما وهى مريم ، بينما مرثا منشغلة فى المطبخ .**

جلست مريم على حصيرة فى الأرض **عند قدمى يسوع** ، الجالس على مقعد من حجر أو كرسى بلا ظهر . وجلسة مريم هى جلسة الطلاب ، عندما يستمعون بانتباه إلى معلميهم . إنما لابد أن نعلم أن مجتمع البلد وفى عصر يسوع لم يكن للنساء الحق فى الدراسة مثل الصبيان والشبان ، ولا الحق فى الكلام على سير أعمال المدينة . كن يعشن قابعات فى البيت ، ويكرّسن حياتهن لخدمة البيت والزوج والأبناء .

أما يسوع فكان يقبل أن فريقًا من النساء يتبعنه مثل فريق الرجال الذين يرافقونه ، الأمر الذى لم يكن يقبله أى معلم جدير بهذا الاسم ، ولن يوافق عليه البتة ، معتبرًا أن تصرفًا مثل هذا تصرف ثورى إلى أقصى حد . **نعرف عددًا كبيرًا من هؤلاء النساء: مريم المجدلية** (المدعوة أيضًا مادلين) **ويونا امرأة خوزى وكيل هيرودس وسوشنة وغيرهن أيضًا** . وكانت أيضًا المرأة السامرية ، التى قابلها يسوع بقرب بئر يعقوب ، والتى أسرّ إليها بأسمى الرسائل . وقد تراءى حيًا أولاً لامرأة هى مريم المجدلية بعد قيامته وكلّفها بأن تذهب لتعلن الخبر الأعظم لرفاقه الرجال .

وهكذا أخرج يسوع المرأة من عزلتها . فبالنسبة إليه لها نفس قيمة الرجل . وذلك يجعلنا نفهم لماذا نساء زمانه لازمنه ومكثن أمينات له أكثر من غيرهن بعد اعتقاله .

لكن ، لنرجع إلى مرثا ومريم فى بيت عنيا : **إن ضرورات الخدمة تطغى على مرثا . ولذا فهى تحكم أن تصرف مريم غير مناسب** : لأنه فى وقت العمل ، لا يجب أن يضيع الوقت فى الثرثرة .

« **ألم تَرَ يايسوع ، أن أختى تتركنى أخدم وحدى ؟... يحسن بك أن تأمرها بأن تساعدنى** ».

تود مرتا أن يشعر يسوع بكل العناء الذى تتحمله لحسن استقباله ، لكن **يسوع يجيبها** :

« **مرتا ، إنك تضطربين فى أمور كثيرة ثانوية . أما مريم ، فقد اختارت النصيب الأساسى . سوف تمكث بالقرب منى** ». إن الأمر الأساسى حقًا هو سماع كلمة الله .

(٩) العذاب ... عقاب أم تحذير ؟

(لوقا ١٣: ١ــ٥)

فى يوم ما ، حضر أناس وأخبروا يسوع بأن فاجعتين قد حصلتا فى أورشليم .

قد اشتعل بغتة عصيان ، أثاره فى الغالب الغيورون ضد جيوش الاحتلال الرومانية **فى زمن دخول حجاج جليليين فى الهيكل . وبيلاطس الحاكم الرومانى** ، طائشًا دائمًا فى تدخلاته ، **خلط فى الغالب بين حركة هؤلاء وأولئك ، وأمر جيشه بأن يدخل ساحة الهيكل ليقمع العصيان** . فاستتبع ذلك شجار . **وبعض الجليليين الذين كانوا يقدمون ذبائحهم بطريقة كلها هدوء ، اعتبرهم الجيش مهيجين وقتلهم** .

وفى نفس الوقت ، **أن برجًا من أعلى أبراج سور أورشليم المحصن ، وهو برج سلوام ، سقط بغتة طامرًا تحت أنقاضه ١٨ شخصًا** .

عندما أتى الناس يعلنون **ليسوع** عن هاتين الفاجعتين ، ماذا كان رد فعله ؟... **سأل رفاقه** :

« **أتظنون هؤلاء الحجاج الذين قُتلوا أكثر شر من سائر الناس الآخرين الذين نجوا من سيوف الجنود الرومانيين ؟... أتظنون أنهم قاسوا هذا المصير السيىء من أجل خطاياهم ؟... لا على الإطلاق** ».

« أتظنون أن الثمانية عشر شخصًا الذين طمروا تحت أنقاض برج سلوام كانوا أكبر ذنبًا من سائر سكان أورشليم ؟... بالتأكيد لا ...

« لكن ، ياله من تحذير لكم جميعًا !... قد تموتون بدون أن تتوقعوا ذلك ... وسوف تموتون أكيدًا فى يوم ما ... إذن كونوا على أهبة ، ويتطلب ذلك منكم أن تغيروا حياتكم منذ الآن !»

فى الحقيقة ، أن الألم والتجارب أسرار يعجز عن فهمها العقل البشرى بقدر ما الكون هو أبعد من متناولنا .

المهم معرفته هو أن التجارب والآلام ليسا فى أى حال عقابًا أو انتقامًا من الله ، لأنه يريد سعادتنا . لكنهما بالنسبة لتلميذ يسوع تحذير ، وفرصة له لمراجعة حساباته ، والتأمل فى طريقة مطابقة حياته على الإنجيل .

لم يأتِ يسوع ليقدم تفسيرًا للتجارب والآلام ، بل ليمدنا بحضوره . لم يأت ليزيلهما ولكنه جاء ليتألم معنا. لم يأتِ ليحطم الصليب ، بل ليتمدد عليه . لم يتظلّم قط من صعوبات الحياة . وفى نظره ، ليست التجارب والآلام أمامنا ، لنحاول أن نفهمها ، بل لنكافح ضدها ونقهرها بالمحبة .

(١٠) احفـــــظ مصباحك مضاء ، لأن العـــــريس سوف يأتى ... فى الليلة التى لا تنتظره فيها



(متى ٢٥: ١ــ١٣)

قد يكون بمناسبة هاتين الفاجعتين ، وحتى يلح فى التيقظ الذى يجب أن يظهره تلاميذه ، أن **يسوع قدم مثل العشر وصيفات شرف ، حاملات المشاعل ، وهو مثل مشهور** (مثل العذارى العشر) .

لنحسن فهم المثل ، لابد من أن نعلم كيف كانت تتم مراسم الزواج فى

زمن يسوع وفى بلده .

كانت الخطوبة الرسمية تعاقدًا تامًا بين الشاب والشابة . وكانت الشابة بعد الخطوبة تسمى « زوجة » رغم أنها لا تزال تعيش مع أبويها . ويوم الزواج ، بعد الخطوبة بسنة ، تدخل بطريقة احتفالية بيت زوجها وتشرع فى الحياة المشتركة معه .

كانت تقام طقوس الزواج عادة فى المساء . تتجه وصيفات الشرف إلى منزل الخطيبة ، لتساعدنها على أن ترتدى ملابسها وتتعطر فى انتظار مجىء الزوج باحثًا عنها . وقد يتأخر هذا ، لأنه قد يكون أبواه قد جادلوا طوال اليوم فى عقد الزواج الذى يتعهدان به أن يقدما هبة مالية أو عقارية لأبوى الخطيبة ، الأمر الذى كان يتطلب مساومات طويلة . فى هذه الحال ، وأحيانًا فى ساعة متأخرة من الليل ، كان رسول يسرع إلى منزل الخطيبة ليعلن عن وصول الزوج ، وكان هذا يتقدم ، محاطًا بأصدقائه وعازفى الناى والقيثارة وضاربى الرق . ويحضر ليصطحب زوجته من بيت أبيها . وكانوا ينظمون الموكب ليعبروا القرية على ضوء المشاعل والمصابيح ويصحبوا الزوجين حتى منزلهما . على مدخل المنزل كانت تقام طقوس الترحيب ببركة الزواج التى يعطيها أبو الزوج . ثم تقفل الأبواب ويشرعون فى وليمة العرس التى كانت تستغرق بالفعل كل الليل .



وأهم أمر فى مثل الإنجيل هو موكب النور الذى كان يصاحب لزامًا الخطيبين حتى بيت الزوجية . **كانت عشر وصيفات شرف مكلفات ، فى ذلك اليوم بإضاءة موكب الزواج بمشاعلهن ، لكن خمسًا منهن مهملات لم يأخذن معهن زيتًا** . **والخمس الأخريات كن عاقلات ، فكرن فى أن يأخذن معهن زيتًا** . كان لابد أن يتوقعن تأخيرًا ممكنًا من طرف الخطيب ، والمهم لكل حامل ضوء أن يكون متأهبًا لأن يضىء ، مهما حصل . ولكن لا ، فخاليات البال لم يفكرن فى الغالب إلا فى الشبان المزمع مقابلتهم ، وفى الموسيقى ، وفى رقصات الحفل .



فى الواقع طال تأخير الخطيب إلى حد أن جميع وصيفات الشرف تعِبْن من الانتظار وانتهى بهن الأمر أن نعسن ونمن كلهن . وها هو ، بغتة ، فى منتصف الليل ، أعلن بصوت رنان حضور الخطيب . فقامت الوصيفات . وتحققت الخمس عديمات الفطنة أن مصابيحهن على وشك الانطفاء . فاستعطفن الخمس الأخريات أن يعطيهن قليلاً من زيتهن لأن مصابيحهن تنطفىء . فأجبنهن : « لا محال ، لأن ما لدينا يكاد يكفينا ... »



« فلو تقاسمنا ما بقى لدينا ما يكفى لنا ولكن . **أسرعن بالأحرى إلى التاجر واشترين أنتن** ، ثم الحقن بنا فى الطريق . **فأسرعن** لملء مصابيحن زيتًا ، ولكن من السهل أن نتخيل كم أمضين من وقت لإيقاظ تاجر الزيت

وجعله يعزم على القيام ليخدمهن .

أثناء هذا الوقت نظموا الموكب وأسرعوا فى السير لاستدراك التأخير ... فى بيت الخطيب أقيمت طقوس الترحيب ، ثم أغلقت الأبواب ، وشرع الحاضرون فى السرور والموسيقى والرقص ... **ولما وصلت بدورهن الخمس الغافلات وقرعن الباب : « يامعلم ، يامعلم ، افتح لنا !» أتى العريس نفسه ليجيبهن** . والحال أن فى هذه الليلة الأولى من العرس يحذر الناس من الألاعيب المستنكرة التى يعتاد أناس أن يتخيلوها ، بنية حسنة أو سيئة ، ليتلهوا بينما هم يعكرون فرح الزوجين الجديدين . ولذلك فلا تفتح الأبواب لأى سبب كان . فكان **العريس الجديد** مندهشًا من أن الوصيفات المتأخرات لم يشتركن فى الموكب وخشى أن يُدخلن معهن مزاحين ثقلاء . **فرفض أن يفتح الباب وقال لهن من الداخل هذه الكلمة المخيفة : لا أعرفكن ... ولا حتى أريد أن أعرف من أنتن !...**





إن هذا المثل كثير الصور والمثير هو أن عند يسوع طريقة يذكّر بها أنه لا يجوز لنا أن نحيا فى اللامبالاة ، بل أن نفكر فى جدية الوجود . لأنه ، وراء عريس المثل رمزًا خافيًا ، والمقصود هو الله ، ووليمة العرس هى صورة فرح الحياة مع الله إلى الأبد ... لا يكفى أن يكون المرء تلميذًا ليسوع حتى يُقبل فى حفلة عرس ملكوت الله الأبدية ، لابد له من أن يحمل إلى النهاية « مصباحه مضاء » أى أن يحتفظ فى عمق قلبه — حتى لو تأخر العريس الإلهى — بشعلة حب له .

(١١) فاقت الجميع فى عطائها

(مرقس ١٢: ٤١—٤٤، لوقا ٢١: ١—٤)

ذهب يسوع كالمعتاد **إلى الهيكل** ، لكنه ، فى ذلك اليوم ، **توجه إلى الخزانة . هناك يوجد صندوق كبير جدًا مخصص لتسلم الهبات التلقائية التى يعطيها المؤمنون الآتون للحج . فجلس** على مقعد من حجر **ونظر إلى تعاقب الواهبين .**

مر أمام عينيه جمع من الناس : أغنياء وفقراء ، شخصيات لها مكانتها وأناس من عامة الشعب . **فالأغنياء يرمون مالهم فى الصندوق بملء اليدين** ليلفتوا إليهم الأنظار . وهذا يحدث صوتًا ويجعل الناس يتلفتون وراءهم ليتفرسوا بنظرة إعجاب فى الذين يقومون بتلك العطايا .



وصلت بغتة أرملة فقيرة . **ألقت بحذر فى الصندوق فلسين** . شىء لا يذكر . لكن يسوع أشار إلى رفاقه حتى يوجهوا أنظارهم بالأحرى نحو هذه المرأة التى لم ينتبه إليها أحد فى وسط الجمع .

« لاحظوا جيدًا هذه الأرملة الفقيرة التى ألقت توّا فلسين فقط فى الصندوق إنها أعطت أكثر من الآخرين جميعًا . فالأغنياء لم يلقوا فى الصندوق إلا من الفاضل عن حاجاتهم ، وأما هى فإنها من حاجتها ألقت جميع ما تملك لمعيشتها ».

إن الملاحظات التى يدعو إليها ـــ إن قبلنا أن نتوقف قليلاً لذلك ـــ هذا الحادث العادى الذى أبرزه يسوع ، قد سبب مواقف تمزق القلب : لأن كثيرًا من الخيرات التى يملكها الناس قد حصلوا عليها على حساب الفقراء ... لاشك أنه فى كل مكان فى العالم تقريبًا ، تقام أعمال تعاطف مع الفقراء تستحق الإعجاب . لكن كم يبقى من الأعمال لم ينفّذ بعد !... إن كلمة يسوع : « قد أعطت من حاجتها » ستظل إلى منتهى الأزمنة تمثل إجابة للسؤال الذى قد يمكن كل منا أن يطرحه بإخلاص على ذاته : « فى نظر الله ، هل أعطيت أحيانًا شيئًا يذكر ؟... والمقصود هو أن أعطى ليس فقط من الفاضل عن حاجاتى ، ولكن من الضرورى لى من مال وخيرات ووقت وشواغل وهدوء بل وحياة لصالح إخواننا الفقراء والمعدمين .

(١٢) الله هو الذى يبحث عن الخاطىء

(لوقا ١٩: ١ـــ١٠)

يعلم يسوع أنه ليس فى أمان : يحقد عليه أعداؤه حتى الموت . فى غيظهم الشديد حاولوا أن يرجموه . يسهل عليهم أن يجدوا قتلة مأجورين ليقتلوه ، ويستأجروا رجال الشرطة ليضعوا القتلة فى أمان . ولذا **قرر يسوع أن يبتعد بعض الوقت عن أورشليم** مع فريق من رفاقه . **فأخذ طريق أريحا ليبلغ فيما بعد مدينة أفرايم الصغيرة** على جانب الصحراء .

يسوع هو الذى يقرر مصير حياته بكل حرية . إنه لم يأتِ على الأرض

ليقتل غيلة ، لكنه يقبل ، أمانة لرسالته ، أن يرضى عن المصير الذى يهيئه له شر البشر ، ولكن فى الوقت الذى يكون قد اختاره هو فحسب .

ها هو إذن الفريق الصغير على طريق أريحا. تشتهر هذه المدينة التى فى وادى الأردن ، على بعد ٣٧ كيلو مترا من أورشليم تقريبًا ، ببساتين من النخل وأشجار الفاكهة والأزهار . وهى غنية بنشاطها التجارى . كما يتردد إليها أناس كثيرون من أجل طقسها اللذيذ .



نبّه الناس سكان أريحا إلى مجىء يسوع . فخرج جميع السكان يصحبونه فى عبوره المدينة . وبلغت أصداء الخبر منزل **زكا ، رئيس العشارين** ، أى محصل الضرائب باسم جيوش الاحتلال . هو أيضًا قد سمع من حوله يتكلمون عن هذا النبى رجل الله ، الذى يقال إنه لا يحتقر البتة العشارين أمثاله ، رغم أن كل مواطن يهودى يكرههم كمعاونين للرومان . **يود زكا أن يرى يسوع** ... لكن فى ذلك خطرًا عليه . لأنه اغتصب من الناس الذين لا أحد يحميهم مالاً أكثر بكثير مما كانوا مطالبين به ، وذلك ليغتنى هو على حسابهم . وربما لو لمحه رجل الله لاضطر أن يعاتبه بحدة جهرًا ... وفى الحق كان زكا مثقل الضمير ، ويقول فى نفسه إنه لو أراد أن يغير حياته لرأى أن وقت الندامة قد فاته ، هو على الأقل يظن ذلك . لكنه يشعر بأن يسوع هذا يجتذبه بالرغم من كل شىء .

يختلط زكا بالجمع ليرى يسوع ولكنه يفشل فى مسعاه ، لأن الطريق مزدحم وهو قصير القامة . ففكر فى حيلة : شاهد جميزة ، تطل على الطريق المزمع أن يمر به يسوع . ركض زكا **وتسلق الجميزة** وتستر فى أوراقها ،

ومن هذا المكان كان يقول فى نفسه : « أنا لست على مرأى أو مسمع من أحد ... ولكنى سأراه ».

وصل الجمع مواكبًا يسوع . كل شيء على ما يرام بالنسبة لزكا . لأنه سيرى يسوع مارًا على بعد بضعة أمتار منه ... ها هو ، ولكن ، ماذا يفعل ؟... **إنه يقف بالضبط على مستوى الجميزة وينظر إلى الشجرة** . وعيون الجميع تتبع حركاته ... ونتخيل بسهولة أن صبيًا هازئًا ، معتادًا صراحة الكلام ، يصرخ مشيرًا بإصبعه إلى ناحية زكا « أنظروا !... زكا رئيس العشارين مختبيء فى الجميزة ... يسوع اكتشفه ».

عندما أدرك أنه مكشوف ، بدأ زكا يمتقع ويلعن الفكرة المشئومة التى أرضى بها رغبته بطريقة مثيرة للسخرية .



ولكن ، بابتسامة لطيفة ، **صاح فيه يسوع : « يازكا انزل على عجل ، لأنى عزمت أن أقيم اليوم فى بيتك ، نعم ، فى بيتك !»**

ماذا ؟... هل هذا ممكن ؟... هل سمع زكا ما قاله يسوع بالضبط ؟... إذن يسوع يعرفه !... ولكن بالأخص قد نفذ نظر يسوع إلى عمق أعماق نفسه .

هازئًا تمامًا بالتهكم الصاعد من الطريق ، **زكا ينزل من مخبئه على عجل ويتوجه إلى منزله** بكل سرعة ساقيه القصيرتين ... وهناك ، يا لها من ضوضاء !.

« ياجميع خدمى ، هيا نفذوا أمرى ! أعدوا وليمة عظيمة لاستقبال يسوع الناصرى ذائع الصيت !... لأنه آتٍ ليقيم فى بيتى ... هذا أعظم يوم فى حياتى !».

وفى المساء ، **يستقبل زكا يسوع فى بيته بفرح عظيم ... وسكان أريحا الذين يراقبون إذا كان يسوع سيدخل حقًا منزل رئيس العشارين ، يتلفظون بملاحظات مكدرة :**

« **هل تفهمون ذلك ؟... يرتاح عند أكبر لص فى المدينة** !... بينما توجد أسر عديدة محترمة ... مثل أسرنا مثلاً ... إذن ما فائدة أن نكون من أهل الخير ... وأن نكون متدينين ؟».

يقرأ يسوع ما فى النفوس .. ويعرف الأكثر احتياجًا إلى زيارته والذى ، بالرغم من الظواهر ، يرى فى قلبه الاستعداد الأفضل .

والحقيقة ، **أن الشخص الجديد الذى أصبحه زكا هو الذى يستقبل يسوع** . لأنه مصمم على أن يغير حياته ويكون عضوًا فى ملكوت الله . يعترف بكل أخطائه ... ومستشهدًا بيسوع ، **يعلن جهرًا** :

« **هذا ما قررته : سأتصدق على الفقراء بنصف أموالى ، وإذا كنت قد ظلمت أحدًا فى شىء ، أرده إليه أربعة أضعاف** ».

وعليه يستخلص يسوع النتيجة :

« **اليوم نال هذا البيت الخلاص . فقد خلص هذا الرجل . وهكذا تم كل خير : لأنى جئت لأبحث عن الهالكين وأخلصهم** ».

لم تكن مقابلة يسوع لزكا مقابلة سطحية ، مثل ما يحدث غالبًا فى الحياة ، مقابلة لا تترك أى ذكرى أو تترك فقط شعورًا بزهو لأن الشخصية التى قابلناها لها شهرة . قد نفخر بها ، ولكنها لا تأتى بشىء . كانت بالعكس مقابلة يسوع

وزكا مقابلة فى العمق ، مقابلة تقلب أوضاع الحياة : لأن الإنسان يشعر بموجبها بأنه مرغوب ومحبوب مثلما هو ، بحسناته وعيوبه ، برغباته النبيلة ونقائصه ، وبؤسه وشره . إذا ما رجع إلى الرب بتوبة صادقة وإيمان راسخ .

فى عزلة قلب زكا وشعوره بالذنب ويأسه الذى قد يؤدى إلى الموت ، جاء يسوع يقول له إنه خالص لأن يسوع ذاته يحبه . وكفى زكا أنه لا يصم أذنيه عندما يسمع أنه مدعو لحياة جديدة ، وكفاه أنه لا ينطوى على نفسه ظانا أنه لا يمكنه أن يسترجع قواه ، بل أن يجعل قلبه مستعدًا . لاشك فى أن زكا اهتز عندما أدرك أن يسوع يفهمه ويحبه .

إن تلميذ يسوع هو الذى تجددت حياته . وإلا فلا تكون ديانة المسيحى إلا ديانة بين سائر الديانات ، مثقلة بعقائد وممارسات طقسية . يأتينا يسوع مثلما أتى إلى زكا ، يجدّ فى إثرنا على دروبنا ، يظهر رغم أنه ليس فى الحسبان ولا فى الانتظار ، ويشاركنا حياتنا : فى الفرح ، فى العذاب أو الفشل ، وحتى فى حالة خطيئتنا . « اليوم كان شخص هالكًا لكنه الآن قد خلص ».

(١٣) لا تقل : « من هو قريبى ؟ لكن ، تساءل : « أجعل نفسى قريب من ؟

(لوقا ١٠: ٢٥ــ٣٧)

حقق يسوع مقابلة أخرى ، جرت فى الغالب فى نفس منطقة أريحا ، **مع كاتب ، كان من علماء الشريعة** ، ولكنه مخلص ، يبحث عن الحقيقة ويبتغى الكمال ــ فليس كل الكتبة عُمْى القلوب ومتجنين على يسوع ــ. وكان لكرازة يسوع وتصرفه وقع فى نفس ذلك الرجل ، الذى يريد أن يرى بوضوح ما تكنه مسألة الوجود الأساسية . **فطرح السؤال الآتى** :

« **فى نظرك ، يايسوع ، من هو قريبى بالضبط ؟**... من هم الأشخاص الذين يجب أن أحبهم وأساعدهم ؟

كان هذا موضوعًا مثيرًا للجدل . وإن كان اليهود متفقين على المساعدة الواجبة للمواطنين والمهتدين الجدد ــ مثلما كانوا يسمون الأجانب الذين

كانت الديانة اليهودية تجذبهم ــ كانوا يجادلون فى درجة التقدير أو اللامبالاة والاحتقار والبغض التى يعاملون بها باقى البشر . فالناس ، فى الأغلب ، كانوا يبعدون عن مفهوم القريب (الواجب حبه)، الأعداء والأجانب وأهل السوء وخاصة من أساؤوا إليهم . وقد فسروا الشريعة بقولهم : « لابد أن تحب قريبك ، ولكنك لست مضطرًا أن تحب خصومك ».

يجيب يسوع بقصة :



هى قصة يهودى كان ذاهبًا من أورشليم إلى أريحا (وطول هذه المسافة ٣٧ كيلومترا). « ولما كان نازلاً على الطريق ، وقع فى كمين : أوقفه لصوص وجردوه من ثيابه وسرقوا ماله ، وعندما حاول أن يدافع عن نفسه ، أشبعوه ضربًا وتركوه بين حى وميت على جانب الطريق .

« فاتفق أن كاهنًا يهوديًا كان مارًا من هناك . فلما رأى المسكين ، مال عن الطريق ومضى فى سبيله . وكذلك يهودى آخر ، لاوى يعمل فى خدمة الهيكل ، جاز بدوره بقرب الجريح ونظر إليه ومضى فى سبيله . وكان من واجب هذين اليهوديين أن يهتما بمعرفة ما





إذا كان الجريح أحد مواطنيهما ورجلا من سلالتهما ليسعفاه . ولكن لا ... إنهما استسلما للخوف وخشيا أن تنالهما مشاكل وهموم من جراء هذا الجريح ، الذى هو فى حالة خطرة . فمرا كأنهما لم يريا شيئًا حتى لا يُزعَجَا فى هدوئهما .

ثم مر سامرى (أخ مخادع فى نظر اليهودى ، هرطوقى فى اليهودية ، فهو إذن رجل ممقوت فى نظر الناس الذين نذروا حياتهم للشعائر الدينية مثل الكاهن واللاوى). **فاهتزت أحشاء السامرى شفقة لرؤية هذا المسكين الممدد فى دمه** . لم يبالِ السامرى بأن اللصوص قد يكونون مختفين بعد فى الجوار ، وبأنه يجازف بحياته أو بما لديه من مال . لكنه ركع بالقرب من الجريح ووفر له الإسعافات الأولية آخذًا من حقيبة سفره خمرًا ممزوجة **بالكحول** ليطهر جروحه **وزيتًا** ليسكّن ألمه .



وبعدما ضمد جراحه ، حَمَلَه على دابته وأوصله إلى فندق فى الناحية ، حيث اعتنى بأمره إلى صباح اليوم التالى . وبما أنه كان عليه أن يتابع سفره ، أخرج دينارين من صُرّته ــ(هما ثمن عمل يومين)ــ **ودفعهما إلى صاحب**

الفندق قائلاً له : « اعتن بأمره ، ومهما أنفقت زيادة على ذلك ، أؤديه أنا إليك عند عودتى ».



هذه هى القصة التى سردها يسوع . وقد يتساءل الكاتب لماذا اختار يسوع كمثل للتفانى والتضحية بالذات ، سامريًا إزاء هروب اليهوديين اللذين يمضيان حياتهما فى مراسم داخل الهيكل ... ذلك أولاً ليظهر أن المحبة الواقعية للآخرين أيًا كانوا ، لها فى نظر الله قيمة أعظم من الصلاة ، ومن المراسم والشعائر إذا أُغفل الاهتمام بالمشاكل التى يتخبط فيها العالم .

ثم يريد يسوع أن يجعل الناس يدركون أن الحقيقة والخير قد يكونان حيث لا يشك فيهما فلا يبحث هناك عنهما ، أعنى فى المعسكر المعارض ، عند أعدائنا . غالبًا ما نكون من سلالة عالية ، أو من طبقة اجتماعية رفيعة ، أو من حزب كبير ... أنانى وضد الآخرين . نرفض أن نقر بجزء صغير من الحقيقة أو الخير الذى عند خصومنا .

لكن يسوع لا يتوقف عند ذلك . بل ، نتيجة للقصة التى سردها توًا ، يطرح هذا السؤال على الكاتب :

قل لى أنت من فى رأيك من هؤلاء الثلاثة الرجال اقترب من الجريح ، من جعل نفسه « قريبه »؟ من هو إذن « قريبه »؟...

هكذا عَكَس يسوع السؤال . بالنسبة إلى الكاتب . المقصود أن يعرف من هو القريب الذى يجب عليه أن يحبه ويسعفه . وفى سياق القصة فُهم أن القريب هو كل شخص يساعد محتاجًا إلى النجدة ، أيا كانت جنسيته ، حزبه ، سلالته أو ديانته ... لكن ، بالنسبة إلى يسوع ، السؤال الحق ، الفائق الأهمية ، هو أن أعرف ممن أجعل نفسى « القريب »، أى ممن أقترب أنا حقًا .

فى الواقع ، أن الناس المحتاجين إلى نجدة وإلى أن نحررهم من ظروف حياة غير إنسانية ، موجودون فى كل مكان ، حتى بالقرب منا . ولكننا نمر غالبًا بدون أن نراهم أو بدون أن نعرف كيف نسعفهم . نحتفظ بالمسافة (المادية أو المعنوية) التى تبعدها عنهم ونجد لأنفسنا ألف عذر وعذر لامتناعنا وتجاوزهم ... فحتى نكون « قريبًا منهم » لابد أن نعرفهم ، ولذلك لابد من أن نشاركهم فى الحياة ، إلى درجة ما على الأقل . وحينذاك نفهم مما يخصهم أشياء لا بأس بها : إحتياجاتهم الحقيقية ، همومهم ، صعوباتهم ، مشاكلهم ، مآسيهم ، وآمالهم . وبهذا نصل إلى أن نشعر نحوهم بحسن تفهم ، بصداقة وحتى باحترام عندما نعرف أسباب شقائهم الحقيقية . ويمكننا أن نكافح بنجاح لنجعلهم يتخطونها على أمد طويل ، دون أن نهمل أن نمدهم فى الحال بالإسعافات العاجلة ، لأنه ليس الفقر والشقاء قضاء وقدرًا ، كما يظن أغلب الناس غالبًا . لابد من إزالة أسباب الشر العميقة على جميع المستويات .

ولكن هذا يفرض انفتاح القلب الذى ليس بطبيعى لدى أناس كثيرين . يعلمنا الإنجيل أن يجعل كل منا نفسه « قريب » الآخرين ، كيسوع الذى هو المثل الأول ، الذى جعل نفسه « قريبنا »، جعل ذاته واحدًا منا .

شعر الكاتب أنه لابد أن يجيب عن سؤال يسوع ، فقال :

« الذى جعل نفسه قريب الجريح ... هو السامرى ».

هنا ختم يسوع الكلام مشجعًا : « هيا ، أنت الكاتب ، اذهب فاعمل أيضًا مثل ذلك ».

(١٤) يسوع يهزم الموت عند قبر لعازر

(يوحنا ١١: ١ــ٤٦)

مكث يسوع ورفاقه فى منطقة أفرايم زمنًا هادئًا نسبيًا ، وإذ فى يوم ما ، يأتى رسول من طرف تلك الأسرة الساكنة فى بيت عنيا ــ والتى تستقبل بكل عطف وتضحية **يسوع ورفاقه عندما يكونون فى أورشليم . قال الرسول إن لعازر ، الذى يعيش مع أختيه مرثا ومريم ، مريض بمرض خطير جدًا .**

واكتفى بالقول ليسوع : « **صديقك لعازر فى ألم شديد** ». فى الحقيقة ، لم تجرؤ الأختان على أن تلحا فى عودة يسوع قريبًا من أورشليم لأنهما على علم بالمؤامرة التى تدبر ضده .

وها هو يسوع ورفاقه ذهبوا إلى بيت عنيا . وعندما وصلوا إلى هناك عرفوا أن لعازر قد مات منذ أربعة أيام . حالما أتى الناس يخبرون بمجىء يسوع ، أسرعت مرثا لمقابلته ، بينما مكثت مريم جالسة فى المنزل :

« لو كنت ههنا لما تركت أخى يموت ! »

« مرثا ، أنت تعرفين جيدًا : سيقوم أخوك ».

« نعم أعلم ... ولكن ، فى يوم القيامة الأخير ».

وعليه يبوح يسوع لها بهذا التصريح الجهورى :

« أنا هو القيامة والحياة ، يامرثا . من يؤمن بى يحيا ، حتى ولو مر بالموت مثل الآخرين . كل شخص يؤمن بى يحصل على الحياة الأبدية ولن يموت أبدًا ... أتؤمنين بذلك ؟...



هكذا يعلن يسوع أن الموت أخذ معه وجهًا آخر . لأن من اتحد به انتهل منهل الحياة التى لا نهاية لها . فليس الموت مثلما نعرفه إلا عبورًا . لأن حياة أخرى بزغت فى كل شخص آمن بيسوع . وتلك الحياة ، التى هى اشتراك فى حياة الله ، لا يمكنها أن تزول .

مرثا تجيب يسوع :

« أومن بأنك أنت المرسل من الله ، المسيح ابن الله الذى ننتظره ».

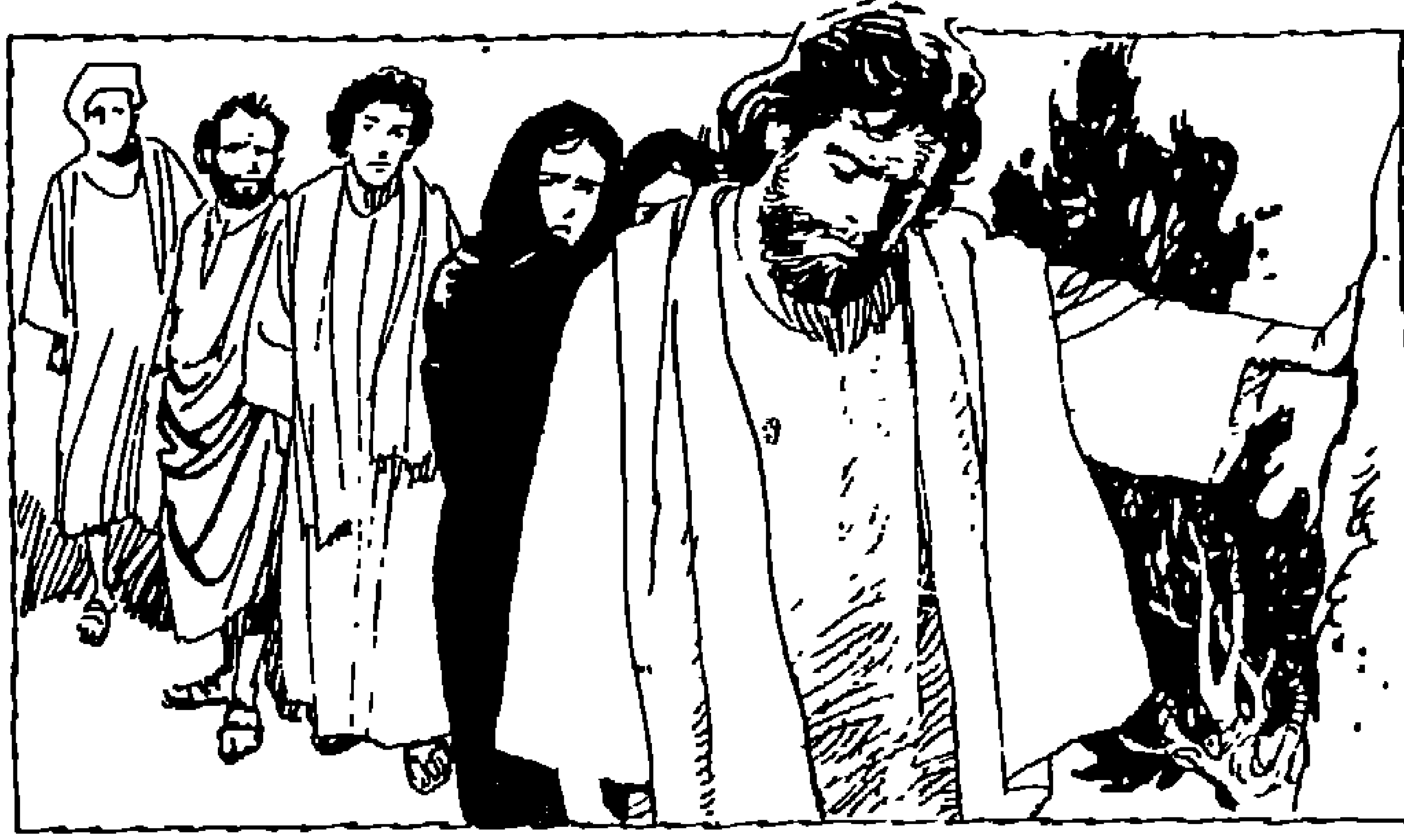
وترجع إلى البيت لتأخذ أختها مريم على حدة وتهمس فى أذنها :

«يسوع قد حضر ويريد أن يراك ...».

حين تلقت الخبر قامت مريم فورًا وخفّت إليه . لم يكن قد دخل بعد القرية ، بل كان حيث استقبلته مرثا . عندما رأى جميع الزوار ، الذين كانوا فى البيت ليعزوا الأختين ، أن مريم قامت وخرجت على عجل لحقوا بها ، وهم يظنون أنها ذاهبة إلى القبر لتبكى أخاها الذى حزنت عليه حزنًا شديدًا .

نطقت مريم ، مثل أختها ، بنفس الملاحظة ليسوع :

« لو كنت ههنا لما مات أخى !»



وارتمت باكية عند قدميه . واستسلم يسوع لتأثره ، لأنه كان فى اضطراب عميق . يتذكر يسوع لعازر الذى كان قد أصبح صديقًا حميمًا له وكان لديه صفاء الذهن والشجاعة الكافية لاستقبال يسوع فى منزله معرّضًا سمعته للخطر فى نظر سلطات أورشليم . رجعت إلى ذاكرة يسوع هذه الذكريات الحديثة جدًا ، فارتعش فى كل كيانه وشرع يبكى ... بصفته إنسانًا كامل الإنسانية ، يعرف يسوع مواجهة هذه الحقيقة المفجعة ، حقيقة الموت الذى لا يفلت منه أحد .

وسمع يسوع الحاضرين يتهامسون حوله بملاحظة :

« كانا صديقين حميمين !... أنظروا كم كان يسوع يحب لعازر ... » وبعض الناس يقولون : « قد فتح عينى شخص ولد أعمى .. ألم يتمكن من منع صديقه عن الموت ؟»

يسمع يسوع نحيب هذا الجمع من الناس ، إلا أن عددًا لا بأس به منهم كان يتظاهر بحداد مألوف . لكن ، حيث يوجد يسوع ، هل يلبس الناس الحداد بدون رجاء ؟... هذا محال ، لأنه سيقوم بعمل ما ... ها هو يسأل : **« أين دفنتموه ؟...»**

« تعال ، سنقودك إلى مكانه ».

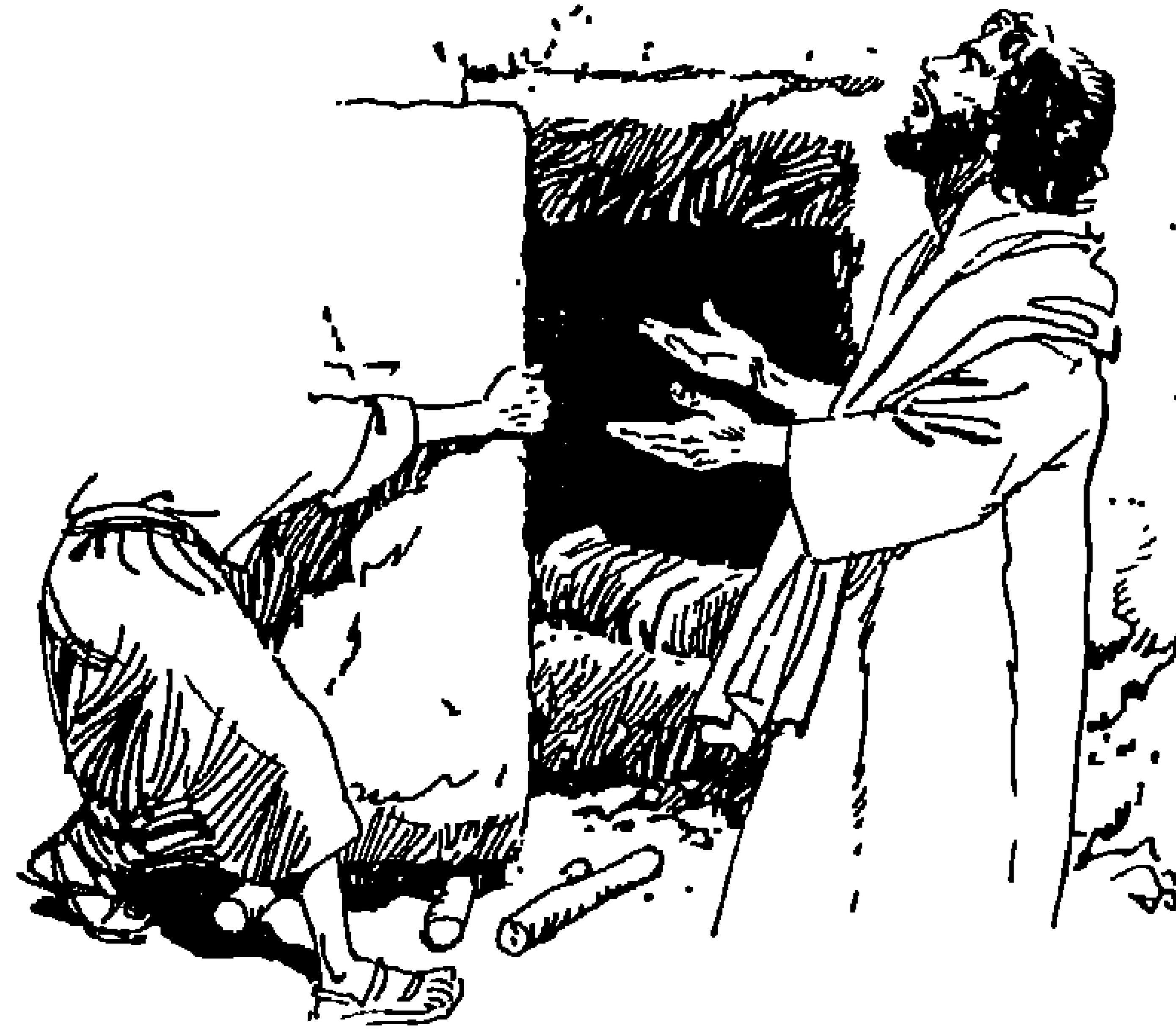
وقادوه إلى القبر ، الذى كان فى الغالب مغارة محفورة فى صلب الحجر ، ومغلقة بحجر كبير يدحرج أمام المدخل .

« ارفعوا الحجر !»

فى اضطرابها ، رجعت مرثا إلى الوراء :

« صار له هنا أربعة أيام ... سوف يبعث فى الغالب رائحة نتنة جدًا ». وفى الواقع ، رغم الحنوط التى تطلى بها ، تتحلل الأجساد فى القبور سريعًا . **ولكن يسوع يهدى روع مرثا** بنظرة :

« ألم أقل لك : إن كنت تثقين فىّ تمامًا ، سوف ترين قدرة الله وانتصاره على الموت ؟...»



« أقول لكم ثانية : ارفعوا الحجر !»

فدحرجوا الحجر بأيديهم

بعد ذلك صاح يسوع بأعلى صوته :

« لعازر هلم فاخرج ».

وفى الحال ، ها هو من كان ميتًا يخرج من القبر . وبين الذهول والإعجاب العام رأى جميع من كانوا حاضرين هناك شكلاً بشريًا يتقدم فى نصف ظلام ممر القبر ، **مشدود اليدين والرجلين بالعصائب ، ملفوف الوجه فى منديل** . يخرج لعازر عند دعوة صوت ابن الإنسان الذى رن إلى أعماق القبر وأيقظه من سبات الموت . حملق الجميع وحبسوا أنفاسهم .



وأراد يسوع أن يلمس الحاضرون الميت حتى يقتنعوا :

« حلّوه الآن من عصائبه حتى يمكنه أن يمشى ».

وتختلف ردود الفعل ازاء المعجزة . فبين الحاضرين ، الكل تقريبًا يعلنون تأييدهم ليسوع الذى يرون فى شخصه نبيًا عظيمًا ، والمسيح المنتظر ... ولكن بعضًا يسرعون إلى أعداء يسوع ليخبروهم عما حدث . لأنه يوجد أناس لا يريدون أن يسمعوا كلمة الله ، ولا أن يتساءلوا بموجبها . وقد قال يسوع مسبقًا فى شأنهم : « إنهم لا يقتنعون ولو قام واحد من الأموات ». (لوقا ١٦: ٣١).

(١٥) هل هى مصلحة الدولة حقًا ؟

(يوحنا ١١: ٤٦ـ٥٣)

كان حاضرًا فى بيت عنيا أصدقاء زور . أسرعوا فى الحال ليرووا الحادث العجيب للفريسيين الذين يضمرون حقدًا مميتا ليسوع . إزاء هذا الخبر ، بلغ استياؤهم ذروته . لابد من أن يتخلصوا من يسوع . لكن كيف ؟... ليس للفريسيين أية سلطة رسمية . إنهم يكوّنون مجمع علم دينى مع الكتبة الذين يحظون بينهم بأعظم شهرة ، فلهم حقًا نفوذ عظيم ، ولكن لا أكثر من ذلك . لابد من إقناع الأحبار وطبقة رؤساء الكهنة : لأنهم يتولون زمام الحكم تحت إشراف الرومان . إلا أن الفريسيين وأحبار الهيكل يتباغضون . لكن ، بما أن الأمر يتعلق بيسوع ، خاصة وأن هؤلاء لم يصفحوا عن فضيحة الهيكل التى أثارها يسوع عندما طرد الباعة والصيارفة ، كبتوا الحسد والحقد اللذين يفرقان بينهما ، واتفقوا معًا . **وعقد رؤساء الكهنة والفريسيون اجتماعًا غير عادى .**

وهذه هى خطة الفريسيين : حتى يحملوا رؤساء الكهنة على العمل ، قدموا لهم يسوع كأخطر مهيج للدولة : يدّعى أنه المسيح . لم يهتم إلى الآن بالسياسة ولكنه يعتزم ذلك . يربح أنصارًا أكثر فأكثر . لابد من أن يتوقعوا فتنة خلال أعياد الفصح . إذن لابد وأن يتحركوا بسرعة . إذا كان رؤساء الكهنة متمسكين بمناصبهم وامتيازاتهم فليتحركوا فى أسرع وقت ! إنهم يقبضون بأيديهم على مصير الدولة .

هكذا يلخص الفريسيون مرافعتهم :

« لا فائدة من تغاضينا : يسوع هذا يقوم حقًا بأعمال عجيبة . فلو تركناه يتابع مآثره سوف يجمع حوله جمعًا من الأنصار ، وماذا يكون المصير ؟... سوف يرسل الرومان جيشًا ليحطم الفتنة . وسيدمرون الهيكل ولن يكون لنا كيان كأمة ...»

وكان حاضرًا هذا الاجتماع قيافا ، عظيم الأحبار ، القائم بوظيفته هذه السنة . اكتفى بما قيل له ليقتنع . فى نظره ما وزن حياة رجل يدّعى الرؤى مثل يسوع إزاء المصلحة العليا ؟ وعليه قال ..

« آه ، إنكم لا تعرفون ما يجب عمله ؟... لكنه بسيط جدًا . ألا تفطنون أن موت رجل واحد للصالح العام خير لكم من أن تبيد الأمة بأسرها ؟»

هذه لاشك خيانة : سوف يتذرعون بمصلحة الدولة ليسلموا مواطنًا إلى من يحتل بلدهم . ولكن هذه فى نظرهم سياسة سليمة . **فقرروا موته رسميًا منذ اليوم : لابد من قتله مهما كلّف الأمر** . بقى أن يجدوا طريقة للقبض على شخصية يرضى الشعب عنها كل الرضا ، ويرتبوا الدعوى .

(١٦) المؤامرة والخائن

(متى ١٦: ١٤ــ١٥، لوقا ٢١: ٣٧ــ٣٨، ٢٢: ١ــ٦)



بالنسبة لأعداء يسوع ، لم تتغير المشكلة : لقد قرروا قتله لكن كيف يقبضون عليه دون أن يجازفوا بانتفاضة شعبية لا يقبلها الرومان ، والحقيقة أن اليهود يودّون أن يكونوا على وفاق معهم ليحتفظوا بمزاياهم . منذ زمن قليل كانوا يبحثون عن تواطؤ مع عشراء يسوع الذين يعرفون بدقة روحاته وغدواته . **لأنه لابد من العمل بحيلة ليجدوا الفرصة المناسبة للقبض عليه خفية ، دون أن ينبهوا الرأى العام .**

وها هو أمر جديد يظهر : فها هو أحد رفاق يسوع الحميمين يحاول من جهته ، أن يتصل بهم . هذا الرجل هو يهوذا الإسخريوطى .

منذ فترة لا بأس بها انطوى يهوذا على ذاته وشرع يلعب على الحبلين ... فى أية مغامرة تورّط عندما لبى دعوة يسوع ... آه ، ليس ذلك ما كان يحلم به ... ومع ذلك فلدى يسوع كل ما يلزمه ليصبح مسيحًا حقيقيًا : يطرد

المحتل الرومانى ويؤسس نظامًا جديدًا . أحس يهوذا بذلك منذ البدء . لكن الآن كل شيء يؤدى إلى طريق مسدود . لأن يسوع يرفض بإصرار أن يقوم بعمل سياسى . كأن يهوذا أمضى سنتين أو ثلاث فى ألفة يسوع . وظل دائمًا يرجو وينتظر تحولاً فى رأى يسوع ، ولكن لا !... ولهذا هو يتمزق غيظًا ، لأنه قد عرّض سمعته للخطر مع يسوع . وبلغ منه الغيظ حتى أنه كره الذى أسلم له ذاته . إن فكرة الخيانة تطارده . فكيف يخرج من هذه المغامرة التى ضل الطريق فيها ؟... إن يسوع هذا الفيلسوف المبهم ، قد حطم حياته ... هو يبغضه الآن ... **فى تلك الأيام ، يمكننا أن نقول إن الشيطان** الذى يدير الحركة فى الخفاء ، **قد دخل فى يهوذا واستولى على قلبه** . ويهوذا قَبِلَ أن يستسلم لروح الشر .



إن خطته جاهزة : فأعداء يسوع لهم السلطة الآن ، ويريد يهوذا أن يكسب ودهم : هكذا يظن أنه يخرج من المشكلة سالمًا : هو على الأقل سوف لا يعرّض نفسه للمقاضاة . ولذا فهو يود أن يسلّم نفسه إلى أعداء يسوع بأى ثمن كان .

يتذكر **يهوذا** أن الأحبار والفريسيين أصدروا أمرًا لكل من يكتشف مكان اعتزال يسوع أن يخبرهم به .

والحقيقة أن يهوذا **يعلم بأنه فى كل مساء تختفى فرقة يسوع الصغيرة** وسط الجمهور ، فى متاهة أزقة المدينة ، **وتذهب تمضى الليلة** فى ركن منعزل من حديقة جثسيمانى **فى سفح جبل الزيتون .**

أخذ يهوذا موعدًا مع رؤساء الكهنة . فى حضرتهم وأمام قادة الحرس اليهودى باح بخطته . وها هو الكمين منظم ... يالفرح جميع أعداء يسوع !

لم يتوقعوا ذلك ... إذن كان يوجد أيضًا تعارض حتى فى حاشية يسوع .

ياله من رجل غريب يهوذا هذا !... لا يكنّ الأعداء له إلا نفورًا واحتقارًا ، ولكنها فرصة لابد أن يغتنموها .



تباحثوا فى الثمن :

« كم تعطوننى عندما أسلمه إليكم ؟»

واتفقوا على ثلاثين من الفضة .

لابد من العجلة ... إذا ظهرت فرصة مناسبة قد ننتهى من الأمر قبل الفصح ... ولكن المهم أن كل شىء يتم بطريقة سرية إلى أقصى حد ، ليلاً بفضل الظلام الحالك . هذا أكثر ضمانًا .

سَهُلَ على حكام البلد ، الأحبار والفريسيين ، وهم يودّعون يهوذا ، أن يقنعوه بأنه عندما يسلم يسوع يكون قد قدم خدمة عظيمة للدولة برمتها ... وهذا ساعده على أن يتخلص من تأنيب ضميره .

(١٧) كوارث أرضية واضطرابات وحروب واضطهادات ولكن يسوع يقول لنا : « لا تخافوا »

(لوقا ٢١: ٨ــ١٩ و٢٩ــ٣٢، مرقس ١٣: ٥ــ١٣، ٢٨: ٣١، متى ٢٤: ٤ــ١٤ و٣٢ــ٣٤)

صُعد يسوع ــ (وهو يتحدث) ــ منحدرات جبل الزيتون ، وجلس قبالة المدينة المقدسة التى فى ساعة المساء هذه ، وتحت أشعة الغروب الأخيرة ،

التى تظهر على شبه خلفية حريق .

يعلم يسوع أن رفاقه الحميمين ، أى « رسله »، سيحرمون عن قريب من حضوره ويتعرضون لكل الصعوبات والضغائن والتعصبات التى عرفها هو . ومن ثم يريد أن يؤهلهم لحياة التجارب التى تنتظرهم . **لأن تلاميذه سيحيون فى أزمنة مضطربة ، مثلما كانت الأجيال السابقة وستكون الأجيال اللاحقة .** وهو مصير البشرية التى تحيا فى خطيئتها إلى حد الإفراط . سوف يحارب البشر بعضهم بعضًا . ستكون حروب وثورات ، وسيرى الناس صراعات بين الإخوة ، وجرائم حتى بين أعضاء الأسرة الواحدة ، ونزاعات أجيال مختلفة بين أقارب يبلغون بعضهم عن بعض ويسلمون بعضهم بعضًا إلى العذاب والسل . سوف يعرف العالم مجاعات وكوارث مثل الزلازل ، والثوران البركانى ، والعواصف الدوارة الهدامة ... ولا يغترن أحد . إن تلاميذ يسوع ، الذين يحملون رسالته للعالم ، يزعجون عددًا كبيرًا من الناس الذين هم فى مكانة عالية ، ويعكرون أفراحهم . فيجب عليهم أن يتوقعوا منهم اضطهادات ... **وبين ما يقوله لهم يسوع :**

« سوف يبغضونكم بسببى ... بل أكثر من ذلك ، يظن بعض من يقتلونكم أنهم يخدمون الله ... لكن لا داعى لأن تجزعوا وتقلقوا . بل لابد بالعكس أن تكونوا نافذى البصيرة وثاقبى الفكر لتكشفوا القناع عن المسحاء الكذبة الذين ينتحلون اسمى لكى يضلوا العقول . كونوا إذن متيقظين ولا تناموا ، لأن عليكم أن تبشروا كل الأمم . فعليكم ألا تهتموا بتهيئة ما تحتجون به عندما تساقون إلى المحاكم . لأن الروح القدس سوف يكون معكم ، ولن يقدر أحد أن يتغلب على مقاومتكم ، من أجل هذه القوة الروحية التى تنعشكم وتجعلكم قادرين على الجواب . سوف يتكلم الروح القدس على لسانكم . المهم ، بالنسبة لكم ، عليكم أن تشهدوا لى وأن تصبروا إلى النهاية ... وستزول كل هذه الزوابع : بل هى تعلن أن زمنى آت ، وأنى أنا ، ابن الإنسان ، قريب ، بل أنا بالقرب منكم تمامًا ... « على الأبواب » كما يقال . زمن جديد يعلن قدومه ، بنفس التأكيد الذى تعلن به براعم شجرة التين الجديدة عن مقدم الصيف .

يفكر يسوع فى الكنيسة ، فى أسرته الجديدة ، فى هذه الشركة الكبيرة

التى تثبت دائمًا ، لأنه سيكون حاضرًا فيها ... بينما سير التاريخ يأخذ مجراه خلال كل أنواع الانقلابات والتغيرات . إن وجه هذا العالم والتقلبات التى تخضع لها الطبيعة بحسب سياق الأشياء أو عمل البشر ، والعادات والحضارات ، ونظم الحكم وثورات العلم والفن ... كل ذلك سيزول . لكن الرسالة التى جاء بها يسوع والتى يكلف تلاميذه بأن ينقلوها إلى العالم لن تتغير أبدًا . وهذا معنى تلك الكلمة التى يفوه بها بسلطته الإلهية : « **السماء** (بمعنى الكون) **والأرض** يزولان ، **ولكن كلماتى لا تزول ولا تخطىء** .

(١٨) نهاية العالم ... متى ستكون ؟...

(لوقا ٢١: ٢٥ــ٢٨ و٣٤ــ٣٦، مرقس ١٣: ٢٤ــ٢٧ و٣٢، متى ٢٤: ٢٩ــ٣١ و٣٦، يوحنا ١٦: ٢١ــ٢٣)

إن رفاق يسوع يريدون إيضاحات . كم سنة سيدوم زمن الكنيسة ؟... **ماذا ستكون العلامات المبشرة بنهاية العالم ؟... فنهاية العالم ، متى ستكون ؟...**

عن العلامات المبشرة بنهاية العالم ، يجيب يسوع أنه يعرف جيدًا كل الأوصاف التى يعطونها فى زمنه **وفى الأسلوب الرؤوى** الذى له صور مرعبة مثل هذه : « **تظلم الشمس ويفقد القمر ضوءه ، يعج البحر بطريقة مخيفة وتتساقط النجوم من السماء** ... وبكلمة ، يحدث مثل رجوع إلى الفراغ . **وتزهق نفوس الناس من الخوف ويموتون رعبًا** . ولا يسع هذا العرض المأساوى إلا أن يصدمهم ويوقظهم ليدركوا الخطر الذى يتعرضون له ، وهو أن يفاجئهم الموت بعدما أضاعوا حياتهم .

لكن ، بالنسبة للتلاميذ ، فالوضع يختلف : **ليس على هذه الحوادث أن تؤثر فيهم** ، لأنهم يثقون فى عناية الله بهم . « **فى ذلك الزمان ، يقول لهم يسوع ، انتصبوا قيامًا وارفعوا رؤوسكم ، لأن خلاصكم قريب ... لابد لكم من أن تستقبلوا ابن الإنسان** (أى يسوع) **كمحرر** ، وليس خاصة كديان .

إن السؤال عن العلامات المبشرة بنهاية العالم قد طرحه رفاق يسوع بصورة غير سليمة . لأن هذه النهاية ليست تعاقب كوارث لابد لهم أن يتوقعوها ،

ولكنها مجيء شخص ، ورجوع ابن الإنسان ، أى رجوعه هو يسوع ، هذا ما عليهم أن ينتظروه ، متيقنين أن الله هو الذى يقرر بملء حرية « متى سيحدث ذلك ».

قد يكون خطأ على كل حال ألا نرى إلا الوجه المظلم والمرعب من نهاية العالم . يقدم يسوع رؤية تشرح الصدر لذلك العبور من عالم إلى آخر . فيعطى صور البرق المنفجر بالنور الذى يخترق الظلمات ويلمع من مكان إلى آخر فى السماء ... وشجرة التين التى تزهر بتجدد ربيعى يرجى منه كل خير ... والمرأة التى أخذها المخاض ولكن ، لفرحها بعد قليل بأنها قد ولدت إنسانًا جديدًا وحيًا فى العالم ، تنسى شدتها ».



إذ أن نهاية العالم ستكون أيضًا صباح عالم آخر . سوف يجتاح البشرية روح الله . فبدلاً من قرار لهلاك هذا العالم المادى يصدره الله ، يمكننا أن نثق بنضج لظهور عالم جديد . بعيدًا عن أن يتنبأوا بالشر ، تلاميذ يسوع يعرفون هذا : بما أن ابن الله قد حضر فى الجبلة البشرية ، فلا يمكن للجسد ولكل مادة العالم معه أن يهلكا فى العدم . لأن المسيح حاضر ومخفى فى الطبيعة وفى تاريخ البشرية ، وسوف يعلن عن مجيئه الثانى ، عندما يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته (٢ تى ٤: ١٠).

لا يزال معلقًا السؤال : « **متى سيحصل ذلك ؟** »

ويعلن يسوع : « **أما اليوم الذى ستتم فيه تلك الحوادث ، فما من أحد يعلمه ، حتى ولا أنا ، الابن . الله وحده يحتفظ بسره** ». يعلم يسوع أنه سيأتى لينهى التاريخ البشرى ، ولكن ليس عليه أن يبلغ زمن تلك النهاية .

لاجدوى من أن نكبّ على أنواع عديدة من الحسابات لنحدد زمن نهاية العالم ، مرتكزين على أرقام وردت فى الكتب المقدسة ، لا يجوز البتة أن نأخذ تلك الأرقام حرفيًا بسبب معناها الرمزى . كل الذين انصرفوا إلى هذه الحسابات خاب أملهم وسوف يخيب دائمًا . لا يُسمح البتة لتلميذ يسوع أن يقلق باحتمالات نهاية العالم : يعلم أن موته هو نهاية العالم بالنسبة إليه ، حيث يُتمم ملاقاته النهائية مع يسوع ربه . ويؤهل نفسه لذلك فى الخلوة مع نفسه والعمل . يعلم أيضًا أن فى نهاية التاريخ سوف يعود يسوع ليفتتح عالمًا جديدًا ، فيستغل الفرص التى يمنحها الله إياه ، ويعمل بكل قواه لخلاص إخوانه البشر .

(١٩) قبل الحشد العظيم لدينونة العالم ، يعلن يسوع مسبقًا أنه متضامن مع المساكين

(متى ٢٥: ٣١ــ٤٦)



أعلن يسوع مرارًا أنه هو والآب جوهر واحد . فى الزمن الذى شعر فيه

بأن أيامه على الأرض معدودة ، أراد أن يبرز « ربوبيته ». كابن الله ، هو ، بطريقة خاصة به ، ملك العالم . يمارس سلطته على كافة الخليقة وعلى مجمل التاريخ البشرى . فى نهاية هذا الحديث مع رفاقه ، الجالسين حوله على جبل الزيتون ، ومتأملين فى المدينة المقدسة المحاطة بهالة من أشعة شمس الغروب ، **ينطق يسوع بهذا الإعلان :**

« عندما يرجع ابن الإنسان (وهو يسوع) فى مجده ليسجل نهاية التاريخ البشرى ، سوف تواكبه جميع ملائكته ويجلس على عرش مجده . وعندئذ سيكون حشر كل البشرية العظيم وساعة الدينونة ».

يقول يسوع رسميًا :

عندما يحشر كل البشر أمام « ابن الإنسان » (المقصود به دائمًا يسوع بالذات)، **يفصل بعضهم عن بعض ، كما يفصل الراعى ، فى المساء ، حين رجوع القطيع ، النعاج عن الكباش** . لأنه إن اختلطت بينها فى المراعى أثناء النهار ، لابد من فصلها فى المساء ، خوفًا من أن البهائم الجموحة والضجّاجة تمنع الباقية عن تمضية ليلة هادئة ومريحة .

« هكذا سيكون حكمه »: سيقول للذين يستحقون ، الذين أثمر إيمانهم به فعملوا أعمالاً صالحة: « تعالوا ، ياأصدقاء أبى السماوى ، واشتركوا فى سعادة ملكوت الله . لأنى جعت فأطعمتمونى ، وعطشت فسقيتمونى ، وكنت غريبًا فآويتمونى فى منازلكم ، وعريانًا فكسوتمونى ، ومريضًا وسجينًا فزرتمونى »...

فيسأله هؤلاء : « متى ، يارب ، رأيناك فى حالات البؤس تلك وأتينا لنجدتك ؟

« فكما صنعتم ذلك للذى بين إخوتى البشر كان معدمًا ومحتاجًا أكثر من غيره فبى قد صنعتموه ».

ويقول للآخرين : « إليكم عنى أيها المنبوذين من الله !... لأنى جعت وعطشت ... كنت غريبًا ... عريانًا ... مريضًا ... سجينًا ... وما عنيتم بى ...

« فيسأله أولئك : متى رأيناك فى حالات البؤس تلك ولم نسرع إلى

نجدتك ؟»

يجيبهم : « كل مرة لم تصنعوا ذلك للذى بين إخوتى البشر كان محتاجًا لضروريات الحياة أكثر من غيره فبى لم تصنعوه ».

هنا يعطى يسوع قائمة أعمال خيرية : ليست إلا أمثلة بين غيرها من الأعمال . فلابد من الأخذ بعين الاعتبار المشاكل الكبيرة التى سوف يتخبط فيها العالم فى كل عصر : المجاعات ، حالة سوء تغذية مزمنة ، ظروف عمل غير إنسانية ، البطالة ، اضطهادات سياسية واقتصادية ، حروب من كل نوع تُزيد عدد التعساء والمساجين والمعذبين ... الكوارث ، الحوادث ، التلوث ، الكحول والمخدرات التى تكثر من عدد المرضى والمعاقين ... الخ .

أن يكون المرء قد عمل طوال حياته لراحة المعوزين والتعساء ، لتحرير المضطهدين ، لإزالة أسباب بؤسهم ... أو أن يكون قد عاش عيشة أنانية ، مهتمًا فقط بسعادة نفسه ، رافضًا أن يرى أو يسمع استغاثة جميع هؤلاء الفقراء والأشقياء ، دون أن يبالى بالمشاكل الكبيرة التى تهيج عالم عصره ... هذا ما سيكون حاسمًا يوم الدينونة .

لكن ما هو جديد ، بل ما هو مؤثر ، هو أن نسمع يسوع يعلن أنه هو الذى نلمسه فى شخص الفقير ، التعيس ، المريض ، المضطهد أو السجين ... فى الماضى كان من الممكن أن نقرأ فى الكتب المقدسة هذا المثل السائر : « من يقرض الفقراء يقرض الله » (من سفر الأمثال). **وكان يسوع ذاته قد قال يومًا : « من يقبل طفلا ، وهو من أدنى أشخاص المجتمع ، باسمى ، يقبلنى أنا ».**

بكل هذه الأقوال ، يؤكد يسوع أنه يوجد رباط تضامن بينه وبين أكثر الناس فقرًا وعوزًا . حقًا ليس المقصود محض مطابقة : فالتعيس ليس يسوع ، هذا أمر بديهى . ولكن ، لكونه أتى فى عالمنا ، وجعل ذاته واحدًا منا ، ينتمى يسوع إلى جنسنا . كل إنسان يذكّر بالإنسان الذى كانه يسوع . فهو يختفى بطريقة ما تحت كل وجه. كل كائن بشرى يمكننا أن نقابل فيه يسوع ، وبالتالى نقابل الله . حب القريب يوافى حب الله . هكذا لم يرض الله أن يبقى شخصية صعبة المنال أو مخفيًا فى هيكل بطريقة سرية بل يضع يسوع ذاته

فى متناول جميع من لا يعرفونه ، لأن الإنجيل لم يصل إليهم بعد . وهؤلاء أيضًا يقابلونه بطريقة ما فى إخوانهم البشر ... ولكن إذا كان لله هيكل مفضل فهو الإنسانية المعذبة : هو يسكن الجوع ومدينة الأكواخ ، يعانى المرض والعزلة ، العمل غير الإنسانى ، البطالة ، الاضطهاد الشمولى ومعسكر الاعتقال ... "

سوف يحكم للبشر بموجب الحب العملى الذى يكونون قد أظهروه للتعساء والمهملين والمضطهدين . وذلك بدافع إيمانهم أولاً بيسوع المخلّص الذى ليس بأحد غيره الخلاص .

(٢٠) الحياة مع الله التى هى « الحياة الأبدية » والنبذ بعيدًا عن الله الذى يسمى « جهنم » (النار الأبدية)

(متى ٢٥:٣٤ و٤١ و٤٦ — متى ٢٢: ١١—١٤)

يختم يسوع حديثه عن دينونة البشرية العامة بقوله :

إن الذين يُحكم لهم أنهم جديرون بالله ، سوف يرثون ملكوت الله ... يذهبون إلى « الحياة الأبدية ». أما الخطاة الذين رفضوا رسالة المسيح ، فسوف يقول لهم : « إليكم عنى ، أيها الملاعين ، إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته « فيذهبون إلى العذاب الأبدى ».

«الحياة » التى يتكلم عنها يسوع هى الحياة مع الله ، التى تسمَّى أيضًا « الحياة الأبدية »، لأنه ليس لها نهاية بما أنها اتحاد مع الكائن الأعظم ... ماذا ستكون هذه الحياة ؟ من العبث أن نريد وصف أفراحها ونترك مخيلتنا تطرّز قصة دون داعٍ . لأن يسوع ذاته لم يكشف عنها القناع إلا بكثير من التحفظ ... هل يمكن لدودة الفراشة التى تزحف على الأرض أن تفهم الحياة التى ستحياها عندما تكون فراشة ذات أجنحة متعددة الألوان وساطعة تحت الشمس ؟... إن عالم الله هو حقيقة تفوقنا .

هذه الحياة مع الله تسمى أيضًا « الملكوت » أو ما يسميه العامة الجنة . فالجنة التى وعدنا بها يسوع لا تمت بأية صلة إلى سماء رواد الفضاء . « الجنة » فى الدين هى صحبة الله الذى يملأ بوجوده الأكوان . فعبثًا نحدد لها مكانًا

فى مجرّات التبانة . هى حيث يوجد الله .

فى الحياة الأبدية سيتجمع أصدقاء الله . سوف نتلاقى مع جميع الذين أحببناهم . إن روابط المحبة التى نسجناها على الأرض والمطابقة لخطة الله لن تتحطم ، بل بالعكس ، سوف تتقدس وتتحول إلى صداقة فائقة الطبيعة .



يتخيل البعض أن الحياة مع الله تشبه حياة خالدة حيث تتلى صلوات .. اتخذ يسوع ، عندما ذكرها ، صورة حفلة ، وليمة كبيرة ، عرس يترك فيه جانبًا كل المدعوين همومهم ليستسلموا تمامًا للفرح ... أو أيضًا صورة الكتاب المقدس وهى صورة « الفردوس »، هذا البستان والمنمق بطريقة رائعة حيث الإنسان يكون مع الله ويرى كل الكائنات المختلفة عنا كل الاختلاف والتى تسمى الملائكة ...

وقصارى القول ، إن « الجنة » فى الدين هى حيث يوجد الله ، وهى الحياة مع الله .

وقد تكلم يسوع على النبذ النهائى الذى لحق بالذين تصلبوا فى الشر واستعان لذلك بمثل قصير : فسرد هذه القصة :

كان ملك قد أولم فى عرس ابنه وليمة . فلما دخل ليسلم على المدعوين لاحظ أن رجلاً ليس عليه بزة العرس . وكان هذا غير مقبول ، نظرًا إذ أنه ، عادة ، كان يوضع تحت تصرف الأقل غنى جلباب موشّى ليشترك م الداخلين إلى الأفراح .



ولم يكن على هذا الذى ليس عليه بزة العرس إلا أن يرتدى أحد هذه الجلاليب فى غرفة ثياب المدخل . لكنه أصر على أن يبقى بلباسه المهمل ، ولم يكن هذا قلة ذوق فحسب ، لكنهْ تحد . واعتبره الملك هكذا . كان يريد هذا الشخص أن يستنفر المشاهدين مهما كلف الأمر . **فسأله الملك : « ياصديقى كيف دخلت إلى هنا ، وليس عليك بزة العرس ؟... لكنه شعر بأنه أُخذ على غرة وأن لعبته مكشوفة ، فأطرق ولم يتكلم . وعليه قال الملك للخدم : « أقبضوا على هذا الشخص ، شدوا يديه ورجليه إن لزم الأمر ، واطردوه . قد هبط الليل ، ولكن ماذا يهم ذلك ، سوف يمكنه فى الظلام أن يبكى غيظًا ويصر بأسنانه . هذا ما يستحقه من مصير ».**

إن هذه العبارة لمرعبة : « أن نرمى خارجًا ، فى الظلمات ». ويعنى ذلك أنه ليس لنا حق المواطنين ، حق الإقامة حيث وُجدنا لنحيا ، وأننا فقدنا ،

خسرنا ، خرّبنا حياتنا بدون رجعة . وحينذاك يبكى الإنسان غيظًا ، ويصر بأسنانه لفكرة أنه كان يجب أن يكون فى قاعة الوليمة التى تشع بنور السعادة .

يصعب على عدد لا بأس به من الناس أن يؤمنوا بالجحيم ... وكذلك بالشيطان ـــ الذى سمَّاه مع ذلك يسوع : « سيد هذا العالم »ـــ بالطبع قد يكون إنكار وجود الجحيم والشيطان أمرًا أكثر راحة من الإيمان بهما . أو ، إذا آمن شخص بالله ، يعتبر أنه طيب للغاية إلى حد أنه لن يسمح بهلاك أحد .

فى الحقيقة ، لا يغتصب الله قط حرية الإنسان ، التى تكوّن عظمته وكرامته . والحال أن الإنسان لا يشعر بأنه حر إلا إذا كان فى مواجهة الله ، يمكنه أن يرفض له حبه . وتظهر هنا سمة للوجود ، مقدسة ومحفوفة بالمخاطر ، فلقد أعطى الله الإنسان حريته فى قبول الإنسان أو رفضه . وإذا أحب الله شيئًا فى الإنسان ، فهو ذواتهم الفطرية ، أى الشخصية الأصلية والبديعة التى كان سبق أن خلقهم عليها « على صورته ومثاله » ولكن لا يسع الله إلا أن يكره ما أصبحه الهالكون ، ويسخط على هذا الانتحار . ويأسف كأب يرى ابنه يسعى إلى هلاك نفسه ، لا يسعه إلا أن يقول : « أنا لا أعرفكم ... أصبحتم بالنسبة إلىّ أشخاصًا مجهولين »...



لابد من أن نتجنب اعتبار الذين نظنهم مذنبين كبيرين محكومًا عليهم بالجحيم . فالحكم لله وحده . هو يعرف ما فى داخل الإنسان : جانب الضعف وجاذبية الشر ، حالات الوراثة الثقيلة والكفاح الذى لابد من أن يقدم عليه

الشخص فى مجتمع ينضح الشر ، تأثير أوساط الحياة التى يحيا فيها الإنسان ومن جهة أخرى جانب الحرية والمسئولية الذى يتبقى ، والذى يكون غالبًا ضئيلاً .



لا جدوى من أن نعصر فكرنا لنعرف إذا كان عدد الهالكين كبيرًا . المهم هو أن نعرف أن من يهلك يهلك بسبب تصرفه الشخصى و لم يهلك الهالكون بسبب ضعفهم ، أو غبائهم أو عدم ثقافتهم ، لكن بسبب إساءتهم واحتقارهم لله ولإخوانهم البشر .

لابد من أن نكون يقظين : هذا معنى عدة أحاديث ليسوع وعدد لا بأس به من أمثاله ... وأن نخشى أن نُطرد خارجًا . فالمصيبة الواحدة التى لا تتدارك ، هى أن نجد أنفسنا يوما ما بدون ندامة على تعاسة حياتنا أمام وجه الله الذى يسامح ويغفر .

(٢١) عيد الفصح فى أورشليم

نحن فى زمن الفصح . فى عصر يسوع وفى بلده ، كان عيد الفصح أهم أعياد السنة . يتسم بطابع عيد قومى بما أنه يسجل ذكرى الخلاص من العبودية. وبما أن مبرر وجود الشعب العبرى أو اليهودى كان رسالته الروحية فى تاريخ البشرية ، كان عيد الفصح عيدًا دينيًا بهذا المعنى .

كان هذا العيد يقع دائمًا فى شهر نيسان ، حسب تسمية أول شهر فى الربيع الذى يبدأ مع قمر شهر مارس لدينا وينتهى مع قمر شهر أبريل . فى تلك الأيام ، « تقرب ذبيحة الفصح »... وكان هذا تعبيرًا مكرسًا لهذه المناسبة . كانت أنذاك كل أسرة تحصل على حمل ابن سنة ، لا عيب فيه ، وتقوده إلى الهيكل لتقدمه كذبيحة . فى مقدم المعبد ، فى الفناء المخصص لذلك ، حيث مئات من الكهنة واللاويين يقومون بذبح هذه الحملان التى كانت تقدم بالآلاف . وكان دمها يجمع فى طسوت من فضة ويسكب فى أسفل المذبح الكبير المنصوب فى الفناء . وكان الحمل يقطع بعد ذلك ، فى احتراس ، خوفًا من أن يكسر أحد عظامه . وحينذاك كان ربُّ كل أسرة يذهب به إلى منزله ، ملفوفًا فى جلده . وبقليل من دمه يضع علامة على مدخل بيته لذكرى الطقس الذى قام به أجداده العبرانيون ليلة خروجهم من مصر فى زمن موسى . ثم تجرى وجبة الفصح التى كانت أعظم وجبة طقسية ، مقدسة ، احتفالية وسعيدة من وجبات السنة .

وجاء اليوم الذى قرر يسوع أن يأكل فيه وجبة الفصح مع رسله الاثنى عشر ، أى أصدقائه الاثنى عشر الحميمين الذين أشركهم فى عمله . فاتجه إلى اثنين منهم ، بطرس ويوحنا :

أكلفكما أن تذهبا وتعدا لنا الفصح هذا المساء .

« **لكن ، عند من تريد أن نذهب ؟**... أية قاعة احتجزت فى أورشليم ؟»

يوضح لهما يسوع علامات تساعدهما على معرفة هذا البيت ...

عند وصولهما إلى البيت توجها إلى صاحب المسكن ، الذى كان فى الغالب صديق ليسوع أو واحدًا من المعجبين به . فاستقبلهما استقبالاً حسنًا وقادهما

إلى السطح حيث وضع تحت تصرفهما قاعة جميلة وواسعة . ورتب الدواوين التى يمكن أن يتمدد المدعوون عليها حول منضدة صغيرة فى الوسط . ووضع على الدواوين الوسائد التى تسند النصف الأعلى من الأجسام والمرافق . لأنه فى المناسبات الكبيرة تسمح العادة بتناول الطعام على الطريقة الشرقية ، أى بالتمدد على دواوين والاستناد على المرفق الأيسر وبمد اليد اليمنى إلى الأطباق الموضوعة على المنضدة الصغيرة التى فى وسط القاعة .

وذهب الرسولان لشراء حمل وقاداه إلى الهيكل لذبحه وتقديمه . ورجعا به إلى البيت وشوياه . وتزودا أيضًا بفطائر خبز بدون خمير . وطلبا تحضير سلطة ممزوجة بأعشاب مرة : من خس وبقدونس وحرف الخ ... وكذلك صلصة مركبة من بلح وتين وعنب مسحوقة فى قليل من الخل . ذلك ليرمز إلى الآلام التى احتملها الأجداد قديمًا فى مصر ، خاصة هذه الصلصة ذات المظهر المحمر الذى يذكر بالتربة الحمراء التى كوّن بها العبيد المساكين ملايين من القراميد المستعملة فى الأبنية المصرية . كل شيء مرتب هكذا حسب التقليد والعادة . وتكمل الوجبة الفصحية بأشكال مختلفة ووافرة من الطعام والخمر . وهكذا تبشر هذه الوليمة بأن تكون فى نفس الوقت أكثر ولائم السنة بهجة وفرحًا .

(٢٢) مركز وتسلط أم خدمة ؟

(لوقا ٢٢: ٢٤ــ٢٧، يوحنا ١٣: ١ــ١٧)

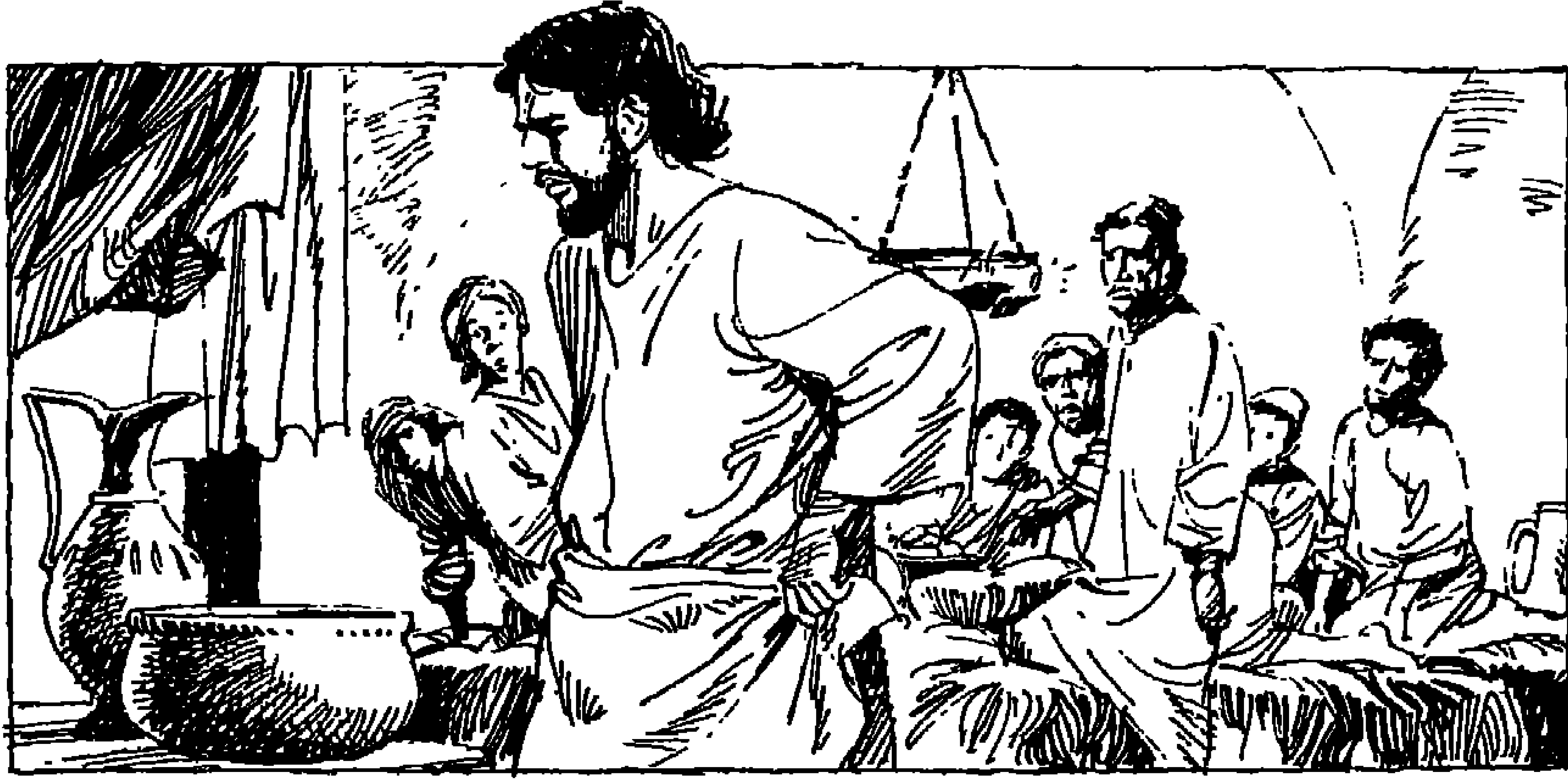
ذهب يسوع إلى البيت الذى تكلم عليه من رفاقه الحميمين الاثنى عشر . وكان قد قرب الليل . فأمكنهم أن يجازفوا بدخول المدينة دون أن يلاحظهم الناس . إن جمهور الحجاج يزدحم فى الشوارع : ويسرع الجميع ليهتدوا إلى البيت حيث تنتظرهم وجبة الفصح . يتنفس الرفاق فرحًا : كانوا يظنون أن شرطة كبار الكهنة تتربص بهم ، ولكن لا . كل شيء على ما يرام .

كل من الرفاق يفهم أهمية الأزمنة التى سيحياها : فكانوا يتسابقون لشغل الأماكن الأولى حول المعلم . **وها هو جدال يقع بينهم فى من يعدون الأوائل فى المقام وفيمن لهم الصدارة ... إلا أنه ألزمهم ، قبل الجلوس على المائدة ،**

لإجراء تطهير طقسى يقام على غسل اليد اليمنى على الأقل قبل أن يمدوها إلى طباق الطعام .

ينتهز **يسوع** الفرصة ليعطى تلاميذه المغرورين مثالاً واضحًا فى المحبة والتواضع .

فقام عن العشاء وخلع رداءه . فى ركن من أركان القاعة كان هناك طست وجرة ماء ومنشفة للإغتسال . فاتّذر بالمنشفة، وأخذ الطست بيد والجرة باليد الأخرى . وصب ماء فى الطست ، وأخذ على نفسه أن يغسل أقدام رفاقه ويمسحها بالمنشفة التى اتزر بها .



هكذا أراد يسوع أن يتواضع إلى أبعد مدى ويقوم بدور العبد ، بل عبدًا من غير اليهود التى تليق على الأكثر بالعبيد ، شرط ألا يكونوا من نسل يهودى لأنه لم يرض يهودى قط أن يغسل أرجل مدعويه ... بهذا العمل وهذا الوضع (لأنه ركع أمام رفاقه)، أظهر يسوع أنه قدم حياته هبة للآخرين .

وبدأ يسوع ببطرس ، المتكلم المقدام بين الجماعة . ركع على الأرض ، وحط طسته وقام بحركة ، أخذ رجلى رسوله . **فرفض بطرس وسحب رجليه :**

« كيف يايسوع !... أأنت تغسل قدمى أنا !...»

« أنت الآن لا تفهم ما أنا فاعل ، ولكنك ستدركه بعد حين ».

« لا لا ، لن تغسل قدمى ... هذا لن يكون »



لا يستسيغ بطرس هذا الوضع ، لأنه ، بالنسبة إليه ، هو المسيح ، والمسيح فى نظره ، لا يجب أن ينزل إلى درجة خدمة عبد . لكن **يسوع يجيبه** :

« إن لم تذعن لى ، لن يكون بيننا أمر مشترك ».

بعبارة أخرى : « لن تشاركنى حياتى ، ولا تبقى صديقى . إزاء إعلان مثل هذا ، **يندفع بطرس إلى الطرف الآخر** : إن احتمال فراق بينه وبين يسوع أمر لا يُطاق . إنه يخشى فقدان يسوع أكثر مما يراه ينزل إلى أن يغسل له رجليه .



« فى هذه الحال ، اغسل لى ليس رجلىّ بل أيضًا يدىّ ورأسى ».

« من اغتسل لا يحتاج إلا إلى غسل رجليه حتى يكون كله طاهرًا . وأنتم الآن أطهار ، لكن لستم كلكم ».

(بهذا الاستثناء ، يظهر يسوع أنه كان يعرف من سيسلمه).

نتخيل المشهد بسهولة : يمر يسوع من واحد إلى آخر من رفاقه الجالسين على الدواوين ، يمدون له أرجلهم لهذا الإغتسال غير المنتظر ... يشعر يهوذا

بأن يسوع قد استشف فكرته ، ولكنه يتركه يأتى إليه ، جاثيًا فى الغالب على ركبتيه مثل أحقر العبيد ، فيغسل رجليه . هل فهم التنبيه ؟ من المحتمل ، ولكنه ثار على الكلام ، وتصلب حتى لا يكشف عن نفسه ... أمام هذا البرهان من الحب ، كان حَرِيًا به أن ينفجر بالبكاء ؟ لكنه بقى عديم الحس .

لما أتم يسوع عمله ، لبس رداءه وتمدد ثانية فى مكانه على الدواوين حول المنضدة :

«أفهمتم ما صنعت لكم ؟... هيا ! من هو الأعلى مقامًا : الجالس أمام المنضدة أم الذى يخدم ؟ هو الذى يأكل على المنضدة ، أليس كذلك ؟... وها أنا بينكم مثل الذى يخدم . آه أنتم تدعوننى « معلمًا وربًا »، وأصبتم فيما تقولون ، فهكذا أنا . فإذا كنت أنا الرب والمعلم قد غسلت أقدامكم ، فيجب عليكم أنتم أيضًا أن يغسل بعضكم أقدام بعض . فقد جعلت لكم من نفسى قدوة لتصنعوا ما صنعت إليكم . تذكروا أن العبدِ ليس أعظم كرامة من سيده ، ولا الرسول أعظم من مرسله ... أيضًا أقول لكم : إن ملوك الأمم يجعلون أنفسهم الكبار فوق رعاياهم ، وأصحاب السلطة يريدون أن ندعوهم قادة البشرية و« آباء الشعب »... أما أنتم فلا تتصرفوا مثلهم بل بالعكس ، الأعلى فيكم مقامًا ليتصرف كأنه الأصغر . والرئيس كأنه الخادم ... قد علمتم الآن هذا . ونعم الأمر لكم إن أخذتموه بعين الاعتبار .

هل فهم بطرس والآخرون الدرس واستوعبوه جيدًا ؟... ظلوا مذهولين . فبالنسبة لهم ، وهم الذين لديهم فكرة عظيمة عن المسيح ، هذا المفهوم العكسى قلب القيم ، ثورة لا سابق لها ... وفيما بعد سيتحققون أكثر أنهم عاشوا مع الله فى شخص يسوع ، كذلك حين يتذكرون أنه فى يوم ما ركع على ركبتيه أمامهم ليغسل أقدامهم ، يملأهم الخجل . لكن حينذاك سوف يفهمون أن سلطتهم سوف لا تكون لزامًا سلطة مكانة وسيطرة ولكن سلطة خدمة .

(٢٣) الخائن جالس على المائدة بين المدعوين

(يوحنا ١٣: ٢١ــ٣٠، متى ٢٦: ٢٠ــ٢٥)



كانت مقدمة وجبة الفصح لابد من أن تنقضى فى جو توتر وقلق تعبر عنه الحركات والتصرفات والأطعمة. فسلطة الأعشاب المرة، الممزوجة بالصلصة ذات المظهر الأحمر، مخللة، وبكؤوس ماء مالح، كانت تذكر بالعبودية فى مصر، والدموع التى ذرفها الشعب فى صمت خشوعى كان المدعوون يغمسون لقم السلطة فى الصلصة ويمضغونها ببطء، متفكرين ومتأملين فى ذكرى مرارة سنوات العبودية التى عاشوها فى أشخاص أجدادهم الذين تسلط عليهم الفراعنة.



بدا يسوع وكأنه فى حالة قلق ... تقلص وجهه تحت تأثير حزن عميق . إنه يفكر فى الخائن ... خاصة وأن وجوده هنا بجانبه قريبًا منه سبب له ألمًا لا يُطاق . **ولا يمكنه أن يمتنع عن القول بحزن عميق :**

« **وا أسفاه ! الحق أقول لكم : إن واحدًا منكم سيسلمنى ... نعم إنى أؤكد : إن واحدًا منكم أنتم الذين تأكلون معى ، واحدًا منكم الذى يتناول مثلى من الطعام على هذه المائدة** (كانوا يأكلون معًا ، كل واحد يأخذ حصته من الطبق المشترك)... **لا أتكلم عليكم جميعًا ، إنى أعرفكم كلكم ، ولكن ذلك لإتمام كلمة الكتب المقدسة هذه : « حتى الصديق الذى كنت أثق به والذى يشترك معى فى الوجبة ، انقلب علىّ ».**

سقط إعلان مثل هذا كتعنيف ثلجى ... فتوقف الجميع عن الأكل ، مذهولين : وعم الانهيار . **استولى على الرفاق الاثنى عشر حزن شديد ، وتبادلوا النظرات وتساءلوا :**

« **على من يتكلم ؟**... من هو المجرم الذى يجرؤ على ...؟

وتابع يسوع :

« فابن الإنسان ماضٍ إلى الموت ، كما هو مكتوب . ولكن كم هو مؤسف للذى يسلمه . فلو لم يولد لكان خيرًا له ».



لا يتمنى يسوع الشر ، فهو الذى طلب أن نحب أعداءنا ونغفر لجلادينا ، لكنه يكتشف بكآبة حالة نفس الذى صمم على أن يسلمه ، ويوجه إليه دعوة أخيرة .

كما أن الاثنى عشر يعلمون أن كلمة من يسوع يثقون فيها أكثر من اليقين الذى هم عليه من أنفسهم . **طرح كل**

واحد منهم السؤال على يسوع :

آمل ألا أكون أنا الذى تقصده بقولك .

ويهوذا فعل بالمثل لكى لا يفضح نفسه بسكوته . وعليه يجيبه يسوع بصوت خافت برقة شعور تامة وحتى لا يسمعه إلا هو :

« لم أحملك على القول : أنت الذى قلت »



ومع ذلك لا يزال جميعهم يحدقون بعضهم إلى بعض بفزع : يوجد خائن بينهم !... فى فيض الأسئلة والاحتجاجات الساخطة ، لم يتمكن بطرس أن يكشف الحقيقة . التى كان يرغب فى معرفتها مهما كلفه الأمر . لعل فى إمكانه أن يوقف المؤامرة قبل حدوثها ... فأشار إلى يوحنا الذى كان بجانب يسوع :

« حاول أن تسأله من يعنى بقوله ».

كما شرحنا من قبل ، كان المدعوون يتناولون الوجبة الفصحية متمددين على حصر أو دواوين ، مثل ما يحدث فى الظروف الهامة ، لتمييز الأحرار من العبيد الذين كانوا يأكلون قيامًا . كان المدعوون هنا متمددين ، رؤوسهم قريبة بعضها من بعض حول المائدة . ويوحنا ، متمددًا فى الغالب بجانب يسوع الأيمن ، ليس عليه إلا أن ينحنى قليلاً إلى الوراء ، يميل برأسه على صدر يسوع ويحصل منه على سر . فتجاسر على طرح السؤال ليعرف السر :

« يايسوع ، قل لى من هو ».

واستعد يسوع لأن يبوح بالسر لتلميذه المحبوب ، حتى يمكنه أن يؤكد فى المستقبل أن معلمه علم بوضوح منذ زمن طويل ما فى نفس يهوذا :

« هو الذى أناوله اللقمة التى أغمسها فى الصلصة ».



بحسب العادات الشرقية ، اعتاد رئيس المائدة الذى يريد أن يكرم أحد مدعويه ، أن يغمس لقمة فى الصلصة ويضعها فى فمه . وبالنسبة ليهوذا ، كانت هذه الحركة حركة رقة شعور ودعوة أخيرة . ونفهم هنا قيمة كل إنسان .. حتى يتجاوب يسوع هكذا معه إلى أقصى حد من الحب .



قبل يهوذا اللقمة ، لكنه انطوى على نفسه فى قلبه المظلم . بدأ كفاح بين يسوع والشيطان بشأن نفس . ولكن يهوذا ، مخطئًا فى استعمال حريته يستسلم للإيحاء الشيطانى . **ويمكننا أن نقول حقًا إنه فى تلك اللحظة دخل الشيطان جديًا فى قلب يهوذا** .

أحس **يسوع** بنتيجة هذه المأساة . وكانت كلمته الأخيرة كلمة الصديق الذى امتلأت نفسه بالأسى . **فالتفت إلى يهوذا** : « **أرجوك : إفعل ما قصدت أن تفعله ولا تبطىء** ».

فلم يفهم أحد هذا التلميح ولا ما هو مقصود به . لأن يهوذا كان مؤتمنًا

على صندوق دراهم فريق الرسل ، وقد يظن كل واحد أن يسوع يرسله لدفع ثمن الوجبة أو لإعطاء الفقراء شيئًا ، كما كانت العادة . وكان من التقليد ألا يحرم أى فقير من فقراء أورشليم فى ذلك المساء من فرحة وجبة الفصح السنوية ولا من الأربعة كؤوس الخمر المعتادة . ونتصور بسهولة أن المتسولين لم يتغيبوا عن الحضور فى الشوارع ذاك المساء .



خرج يهوذا من وقته ... رأوه يفتح الباب ... ويتوارى فى ظلام الليل .

(٢٤) هذا الخبز هو جسدى الذى يبذل من أجلكم هذا الخمر هو دمى الذى يراق من أجل الجميع

(لوقا ٢٢: ١٩ــ٢٠، مرقس ١٤: ٢٢ــ٢٣، متى ٢٦: ٢٦ــ٢٧)

تبدأ حينذاك الوجبة المهمة ، بالحمل الفصحى والخبز بدون خمير . كان من واجب رب الأسرة أو المسئول عن المائدة ، حسب الأحوال ، أن يذكر معنى هذه الوجبة ومدلول الأطعمة . لأنه كان فى الواقع لابد من أن تعاش من جديد ، فى قرارة النفس ، الوجبة التى أخذها الأجداد العبرانيون على عجل فى ليلة التحرير المشهورة ، والذين كانوا ينتظرون علامة موسى للخروج العظيم نحو أرض الميعاد (فلسطين). وليسمح لرب الأسرة أو للمسئول عن المائدة

أن يقوم بتقديم تأمُّل فِصْحِى يسمونه « هجادة »، كانوا يحثون الأطفال أو أصغر المدعوين على أن يطرحوا أسئلة . كان هذا الطقس مقدسًا وضروريًا . وهو ما يمكننا تسميته : تعليمًا دينيًا عمليًا يقوم به الآباء نحو أولادهم والمسنون نحو الصغار .



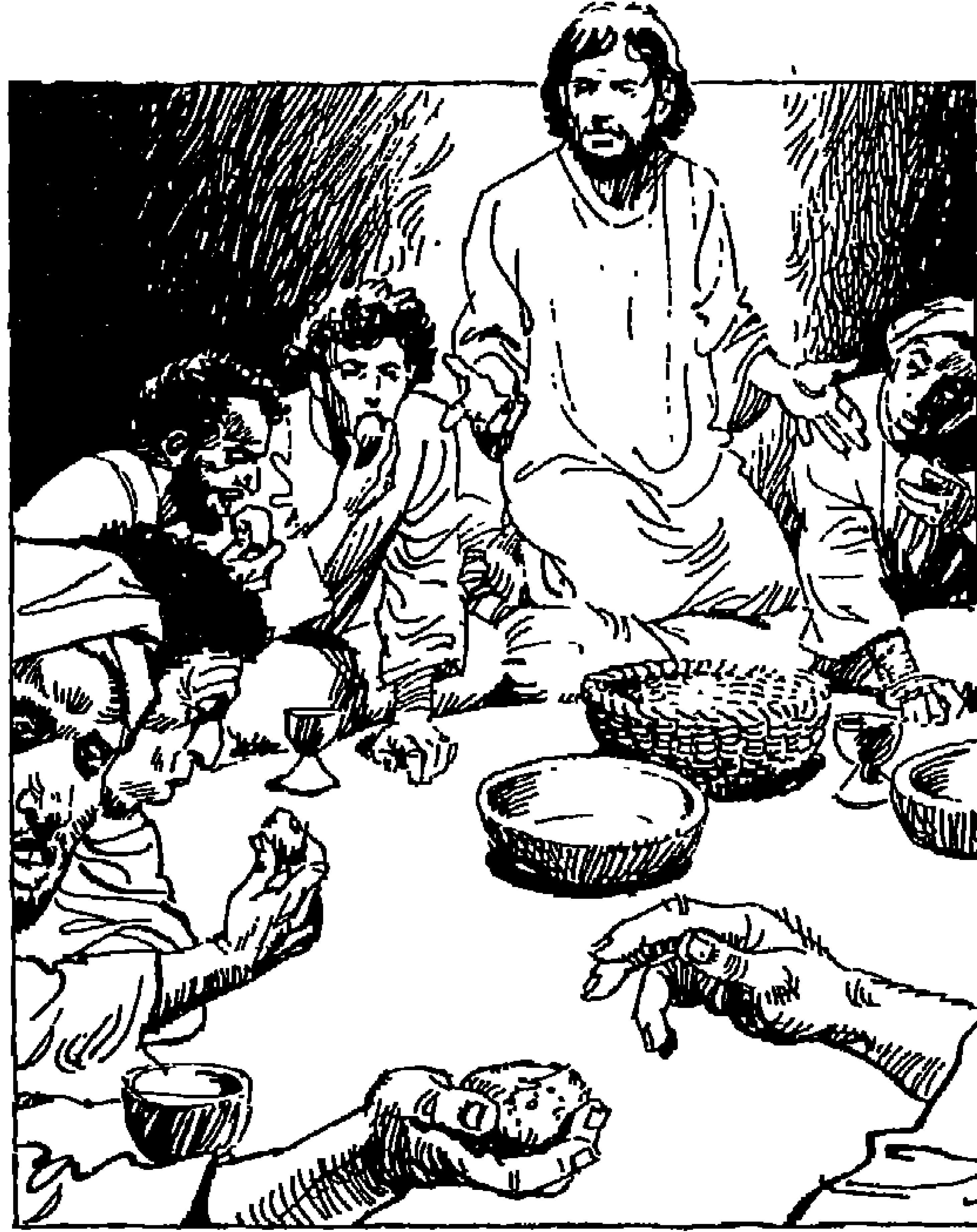
ويسوع ، فى تلك اللحظة ، يقوم هو أيضًا بـ « هجادة » لرفاقه . ليس لدينا نص هذا التعليم ، ولكن يمكننا أن نفكر بصواب بأنه يهيئهم لادراك ما سوف يأتى . المفروض على تلميذه أن يحيا تحرير الفصح بمعنى أنه تحرير من عبودية الخطيئة ، التى هى أسوأ كل العبوديات ومصدرها ... وحمل الفصح هو صورة رسول الله ، أو عبد الرب الذى تكلم عليه النبى إشعياء ، والذى يحمل خطايا البشر ويضحى بحياته من أجلهم ... الخمير القديم الذى يطرح خارج المنازل والذى يمثل الشر الذى يختمر فى عمق القلوب ، بينما العجين

الجديد ، والخبز الفطير ، هما رمز البشرية المجددة ، المخلوقة ثانية ..

وكان هذا القسم ، وهو أهم قسم من وجبة الفصح المقدسة ، محاطًا ببركتين وبعروض احتفالية ، فى جميع الوجبات ذات الطابع الطقسى والدينى ، إذن بالأحرى فى الوجبة الفصحية ، أن تقام بركة الخبز الذى يقسمه رب العائلة أو المسئول عن المائدة ويوزعه على كل مدعو . وفى نهاية الوجبة تقدم بركة الشكر على كأس الخمر الذى يجعله متداولاً . كانت هاتان البركتان وحركات التوزيع تقيم وحدة مائدة بين المدعوين . وفى الواقع ، كان هؤلاء يشتركون بجوابهم « آمين » (كلمة تعنى لمن يفوه بها «أنا موافق ») فى البركات بموجب أكلهم حصتهم من الخبز المجزأ وشربهم من نفس الكأس . وكانت هذه الوجبات تحافظ على رجاء الوجبات القادمة التى يترأسها المسيح الذى كانوا يتوقعون مجيئه . وهكذا كان من السهل أن تتحول وحدة المائدة هذه إلى وحدة صلاة .

يجدر بنا أن نجد هنا بداية ما نسميه « تأسيس الأفخارستيا ».

قام **يسوع** كرئيس المائدة من تمدده على الديوان **وأخذ رغيفًا من خبز فطير**



(أى بدون خمير) **وتلا على هذا الخبز بصلاة البركة** ، من هذا النوع : « كن مباركًا ، أنت الأزلى ، ملك الكون ، الذى تُخرج الخبز من الأرض ». ويردد الرفاق : « آمين ». **وعندئذ ، كَسَر أى قطع الرغيف** (الذى كان فى الغالب يشبه فطيرة محلاة)، **واقتطع منه قطعًا لكل واحد قطعة ووزعها . ولكنه أضاف** هذه الكلمات المؤثرة للغاية التى تعطى معنى جديدًا للخبز المقسم :

« **خذوا كلوا : هذا الخبز هو جسدى الذى يبذل من أجلكم ... افعلوا هذا لذكرى** ».

فى نهاية الوجبة ، قام **يسوع** من جديد ، كرئيس المائدة ، من تمدده على ديوان **وأخذ كأس الخمر الأخيرة** ورفعها قليلا فوق المنضدة **وقال** ، وهو ينظر إليها **بصلاة الشكر** التى كانت فى عصره من هذا النوع : « لنسبحك ياإلهنا الذى تؤمّن لنا معيشتنا ... نشكرك على كل النعم التى غمرت بها شعبك خلال تاريخه ، ونتضرع إليك أن ترحمه ». ويجيب الرسل : « آمين » ليكن مسبحًا من أجل الوجبة التى تناولناها توا ».



وعندئذ **يعطى يسوع الكأس للتداول دون أن يشرب هو منها ، وهو يفوه بهذه الكلمات** المؤثرة للغاية والتى تعطى وجبة الفصح معنًى جديدًا :

« خذوا واشربوا منها كلكم . هذه الخمر هي دمي الذي يراق من أجل جماعة كثيرة من البشر ، كنتيجة العهد الجديد بين الله والبشرية . **ستصنعون هذا لذكرى ».**



ويسوع ، بصفته رئيس المائدة ، يبدأ بإنشاد القسم الثاني من نشيد « التسبيح »: (سبحوا الله ، لأن حبه إلى الأبد) الذي ينهي وجبة الفصح .

هكذا يجعل يسوع من الوجبة الفصحية هذه وجبة وداعه ، ويعطيها معنى جديدًا . لأنه يحيا موته في حضرة رفاقه . ويمكن القول إنه من الآن في حالة ذبيحة : ذهب يهوذا يخونه ويسلمه ، وجميع من اشتركوا في اعتقاله والحكم عليه وتعذيبه وإعدامه هم في مكانهم الآن ، مصممين على العمل . ومن خلالهم كل الشر وكل خطايا البشرية هي التي تقتل ابن الله . ويسوع ، الذي يقبل أن ترهقه جميع هذه الخطايا ، هو الحمل الفصحي الحقيقي . في هذه الوجبة ، هو في حقيقته الضحية المقدمة : يمكنه أن يقول : « جسدي الذي يبذل ودمي الذي يراق ».

وأخيرًا ، يقول يسوع لرسله : « ستصنعون هذا لذكرى »... لم تكن الجرأة فيما بعد لدى تلاميذ يسوع أن يكرروا كلماته وحركاته على الخبز والخمر ، إذا لما كان قد قال لهم بصراحة أن يفعلوه لذكره . سوف يفهمون بعد قليل أن هذا الحادث الذي عاشوه معه في ذلك المساء لابد من أن يعاش من جديد ودائمًا ، وأن يعيشه كل منا في الساعة التي يقيم فيها هذه الذكرى الغالية . ولابد من أن يوضع تحت تصرف الجميع وفي كل مكان من هذا

العالم الأرضى . سوف يسمونه خدمة « كسر الخبز » أو « العشاء الربانى » وتسميه الكنائس التقليدية « خدمة القداس ».

(٢٥) المناجاة الأخيرة

(يوحنا ١٥: ١ـــ١٤)

على ضوء مصابيح الزيت المعلقة فى السقف ، بعد انتهاء وجبة الفصح ، **أراد يسوع أن يقدم توصياته الأخيرة إلى رفاقه :**



«المهم أن تظلوا فى اتحاد حيوى معى . سوف ألجأ إلى مقارنة : أنا كالكرمة الحقيقية ، الكرمة التى تحمل العصارة وتعطى الحياة ، وأنتم كالأغصان ، أو الفروع . أبى كالكرّام . عندما يجد غصنًا لا يثمر يقطعه ، ولكن الغصن الذى يراه يثمر يقضّبه ، يطرح منه الأقسام غير النافعة التى تمتص الكثير من العصارة اللازمة ، **حتى يجعل الإثمار أكثر جمالاً** ونضرة بالشمس . **أنتم من الآن مقضبون مقلمون ، مختبرون ، مطهّرون من ميولكم السيئة ، لأنكم علقتم أهمية على تعليمى . فاستمروا فى اتحادكم بى كما أنا لا أزال متحدًا بكم** . الكرمة وأغصانها لا تكوّن إلا شيئًا واحدًا ... **إن الغصن لا يثمر إن لم يبق متحدًا بالكرمة . أنتم بالمثل ، إن انفصلتم عنى لا يمكنكم أن تعملوا شيئًا . الغصن المقطوع يرميه الكرّام خارج الكرمة ، فييبس . وآنذاك يعمل الكرّام ربطة عيدان من الأغصان المقطوعة واليابسة ويلقى بها فى النار ... يتعلق الأمر برغبة أبى أن تثمروا ثمرًا كثيرًا .**

« عيشوا إذن متحدين كل الاتحاد فىَّ ، فى محبتى ، عندئذ سوف تفيضون فرحًا ».

« إنى أحببتكم بنفس الحب الذى أحبنى به الآب . أطلب منكم إذن ـ وهذه وصيتى ، وصية جديدة ـ أن يكون بينكم هذا الحب ذاته ... حب بدون حد ، « فما من حب أعظم من حب من يبذل نفسه فى سبيل أحبائه » (وهذا ما سأفعله). أحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم . بهذا يعرف الناس أنكم حقًا تلاميذى ».

والآن ، ياأصدقائى ، هيا بنا ننطلق ....



الفصل الرابع

آلام . موت . قيامة

(١) خريطة أورشليم

١ــ رحبة الوثنيين
٢ــ رحبة النساء
٣ــ رحبة اسرائيل
٤ــ رحبة الكهنة
٥ــ ذروة الهيكل
٦ــ رواق ملكي
٧ــ قصر هيرودس القديم
أسوار
طرق
مسيرة يسوع أثناء آلامه

(٢) جثسيمانى : بستان الخوف والقلق

(مرقس ١٤: ٢٦—٤٢، لوقا ٢٢: ٤٣—٤٤)



رتَّل يسوع ورفاقه الترنيمة التى تردد فى نهاية وجبة الفصح . — إنها ترنيمة التسبيح الكبير الذى نشأت منه كلمة « هللويا »: صرخة الشكر لله من أجل تحرير الشعب من مصر فى زمن موسى — **خرجوا من قاعة الوليمة واتجهوا نحو جبل الزيتون .**

حسب عادته ، يريد يسوع أن يذهب للصلاة فى بستان مغلق أبعد من وادى قدرون ، بالضبط فى سفح جبل الزيتون ، حيث يذهب الحجاج ليخيموا . لابد للفريق الصغير من أن يصعد سلم الحجر — الذى لا يزال موجودًا منذ عشرين قرنًا ومكرّمًا كأحد الأمكنة التاريخية التى تؤكد لنا أننا نسير على خطى يسوع — ثم يدور حول الهيكل المغلق أثناء الليل ويسير فى الطريق العميق تحت الأسوار ، يعبر الوادى على جسر من خشب ويتسلق المنحدر المقابل — وسط الصخور وشجر الزيتون والمقابر المبيضة التى تبرق كالأشباح تحت ضوء البدر فى شهر نيسان الحالى — فى هذه الوهدة ، التى تطل عليها جدران الهيكل العالية ، يجرى فى ذاك المساء جدول دم يخرج من مذبح الذبائح حيث ذبح الكهنة حملان الفصح بالآلاف . يتسلط احمرار حريق على ساحة بيت الله الواسعة : هو ضوء مشاعل شمعدانات أفنية الهيكل الكبيرة التى تلقى أنوارها الأخيرة . كل هذا المنظر الحدادى والمشؤوم ، الذى كان رفاق يسوع قد اعتادوه ، جعلهم يرتعشون من الخوف هذا المساء ..

على الطريق :

يصرّح لهم يسوع : سيتركنى جميعكم . توجد فى الكتب المقدسة هذه العبارة : « سيقتل الراعى فتتبدد الخراف من كل جهة ». ولكنى ، بعد قيامتى ، سأتقدمكم من جديد ، مثل الراعى ، وأقودكم إلى الجليل ، بلد الأم ».

قال له بطرس :

« لو تركك الجميع ، فأنا لا !»

« يابطرس ، صباح غد ، قبل أن يصيح الديك للمرة الثانية ، تكون قد قلت ثلاث مرات أنك لا تعرفنى ».

« هذا لن يحدث أبدًا ، يايسوع ، وإن قُضِى علىّ بأن أموت معك لن أنكرك ».

وأدى كل الباقين قسم الأمانة ذاته .

ثم وصلوا إلى حقل مزروع زيتونًا يسمى « جثسيمانى » ــ وتعنى الكلمة : « بستان معصرة الزيت ». اتخذ هذا الاسم من جهاز ريفى أقيم لاستخراج زيت الزيتون ــ كل منحدر التل الذى يطل على أورشليم مغطى بشجر الزيتون ومثقب بكهوف وحُفر ، يمكن من يريد أن يقضى الليل فيه ، فى هذا الوقت من السنة ، ملتفًا فى معطفه .

ولكن ، قبل أن يتغلغل يسوع إلى أبعد ، عبر الجذوع العوجاء التى تقتطع تحت ضوء القمر نقاط ظل ونور ، توقف ، ثم أرشد رفاقه إلى مكان مَحْمى من الريح حيث يمكنهم أن يناموا مستريحين .

« اجلسوا هنا ريثما أذهب لأصلى أبعد من هنا بقليل ».

كل منهم يبحث ، بين جذور شجر الزيتون البارزة ، عن ركن فى الأرض يفرش عليه معطفه ويجد الوضع المناسب ليقضى الليلة .

احتفظ يسوع معه ببطرس ويعقوب ويوحنا وابتعد معهم . لكن آنذاك ارتسم على وجهه تغيير مفاجىء . **وجعل يستشعر رهبة وكآبة . فقال لهم :**

« غمرنى الحزن حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا معى ».



ثم ابتعد قليلاً ووقع على الأرض . وهنا ، بصلاة متضرعة ، طلب إن كان يستطاع ، ألا تحل أبدًا ساعة الآلام الرهيبة التى تنتظره . ويمكن التأكيد أن هذا الخوف وهذا القلق قد تحققا . فلو لم يتكلم بطرس ويعقوب ويوحنا على ذلك لما أمكن الأناجيل أن تختلق خوف يسوع أمام الموت . هكذا إذن شعر يسوع مسبقًا بأنه محاط بحقد وسوء نية ، مسلّم تحت رحمة المعذبين العارفين بأن كل شىء مسموح لهم . وسوف يصمد يسوع وحده أمام انفجار قوى الشر . يقشعر بدنه من فكرة الآلام المبرحة المعلقة فوق رأسه ... آه ، لو أمكنه أن ينجو منها ... إنسان مثل كل البشر ، يتضرع إلى أبيه السماوى ليعفيه من الكارثة التى يراها تنقض عليه :

« **يا أبتاه** »: تعبير مألوف لدى طفل يهودى يعنى به « يابابا »، لكنه تعبير غير متوقع ، كان له وقع شديد فى الشهود الذين نقلوه كما هو فى الإنجيل ــ« **يا أبتاه ، إنك تقدر على كل شىء ، فاصرف عنى هذه الكأس التى علىّ أن أشربها** ــ أى هذا القدر الذى لا بد لى من أن أتحمله ، وهو فى الظرف الحالى ليس كأسًا أو مصير سعادة ، لكنه كأس أو مصير عذاب وموت ــ **ولكن ، يا أبى ، ليكن ليس ما أنا أريده ، بل ما تريده أنت !**».

وعليه ، وقف ونظر حوله . إنه وحده فى هذه الليلة الرهيبة ، فى هذا المنظر الكئيب ، منظر أغصان مشوهة وجذور متشابكة ، ملتوية تحت ضوء القمر . إنه محتاج إلى تعزية . **ثم رجع إلى رفاقه الثلاثة فوجدهم نيامًا . فأيقظ بطرس :**

« **أتنام !... ألم تستطع أن تسهر ولو ساعة واحدة ؟... أتضرع إليكم ،**

ياأصدقائى ، امكثوا ساهرين وصلوا ، لئلا يفاجئكم المجرب . لأن الروح ملىء بنيات حسنة ، ولكن الجسد ضعيف ».

وهى حقًا حالة بطرس الذى يتوجه إليه يسوع بصفة خاصة : منذ قليل كان يقول : « أنا مستعد أن أتبعك أيا كان ، حتى إلى الموت » والآن ، نفدت شجاعته ، فهو ينام ... هكذا ، سرعان ما نتحمس ونتعهد ، ولكن عندما يأتى وقت الوفاء بوعودنا ، نجد أنفسنا ضعافًا وجبناء .

يعلم يسوع أنه لن يستمد منهم أية مساعدة فى هذه الساعة ، ولا حتى كلمة مجاملة ، وأنه سيبقى وحده لبدء الكفاح العظيم ضد الشر . إنه طلب مساعدة وتشجيعًا من البشر مرة واحدة فى حياته و لم يحصل على استجابة . وهذا أيضًا كان جزءًا من عذابه .

لكن ، **فى هذه الساعة الرهيبة التى يرتعد فيها يسوع** من الموت الذى أعلن عن قدومه **إلى حد أن عرقه عاد يتصبب كقطرات دم** ، يكلمنا إنجيل لوقا عن تدخل كائن سمائى : **تراءى ملاك ليشدد عزيمته** . وهو تعبير أدبى من لغة الكتاب يُقصد به حضور استثنائى لله . ففى الأوقات الحاسمة يشعر المؤمن الحقيقى بحضور الله أكثر من أى وقت آخر .

يُظهر اضطراب يسوع بوضوح أنه يمكن كل شخص أن يخاف من الموت بدون خجل ، وأنه يرغب فى أن يكون مطمئنًا ، مشجعًا فى هذه الساعة الأخيرة . لأن الموت مأساة شخصية يحياها الشخص وحده . والمسيح ، الذى اتخذ وضعنا البشرى ، عرف هذه العزلة أمام الموت . فيمكن الإنسان ، مثله ، أن يصرخ من ألمه ومن يأسه ، دون أن يعكِّر صفو سلام نفسه المتحدة بالله اتحادًا عميقًا . أكان الشهيد أو البطل أو أحقر الأشخاص غير المرغوب فيهم الذين يواجهون الموت ينتظر أن ينضم يسوع إليهم جميعًا فى نزاعه حتى لا يموتوا وحدهم ، لأنه تضامن معهم جميعًا بدون استثناء . ياليت الجميع ، بطريقة أو بأخرى ، يشعرون بهذا الحضور .

مضى يسوع من جديد إلى صلاته . ثم رجع ثانية إلى رفاقه فوجدهم نيامًا . لأن النعاس أثقل أعينهم ، ولم يدروا بماذا يجيبونه .

ولما رجع ثالثة قال لهم : « لا تزالون نائمين !... هذه المرة كفى . ليست

الساعة ساعة نوم . لأنى سأسلم إلى أيدى الأشرار ... هيا قوموا !... أنظروا ... قد اقترب من هنا الذى يسلمنى ».

يذهب يسوع من فريق إلى آخر ، يوقظ النائمين ، ويجمع كل رجاله . كل واحد يستيقظ كأنه فى كابوس .

ماذا يحدث ؟... هل أتى قوم ليعتقلوهم ؟... بقفزة انتصبوا يستمعون ، ينظرون حولهم فى كل مكان ... أعينهم تكشف الليل ... يرون أنوارًا ترفّ عند مدخل البستان . يلاحظون دوىّ أصوات ... وصلصلة أسلحة ...

(٣) اعتقال فى ساعة مظلمة

(متى ٢٦: ٤٧ـــ٥٦، مرقس ١٤: ٤٣ـــ٥٢، لوقا ٢٢: ٤٧ـــ٥١، يوحنا ١٨: ١ـــ١١)



وبينما كان يسوع يتكلم ، وصل يهوذا على رأس عصابة تحمل السيوف والعصى . أرسلها الأحبار وشيوخ اليهود الآخرون . وكان يهوذا الخائن قد جعل لهم علامة يدل بها على يسوع :

« الذى أقبّله ، هو ذاك الذى يجب أن تعتقلوه . فأمسكوه وسوقوه محفوظًا ».

منذ خروجه من وليمة الفصح ، مكث يهوذا ينتظر ، فى ظل ركن زقاق أثناء مرور يسوع . أراد أن يتأكد أن المعلم ، حسب عادته ، سوف يذهب فى هذه الليلة يخيم فى بستان جثسيمانى . والحقيقة أنه يعرف المكان لأنه غالبًا ما خيم فيه مع باقى الرفاق . حالما رأى يسوع يتقدم على سلم الحجر النازل

نحو وادى قدرون ، أسرع يخطر الأحبار . لعلهم طالبوه بأن يتوخى السرية حتى مكان المخيم ، ولكن فى الأغلب قدم نفسه ليذهب إلى المكان الذى يعرفه ويدل على الشخص المزمع اعتقاله . فرجال الشرطة لا يعرفون يسوع حق المعرفة ، وقد يختلط عليهم الأمر . فى حلكة الليل ، رغم ضوء بدر التمام ، من الصعب تحت الأشجار وبين آخرين إثبات شخصية رجل راقد ومغطى فى معطفه . ولذا جعل لهم علامة .

ها هو إذن يتقدم بين أشجار الزيتون ذات السيقان العديدة والملتوية . يتحقق بنظرة خفية أن الأخرين يتبعونه وينتبهون إلى أقل حركاته .

يتقدم يهوذا مباشرة نحو يسوع :

« مساء الخير ، يامعلم ! »

ويقبّله .



كانت القبلة طريقة التلميذ العادية عند اقترابه من معلمه ، مثلما نصافح اليوم باليد أى شخص . ولكن يهوذا كان قد وضع فى هذه القبلة كل ثقل خيانته .

بقى الرفاق الذين تعرفوا على يهوذا ، مسمّرين فى مكانهم هنيهة أمام وقاحة صديقهم وخيانته . أما يسوع ، فظل هادىء الأعصاب . لم يرد بالطبع ليهوذا قبلته ، ولكن ، بهدوء عظيم ونظرة أليمة ، ينظر إلى الرسول الخائن حتى عمق نفسه ثم يقول له :

« كيف ، يايهوذا ؟... أبإشارة صداقة ، أعنى بقبلة ، تسلمنى ؟ »

تخلص يهوذا من عناقه مديرًا رأسه ... خاف خوفًا شديدًا من أن عينيه تقابلا نظر يسوع ... قد لعب دوره . والآن ها هو يتباعد .

أما يسوع فأراد أن يظهر أنه لم يُخدَع بل إنه يعلم جميع ما سيحدث له . قصد أن يسلم نفسه وأراد أن يعرف الجميع أنه لا يزال سيد مصيره . إن كانوا قد اعتقلوه فلأنه يقبل ذلك ليطيع أمرًا من فوق ويتمم رسالة سماوية ، هي خلاص البشرية . فهو إذن لم يقع فى شرك ، أو يخدعه كمين..

فتقدم نحو رجال الشرطة :

« من تطلبون ؟»

يسوع الناصرى !»

« أنا هو ».

عند هذا التصريح غير المتوقع ، رجعوالقهقرى بضع خطوات ووقعوا على الأرض بعضهم على بعض . ولما كان موقف شهامة يسوع المطلقة قد أثّر فيهم ، أحس بغتة المتقدمون منهم بأنهم بالغوا فى اقترابهم من يسوع وأن قدرة هذا الشخص ، التى أشاد بها بعض أناس ، قد يمكنها أن تصعقهم . ففى حركة رجوعهم إلى الوراء اصطدموا بالذين كانوا خلفهم ، وتعرقلت سيقانهم بجذور شجر الزيتون البارزة ، حتى أن بعضهم وقعوا على ظهورهم . وأراد يوحنا التلميذ أن يلفت النظر إلى هذا الحادث فى إنجيله . فقد رآه بعينيه ، يسجل أن هؤلاء الرجال قد وقعوا على الأرض أمام الرب ، وبالنسبة إلى يوحنا كان هذا رمزًا : حتى أعداؤه اضطروا أن يعترفوا بعظمته الإلهية .

يتقدم يسوع خطوة جديدة نحوهم .

« من تطلبون ؟»

« يسوع الناصرى »

« قلت لكم : إنى أنا هو . فإذا كنتم تطلبوننى دعوا هؤلاء يذهبون بسلام ».

فإن قال هذا دالاً على رفاقه ، فلأنه لا يريد أن أحدًا منهم يُزعَج بسببه . هو يتحمل مسؤولياته ويستر تلاميذه .

لكن رفاق يسوع استردوا رباطة جأشهم . ليس أمامهم إلا عصابة خدم

ورجال شرطة ، أجل مسلحون ، ولكن الرفاق ، من جهتهم ، أحد عشر . وكثير منهم يحملون خنجرًا طويلاً وحادًا ، لأنه من مدة زمن لا يشعرون بأنهم فى أمان فى تنقلاتهم . وقد نبهوا يسوع إلى ذلك ، لأنهم كانوا يتوقعون اعتقالاً . فار دمهم كما يفور سريعًا دم أهل الجليل : « ماذا ، يايسوع ؟... أتوا يعتقلونك !... دعنا نتصرف . لن يقال إن ...



بطرس ، المسلّح بالطبع ، أشهر سيفه ، تقدم ، رفع حسامه ووجه ضربة إلى رأس عبد عظيم الأحبار ، واسم هذا العبد كان ملخس . فقطع أذنه اليمنى ..



لاحظ فى الغالب أن هذا كان أكثر عنفًا من الآخرين ... وأن لا يأمل بطرس بهذا أن يصد هجوم سرّية رجال الشرطة : لأنه فهم على عجل أن كل مقاومة تكون بدون جدوى . لكنه أراد أن يبرز غضبه واستياءه ازاء اعتقال يحدث هكذا غدرًا ، فى الخفية ، وفى صلب الليل . فى الواقع لا يخفى علينا أن فى عالم هذا العصر الرومانى ، لا شيء أكثر خزيًا من أن يعود جندى من

القتال بأذن ناقصة ، وبالأخص الأذن اليمنى ، بما أنه مزمع أنها فى حماية الذراع التى تستعمل السلاح الهجومى ، رمحًا كان أم سيفًا . لم تفت الفرصة لبطرس أن يوجه إلى رجل ثقة عظيم الأحبار إذلالاً كبيرًا ، لأنه لن يزال موسومًا به أمد حياته .

لكن لوقا ، دائمًا، مليئًا بتيقظ لطيف وطيبة شفوقة ، يشير إلى أن **يسوع** لم يترك رجل الشرطة فى هذه الحال المذلة : **لمس أذن الجريح وشفاه فى الحال .**

وتدخل ليتفادى أسوأ الأعمال الإنتقامية ويستخلص تعليمًا من هذا الحادث :

« اغمد سيفك يابطرس . أنت تعرف المثل : « من أخذ بالسيف بالسيف يهلك »... أو تظن أنى لا أستطيع أن أدافع عن نفسى ؟... يكفينى أن أسأل أبى ، فيمدنى فى الساعة بأكثر من اثنى عشر فيلقًا من الملائكة . ولكن آنذاك كيف يتم ما قيل عنى فى الكتب المقدسة التى تعلن أن هذا ما يجب أن يحدث ؟»

هذه طريقة كلام تعنى أن يسوع يملك تحت تصرفه كل قدرة الله ، ولكنه يقبل ألا يلجأ إليها بل يرضى بأن يُعتقل . وهكذا يحقق نبوآت النبى إشعيا الذى أعلن أن الذى سوف يجنب العالم الشر والخطيئة يفعل ذلك باجتيازه آلام العذاب والموت (إشعياء ٥٣).



هذا لا يمنع يسوع من أن يتوجه بتهكم تام إلى سرية رجال الشرطة الذين أتوا فى صلب الليل ليعتقلوه :

« أراكم تحملون سيوفًا وعصيًا . من تتوهمون أنى هو ؟ أنى لص ؟... أنا لست رجلاً يختفى مثل المجرم . تذكروا !... أمضيت أيامًا أعلّم فى الهيكل

على مرأى ومسمع من الجميع . ماذا كنتم إذن تنتظرون لتأخذونى ؟»

« لكن لا ... ساعتكم أنتم هى فى الظلام . فيه تقومون بما تريدون ... عندما سلطان الظلام يَحُثّ على العمل ».

هذه هى ساعة الشيطان . يبرز يسوع هنا بعدًا آخر تمامًا لهذا المشهد الذى يقام . ليس المقصود هو اعتقال بسيط يستهدف رجلاً شريرًا يكدر جو المجتمع ، ولو كان بريئًا . العامل هنا هو تسلط قوى الشر على البشرية ، هو رفض النور وهذا الغور فى الظلام الذى يناسب ويشجع أعمال الإجحاف والحسد والغيرة ، والعنف والانتقام ، والتعذيب والحروب ، ويجعل من هذا العالم كونًا اعتقاليًا يرفضه الله ... سوف يضطر تلاميذ يسوع دائمًا أن يحاربوا قوى الشر حولهم وفيهم .

لما رأى رفاق يسوع أن معلمهم يستسلم لاعتقاله دون أن يعارضه بأية مقاومة ، ظنوا أن الحصافة تتطلب منهم أن يختفوا تحت شجر الزيتون ، حتى لا يصيبهم ما أصاب يسوع . **وبينما كان رجال الشرطة يقبضون على يسوع ، تركه كل تلاميذه وهربوا .**

(٤) حول مجمرة ، وعند صياح الديك

(متى ٢٦: ٦٩ــ٧٥، مرقس ١٤: ٦٦ــ٧٢، لوقا ٢٢: ٥٤ــ٦٢، يوحنا ١٨: ١٥ــ١٨ و٢٥ــ٢٧)



جاءوا بيسوع إلى أورشليم ، موثوقًا ومحفوظًا ، على الدرب الذى يصعد من ممر قدرون ويمر تحت قلاع الهيكل المحصنة . ووصلوا إلى أزقة المدينة الراقدة . وكان نصف الليل أو الساعة الثانية صباحًا بعد منتصف الليل . إلى أين يمكن سرية رجال الشرطة أن تقود يسوع ؟...

إلى محل إقامة خاصة تسكن فيها إحدى العائلات الكهنوتية الكبيرة : محل إقامة ــ نذكر هنا تفصيلاً مهمًا ــ يشمل عدة قطع مبنية حول فناء داخلى . **دخلوا بيسوع دار حنّان ، حمى قيافا الذى يمارس سلطة عظيم الأحبار فى هذه السنة ...**

بينما يسوع يَمْثُل أمام حنّان ، حدث مشهد فى فناء قصر الأحبار هذا ، حيث ينتظر رجال الشرطة .

حتى نُحْسن فَهم ما حصل ؛ لا بد لنا من الرجوع إلى الوراء ، إلى زمن الاعتقال فى بستان شجر الزيتون .

بعد ذعر الزمن الأول الذى هرب فيه رفاق يسوع لخوفهم من أن يُعتقلوا هم أيضًا ، استرد **بطرس** رباطة جأشه : خجل من سلوكه ونعت نفسه

بخائن . عاد ادراجه وشرع يتبع عن بعد فصيلة رجال الشرطة الذين يذهبون بيسوع . ويوحنا ، من جهته ، مستحٍ من ضعفه ، عدل عن رأيه ولحق ببطرس على الطريق .

وعاجلاً وجد الاثنان نفسيهما أمام قصر الأحبار ، بينما يسوع يمثل أمام حنّان عظيم الأحبار سابقًا . وأرادا أن يعرفا ماذا سيحصل ليسوع . وكان الأفضل لمعرفة ذلك أن يحاولا الدخول إلى الفناء الداخلى ، الذى ينفتح نحو الطريق ، على الأرجح بواسطة مدخل مسقوف . وفى الواقع ، كان هناك رجال الشرطة الذين اعتقلوا يسوع توًا مع خدم الأحبار ، منتظرين نهاية الاستجواب .



وكان يوحنا يعرف حنّان عظيم الأحبار السابق ، فسمحوا له بسهولة أن يدخل الفناء . أما بطرس ، فظل مضطرًا أن يبقى فى الخارج . وعليه تفاوض يوحنا مع البوابة التى قبلت أخيرًا أن تسمح لبطرس أيضًا بالدخول . لكن ، حالما اجتاز عتبة الباب واجهته البوابة بهذا الكلام العنيف :

« آمل على الأقل ألا تكون من عصابة هذا الشخص الذى اعتقلوه توًا ».

« لا ، لا ، اطمئنى !»

ولما كان الطقس باردًا بعض الشيء فى هذه الليلة ، أشعل رجال الشرطة والخدم نارًا فى مجمرة داخل الفناء وجلسوا حولها يصطلون قرب شعلة النار .

لعل الحجة التى ذكرها يوحنا للبوابة هى التالية : « إننا عابرو سبيل والطقس بارد . وقد أشعل الخفراء نار مجمرة فى الفناء . أتركينا نذهب لنصطلى بعض الوقت ».

جلس بطرس ، ليسيطر على انفعالاته وسط الخدم ورجال الشرطة ، جاعلاً نفسه عابر السبيل الذى يرتعش من البرد ، ويأتى ليصطلى بالقرب من النار . لكنه كان معروف المظهر . والمجازفة بالنسبة له هى أن موقفه هذا يجعل وجهه مضاء وواضحًا للجميع .

والحقيقة أن البوابة التى تتابعه بالنظر كانت مرتابة فيه . نظرت إليه بانتباه واقتربت منه وقالت له :

« أنت ، لعلك كنت مع يسوع الناصرى !».

« لا أعرف ما تعنيه بقولك !».

وفى هذه اللحظة بالذات إذا بديك يصيح .

فى الواقع ، انخدع ديك من خم قريب بأضواء النار أو لمح ومضات الفجر الأولى — لأن الساعة كانت قد تقدمت — وشرع يطلق صيحة حادة .

لكن البوابة لم تعدل عن فكرتها ، وأطلعت الخدم ورجال الشرطة الذين يحيطون ببطرس على شبهتها .

« صدقونى هذا الرجل من ضمن عصابة يسوع ».

« لقد قلت لك إنى لا أعرف البتة هذا الشخص !».

وشرع الجميع يتفرسون فيه .

« أنت فى الغالب من حزبه . لأنك من الجليل ، ولهجتك لهجة بلده ،



إنك تفضح نفسك بكلامك ».

أحد الخدم الذين رافقوا رجال الشَرطة إلى جثسيمانى ، والذى اتفق أن كان من أقرباء ملخس ، رجل ثقة عظيم الأحبار الذى قطع بطرس أذنه قال له :

« يتراءى لى جيدًا أنى تعرفت عليك ... ألم تكن فى البستان مع يسوع ؟».

حينذاك أخذ بطرس يحلف ويصيح فى هياج :

« لعنة الله علىّ إذا كنت أعرف هذا الشخص !».

« دعوه وشأنه !»

فى هذه اللحظة ، بعد نهاية الاستجواب ، نزل يسوع إلى الفناء بين اثنين من رجال الشرطة ليمضى هناك باقى الليلة تحت المراقبة ، حتى يتم نقله إلى محكمة مجلس اليهود .

بغتة دوَّت صرخة حادة مزقت سكون الليل ... كان الصياح الثانى للديك .

التفت يسوع وراءه ونظر إلى بطرس ... وعليه رجعت إلى ذاكرة بطرس

الكلمة التى قالها يسوع عشية اليوم : « فى هذه الليلة ، قبل صياح الديك مرتين ، تكون قد أنكرتنى ثلاث مرات ».



آنذاك ، لما فرغ معين صبره ، خرج بطرس على عجل إلى الفناء وانفجر بالنحيب .

ليس بدون سبب أن كتبة الأناجيل الأربعة سردوا بالتفصيل حادث إنكار بطرس . كان هكذا المسيحيون الأولون على علم بخطأ بطرس . ها هو برهان أصالة التقاليد المحفوظة فى الكنائس الأولية . حقًا ، كان ممكنًا أن يخفوا هذا الحدث الذى يقلل من شأن واحد من أوائل رسل يسوع . وإذا عرفنا الحدث هكذا . فهذا برهان على أن بطرس نفسه قد ذكره .

وهذا أيضًا درس عظيم لنا ... إننا نعد يسوع بأن نبقى أمناء له إلى الوقت الذى يصبح فيه مزعجًا فى حياتنا ، مضايقًا مثيرًا للشبهة ، حينئذ ، لا نرغب فى أن نعرفه ... هل سنرجع إليه مثلما فعل بطرس ؟... بكى بطرس على خطيئته ، ويسوع سامحه وغفر له . كل خطيئة مهما كانت جسيمة تُغفر لنا إذا تبنا عنها توبة صادقة بندم ودموع .

(٥) دعوى دينية فى محكمة مجلس اليهود أمام قضاة معادين

(متى ٢٦: ٥٩ــ٦٨، مرقس ١٤: ٥٥ــ٦٥، لوقا ٢٢: ٦٦ــ٧٦)



فى الغد ، قادوا يسوع أمام المجلس العالى المسمّى مجلس اليهود ، الذى يعقد جلساته كمحكمة للمناسبات .

فى عصر يسوع ، كان هذا المجلس الوطنى أو مجلس الأمة ، الذى يرأسه عظيم الأحبار ، يسوس البلد ويحكم بالعدل . وكان له طابع دينى . بما أن الأمة كانت أمة خاصة بحكومة إلهية ، أى أنها لم تكن تعترف إلا بالله كملك أعلى ، ولم يكن لها سبب وجود إلا رسالتها الدينية فى تاريخ العالم . ولذا فإن أكبر الجرائم ، وأخطرها كانت الجريمة المرتكبة ضد الديانة .

سلطات هذا المجلس كانت واسعة جدًا . فى جميع أقاليم الإمبراطورية الرومانية كانت العادة أن يترك المسئولون المحليون يشرّعون القوانين الخاصة ، يحكمون ويديرون بأنفسهم بلدهم المحتل ، ولكن تحت مراقبة . وكان الشعب اليهودى قد حصل على وضع استثنائى فى الإمبراطورية . ولم تكن روما تتدخل بالفعل فى أموره الداخلية .

كان مجلس اليهود يضم واحدًا وسبعين عضوًا ، موزعين على ثلاث مجموعات مختلفة تمامًا : الأحبار والكتبة وشيوخ طبقة الأشراف .

لكن منذ الإحتلال بجيوش روما ، كان مجلس اليهود قد فقد حق إعدام

من يُحكم عليه بالموت بحسب الشريعة اليهودية . كان الإعدام حقًا محفوظًا للحاكم الرومانى ، الذى كان يمكنه أن يستأنف الدعوى ، ويعيد النظر فى الحكم ويحرر السجين فى حالة عدم تصديقه على الحكم . فى كل الإمبراطورية كان الرومان يحتفظون لأنفسهم بحق الإعدام .

ها هو إذن يسوع الذى يمثل أمام قضاته . قُضى عليه فى الدعوى مسبقًا ، ولكن من اللائق أن تستكمل الإجراءات الشكلية .

يجدّ الأحبار وأعضاء المحكمة العليا فى إيجاد اتهام خطير بعض الشىء ، حتى يمكنهم أن يحكموا على يسوع بالموت . لكن بدون جدوى ، ومع ذلك يتقدم شهود لكنهم يتخبطون فى أقوالهم ، وشهاداتهم متناقضة .

أخيرًا ، وجدت شهادة استرعت الانتباه ، تقدم بها شاهدا إثبات وأعلنا :

« قد سمعناه يقول : سأنقض هذا الهيكل الذى صنعه البشر ، وأبنى فى ثلاثة أيام هيكلا آخر ليس من صنع بشر ».

كان هذا الكلام صحيحًا : فقد تكلم يسوع يومًا ما على تدمير وإعادة بناء الهيكل ، ولكن على صورة لغز . وما قاله بالضبط هو : « يمكنكم أن تنقضوا هذا الهيكل ، وفى ثلاثة أيام أنا أقيمه ». أما هم فادَّعوا أنه قال : « سوف أدمر »، وكان هذا محض كذب واختلاق .

لم يكن ليسوع شىء ضد هيكل أورشليم ، لكن ، على صورة لغز ومشيرًا إلى شخصه ، كان يريد أن يقول : إن الهيكل الحقيقى من الآن هو ذات جسده ، مسكن الله الحقيقى على الأرض . كان يعلن نظامًا جديدًا يكون مركزه ذات جسده . فإن قتلوه ، إن دمروا جسده ، بعد ثلاث أيام سيلاقونه حيًا ، سيكون قد قام من الأموات . ولم يكن أحد قد تمكن من فك اللغز الذى عرضه يسوع . لم يكن فى وسعهم أن يفهموه إلا بعد القيامة .

فقام قيافا الذى كان يرأس المجلس بصفته عظيم الأحبار ، وسأل يسوع :

« هيا ، أما تجيب بشىء ؟... ما هذا الذى يشهد به هؤلاء عليك ؟... برِّر نفسك !».

فظل يسوع صامتًا لا يحير جوابًا .

ترك البلبلة تستقر فى المجلس وحكامه يغرقون فى السخرية وعدم الفهم . كانوا فى غاية الاضطراب ، والجميع يشعرون بنقصهم أمام يسوع ، هذا الذى أفحمهم علنًا . أما هو ، فلا يرغب فى إكراه أحد ، ولا أن يضغط على قرارات المحكمة بخطاب حاسم يدل على براءته . لن يؤثر أى تأثير سلطة ، ولن يمارس إلا سلطة الحب .

لا يسع **قيافا** أن يترك الدعوى تتعقد هكذا . وإلا قد يؤول الحكم إلى منع المحاكمة ، وهذا لابد من تجنبه بكل حيلة ووسيلة . فعزم على طرح مفتاح السؤال ، وقام بذلك بصفة احتفالية ، وازنًا كلامه ومستشهدًا بالله حتى يجبر يسوع على الكلام . إذا استجوبه باسم الله ، لابد ليسوع حقيقة من أن يجيب ، وإلا فإنه يوجه مسبّة إلى الله .

وحينذاك قال له :

« باسم الله الحى ، أطالبك بأن تقول لنا بوضوح إذا كنت تدّعى أنك المسيح ، ابن الله ».

عندما يتكلم قيافا عن المسيح ، نعرف أنه يقصد المسيح المنتظر . ولكن عندما يقول : « ابن الله » ماذا يعنى بذلك ؟

أكيد ليس أن يسوع هو ابن الله السماوى لأبيه ، لكن فقط إن يسوع يطالب بهذا اللقب المقصور على المسيح المنحدر من نسل الملك داود ، ملك محبوب من الله بصفة ابن .

هذه الملاحظة مهمة . لأن أحدًا لم يمكنه أن يفكر ـــ حتى ولا تلاميذه

الأكثر ألفة ــ فى أن يسوع كان ابن الله بالمعنى الذى نفهمه اليوم ، أى أنه الله حقًا بالذات ، الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس . فليس إلا بعد القيامة أن تلاميذ يسوع سوف يكتشفون ذلك ، ويكون ذلك لهم أمرًا أكيدًا . سوف يوضح ذلك التفكير المسيحى طوال الأجيال .

سوف يجيب يسوع عن سؤال عظيم الأحبار : « هل أنت المسيح ، ابن الله ؟» مقدمًا ذاته كما هو حقيقة بالقدر الذى يمكن قضاته أن يستشفوه . لأنه إن لم يكن جوابه خطأ ، فهو يحتاج إلى توضيح . وحتى يدل على أنه ليس مسيحًا ملكًا ومحاربًا مثلما ينتظره كثيرون ، ولا فقط مسيحًا كهنوتيًا ، سوف يعيد تنظيم الطقوس الدينية ، أخذ لصالحه شهادة من أقوال النبى دانيال ، إحدى شواهد الكتاب المقدس الأكثر شهرة (سفر دانيال ٧: ١٣ــ ١٤).

إذن يجيب يسوع قيافا :

« **أنت قلت ... لم أجبرك على قول هذا ... ولكنى أعلن ذلك : سترون ابن الإنسان** (كان يسوع يعطى نفسه هذه التسمية على علم من قضاته) **آتيًا على غمام السماء وجالسًا عن يمين الله القدير** ».

من مائتى سنة تقريبًا ، كان النبى دانيال قد روى رؤية تراءى له فيها أن مملكة المختارين مختلفة كل الاختلاف عن سائر ممالك الأرض . وفى الواقع ، كان يظهر له أن هذه الممالك تخضع لحكم حيوانات متوحشة : مثل الأسد والدب أو النمر ... لفرط ما كان ملوكها وحكوماتها يطبقون قوانين الغاب غير الإنسانية : التى هى السيطرة والاضطهاد والعنف والرياء والكذب ... بينما مملكة المختارين ، بالعكس ، كان يقودها ابن إنسان ، كائن بشرى من أصل سمائى . وكان النبى يراه على غمام السماء وكأنه على سلم شرف يصعد إلى الله . فكان المقصود إذن هو ابن الجنس البشرى ، الإنسان المثالى ، الله الذى ظهر فى الجسد .

لم ينخدع قيافا وقضاة مجلس اليهود فى تقديرهم : فيسوع لا يعلن فقط أنه المسيح ــ حقًا إن غيره قد ادعوا نفس اللقب قبله ، لكنهم بفشلهم برهنوا على حماقتهم ــ أما يسوع فقد تجاوز صفته الإنسانية وها هو يطالب بدرجة إلهية . فلا يسعهم أن يقبلوا ذلك . إنه ، فى نظرهم ، أكبر تجديف .

سيعبر عظيم الأحبار عما يشعر به عامة أعضاء المجلس . عندما كان أحد رجال الدين يسمع تجديفًا كان يدل علنًا على سخطه بشق ثيابه . ولم يكن هذا إلا حركة تمثيلية ، لأنهم كانوا يقومون بخياطة مسرّجة لا غير على علو الصدر حتى لا يلحق ضرر بالنسيج عند حركة شق الثياب .

بعد جواب يسوع شق عظيم الأحبار ثيابه وصاح قائلاً :

« لقد جدف !... فلا حاجة بنا إلى شهود ؟... قد سمعتم جميعًا ... إذن ما حكمكم ؟».

فشرعوا فى الصياح :

« الموت !... يستوجب الموت ».

كانت شريعة موسى غير متساهلة إزاء التجديف ، الذى كان دائمًا يستوجب الموت .



لكن على كل حال لم يكن لمجلس اليهود حق الحكم بالإعدام . كان هذا يناط بالحاكم الرومانى الذى كان هو وحده الذى يجب أن يوقع على حكم إعدام ويطالب بتنفيذه .

يظن أعضاء المجلس الأعلى أنه سيسهل عليهم إقناع بيلاطس الحاكم . فى الواقع ،

أعلن يسوع أنه المسيح . وفى نظر جيوش الاحتلال ، قد يشجع هذا على تمرد ، أو يطلق دعوة للحرب المقدسة ...



حرروا إذن بسرعة ملف اتهام وقادوا يسوع محفوظًا إلى قصر الحاكم .

(٦) ياس يهوذا

(متى ٢٧: ٣ــ١٠)

كان يهوذا بالتأكيد هو أول من أطلعوه على قرار المحكمة . نتخيله قلقًا وهائجًا فى أروقة وجوانب قصر مجلس اليهود . **عندما علم أنه قد حكم على يسوع بالإعدام ، تململ وأسف على خيانته . إلى حد أنه ردَّ الثلاثين فضة إلى الأحبار :**

سلكت سلوكًا سيئًا ، خطئت ، أسلمت اليكم بريئًا ».

« ماذا يهمنا هذا الآن ؟... هذا شأنك ، على كل حال !».

جاشت نفسه مما حصل . لعله ظن أن شركاءه سينصفونه ويطمئنونه

بترديدهم أن يسوع كان مجدفًا وأنه هو ، يهوذا ، فعل حسنًا عندما أسلمه . ولكن لا !... يهزأون الآن من حالته النفسية ... وعليه فى اشمئزاز عميق ، اشمئزازا من نفسه ، من القضاة ، ومن كل شيء ، **رمى يهوذا فضته على بلاط الهيكل** ، وتدحرجت قطع الفضة تحت أقدام الأحبار :



« هذا كل ما أفعله بفضتكم !»

وخرج من الهيكل مصممًا أن يتخلص من حياته . ومع ذلك ، هو فى هذه الساعة أقرب إلى التوبة مما يظن ، حتى أن حركة يأسه وثورته أمام سير الدعوى وتطورها تشرفانه . ولكنه استسلم بيأسه الشديد : ثقل عليه حمل الحياة . واتجه فى الغالب إلى وادى جهنم (كلمة تترجم بالجحيم) فى جنوب المدينة أو على منحدرات جبل « النصيحة السيئة ». هناك ، تعلو صخور منثلمة تجعل من هذا المكان مكانًا كئيبًا وملعونًا . لمح جدارًا صلبًا أو جذعًا ناحلاً ، وعلى عجل ، دون أن يلجأ إلى التأمل أو البكاء ، طوّق عنقه بحزامه الطويل وقذف بنفسه فى الفضاء . **يهوذا شنق نفسه** .



(٧) محكمة بيلاطس ، الحاكم الرومانى ، تصبغ دعوى دينية بصفة سياسية

(لوقا ٢٣: ١ـ٧، يوحنا ١٨: ٢٨ـ٣٨)



إن أعضاء مجلس اليهود ، محكمة الأمة اليهودية العليا ، **اقترعوا على موت يسوع . بقى أن يحصلوا على التأييد بقرار من الحاكم الرومانى** الذى يحتفظ لنفسه بحق التصديق على أى حكم يصدر بإعدام شخص ما ، ويطلب تنفيذه . فأتوا بيسوع إلى محكمته .

فى هذه السنوات كان بيلاطس يحكم إقليم اليهودية ، الذى عاصمته أورشليم ، ومقره العادى هو قيصرية التى على البحر . ولكن فى زمن المحاج الكبيرة يأتى إلى أورشليم ليتدارك أو يقمع كل فتنة .

مثل كثير من الرومان ، كان بيلاطس يكره اليهود الذين كانوا فى نظره أكثر الطوائف مقتًا ولكنها أيضًا أكثرها رهبة . كان اليهود ــ مثلما كانوا يسمّون عبرانييّ اليهوديّة ــ منتشرين فى كل مدن الإمبراطورية الرومانية حول البحر الأبيض المتوسط . ولما كانوا دساسين وتجارًا حاذقين ، كان نفوذهم عظيمًا حتىَ فى أوساط البلاط الإمبراطورى فى روما . كان بيلاطس يشغل فى أورشليم أحد أصعب المناصب فى كل الإمبراطورية . كان عليه أن يسيطر على اليهود ولكن أن يسايرهم أيضًا .

فكانت المشكلة بالنسبة إلى مندوبى مجلس اليهود ، أن يحوِّلوا الدعوى الدينية

إلى دعوى سياسية . يعرفون أن بيلاطس لا يهتم بمسائلهم الدينية ، التى لا يفهم منها شيئًا . فحتى يجبروا السلطة الرومانية على أن تهتم بنواياهم ، لا يحسن لهم أن يتكلموا على « مسيح مرسل من الله » ولكن على « مسيح ملك ».

يطرح عليهم بيلاطس السؤال الرسمى :

« بماذا تتهمون هذا الرجل ؟»

فاستلفتوا أنظاره :

« لو لم يكن مجرمًا ، لما كنا أسلمناه إليك بأنفسنا ».

فتضايق المندوبون . كان لابد لبيلاطس من أن يتوقع أن لهم أسبابًا جدية ليكلفوا أنفسهم ويأتوا شخصيًا لملاقاته عشية يوم الفصح .

« اذن ، اترك لكم الاهتمام بأن تحاكموه أنتم كما تقتضى شريعتكم ».

حركة مجاملة : يسلمهم الدعوى من جديد . لكن اتخذ القرار وصدر الحكم . إلا أنه :

« قررنا له عقوبة الإعدام ، ولكنك تعلم حق العلم أنهم نزعوا منا هذا الحق ».

« هذا هو الوضع : ضبطنا هذا الرجل بجرم مشهود ، ألا وهو أنه يفتن أمتنا ».

« يدعو إلى عدم دفع الجزية لقيصر روما ، ويزعم أنه المسيح ، وبعبارة أخرى أنه الملك !».

لا يوجد اتهام فى نظر بيلاطس أخطر من أن يكون يسوع ثوريًا . وعليه ، فى الحال ، أن يتعجب من وجود هذا الحماس لصالح الإمبراطورية الرومانية . لم يكن قط معتادًا لهذا ... ولذلك ، لم يلبث أن اكتشف مناورة .

فرجع بيلاطس إلى قصره وأحضر يسوع ليسأله :

« إذن ، أأنت ملك اليهود ؟»

« تقول (ملك) بالمعنى الذى تفهمه ، أو بالمعنى الذى يفهمه الذين



يتهمونني ؟».

« أتحسبني يهوديًا ؟... هل أنا على علم ؟... على كل حال ، لاشك أنه يوجد سبب جدّى جعل مواطنيك وسلطات بلدك يأتون بك إلى محكمتي !»

« هيا !... من أنت ؟... ماذا عملت ؟...»

لا يعلم بيلاطس بالضبط أية فكرة يكوّنها اليهود عن مسيحهم . كلمة « ملك » فى مفهومه تعنى مهيجًا خارجًا على سلطة الاحتلال ، دساسًا سياسيًا . لا يمكن ليسوع أن يجيب « نعم » بهذا المعنى . ولا يريد أيضًا أن يجيب «لا » لأنه يقصد أن يملك بالمحبة على القلوب ، وبالتالى على المجتمع والمؤسسات .

يسوع يوضح :

« ملكى لا يشبه البتة ممالك هذا العالم . والبرهان على ذلك : لو كنت « ملكًا » كما يفهمه الناس عادة ، لوجدت لى أنصار ، ولكانوا يحاربون ويدافعون عنى ويمنعون وقوعى فى أيدى السلطات اليهودية . أنت ترى هذا جيدًا : إن مملكتى لا تشبه البتة ممالك الأرض ».

« إذن ، أنت تدعى مع ذلك أنك ملك ».

« قلت أنت ... أنا ملك (بالمعنى الذى أفهمه). **ورعاياى هم من يبحثون عن الحق ويحبونه ».**

« ويح !... الحق !؟... ما هو الحق ؟...».

نتذكر أن يسوع قال : « أنا الطريق والحق والحياة ».

فى نظر بيلاطس ، يود يسوع أن يملك على النفوس . إذن هو بالنسبة إلى بيلاطس فيلسوف ما ، يدعى الرؤى . بيلاطس رجل عملى : هذا النوع من البشر لا يهمه هز كتفيه ، ودون أن ينتظر جواب يسوع ، لأنه فى نظره لن يعرف أحد الحق أبدًا ، وعلى كل حال ، لا أهمية البتة لذلك ... قام وسأل يسوع أن يتبعه .

خرج بيلاطس حيث مندوبو مجلس اليهود ينتظرونه وأعلن :

« لم أجد سببًا لأدين هذا الرجل ...».

هذه الكلمات فجرت صخبًا هائلاً :

« كيف !... إنه رجل يثير الشعب ويحثه على التمرد ، ويتفوه بخطب نارية فى كل البلد ... شرع فى الجليل وها هو الآن يجوب اليهودية ...

بيلاطس مرتبك بعض الشىء .

فى ذلك الوقت يرسل يسوع محفوظًا إلى قاعة هيئة الحرس ، مع الجنود .

(٨) إهانة يسوع فى مقر هيئة الحرس لأنهم اعتبروه أثيما

(مرقس ١٥: ١٦ــ٢٠، متى ٢٧: ٢٧ــ٣٠)



فى انتظار الأوامر ، يرغب الجنود فى التسلى على حساب سجينهم . وبما أن اليهود يبدون غالبًا احتقارهم للرومان ، ينتهز هؤلاء كل الفرص لينتقموا من أى شخص منهم . وهذا بالأحرى مسلّ ، لأن المشار إليه يسوع ادّعى أنه ملك ، وعلى قول من اتهموه إنه استخف بالجيش الرومانى وبالإمبراطورية .

جمع الجنود كل رفاقهم، أجلسوا يسوع على جذع عمود أو مقعد من حجر بمثابة عرش ، **وبعدما خلعوا عنه ثيابه طرحوا على كتفيه معطف جندى أحمر قرمزيًا** ، يجرجر فى الأرض أطمارًا : « ويحك !... ياملك اليهود المزعوم ... ها هو معطفك الملكى !»

لكن لابد للملك من إكليل ... فى ركن من أركان هيئة الحرس يوجد بعض من شوك الدواب ، هذه الجنيبات ذات الشوك السام بين بين ، أو حزمة من أغصان العناب ، هذا السنط الفلسطينى ذو الشوك الذى يمتد شوكه إلى عدة سنتيمترات ... الذى يستخدم لإشعال النار . **ضفر أحد الجنود إكليلاً من عليق وغرزه فى رأسه** .

وفكرة تجلب فكرة أخرى ... ماذا ينقص أيضًا هذا الملك ؟ آه ... صولجان ! إشعار سلطته ... قصب يابس وصلب يفى تمامًا بالغرض ... **فيضعون ساق قصب فى يده اليمنى** .

والآن ، لا ينقصهم إلا أن يأتوا ليقدموا إكرامهم لهذا الملك المثير للسخرية .
فتعاقبوا الواحد بعد الآخر منحنين احترامًا :

« السلام عليك !... ياملك اليهود !...»



وبمثابة عناق يبصقون على وجهه ويصفعونه ، مقهقهين . **وبعضهم ينتزعون من يده قصب صولجانه ويضربون به رأسه ضربات متتالية** ، غارزين شوك الإكليل فى جبينه وفى أصداغه .

لا شىء غريب فى ذلك ... نعرف كل النكايات والمضايقات التى تمارس غالبًا فى قاعات الشرطة إزاء سجناء عرف أنهم مذنبون ، ولكن لم يصدر حكم عليهم . وقد قبل يسوع أن يتحمل هذا الإذلال الفظيع ، وهذا الاستهزاء وهذه الإهانات ، لأنه أراد أن ينضم إلى جميع ضحايا الخطية والظلم والطغيان ..

(٩) باراباس أم يسوع ؟

(متى ٢٧: ١٥ــ٢٣، مرقس ١٥: ٢ــ١٣، لوقا ٢٣:١٧ــ٢٣، يوحنا ١٨: ٣٩ــ ٤٠، ١٩: ٤ــ ٦)



أمسوا فى عشية يوم الفصح ، الذى كان العيد الوطنى الكبير لذكرى التحرر من العبودية فى مصر فى زمن موسى . ويعنى هذا العيد العبور من حالة العبودية إلى حياة حرة . وبمناسبة هذا العيد ، كم كان يظهر ثقيلاً نير الرومان المحتلين ! فى تلك الأيام ، كانت الأرواح تتهيج بسهولة : ولم يكن بيلاطس يجهل ذلك قط .

كانت العادة أن يحضر الشعب أمام مقر الحاكم ليستمع إلى خطبة بمناسبة العيد وخاصة **ليحصل على إنعام هو إطلاق سجين سياسى** . وكانت حركة الترفيه هذه تقلل بغض اليهود على سلطات الاحتلال .

أتوا يبلغون بيلاطس أن الجمهور بدأ يتجمع فى الساحة الصغيرة أمام القصر ، وأنه لحق بمندوبى مجلس اليهود الذين ينتظرون قبول بيلاطس فيما يخص حكم الموت الذى اقترعوه ضد يسوع . ولكن بيلاطس يقصد ألا يستسلم لرأى أحد ، بل أن يخرج بلباقة من الهدف المُغْرِضْ الذى يرمى إليه الأحبار وأعيان اليهود برياء وحسد . فانتهز بيلاطس الفرصة السانحة وحسب الحساب الآتى : أقر بالحق لحكم مجلس اليهود ، ولكن فى اللحظة التالية أطلق المحكوم عليه حسب طلب شعب أورشليم . فى نظر بيلاطس كانت هذه سياسة لبقة .

فحينما تجمع الجمهور أمام مقره ، **ظهر بيلاطس على السلم الخارجى** ،

وقال :

« كما تقتضيه العادة ، أقوم ببادرة عزيمة صادقة وتهدئة : « **أمنحكم إطلاق سجين سياسى ». اثنان منهما معروفان لديكما : باراباس ويسوع ، الذى يدعونه المسيح : أيهما تختارون ؟».**

كان بيلاطس يتوقع أن يصيح الجمهور : « أطلق يسوع !» يفضل الناس دائمًا خطيبًا شعبيًا على قاطع طرق . وبيلاطس سعيد أن يبوء بالفشل مندوبو مجلس اليهود . **لأنه بدأ يعلم أنها مسألة حسد لا غير** : لا يمكن لسلطات أورشليم أن تحتمل نفوذ يسوع وشعبيته .

حصلت لحظة مفاجأة وتردد فى صفوف الجمهور . إن شخصية يسوع تهم أغلبهم بعض الشيء ، ولكن ليس جميعهم ، بل الذين سمعوه يتكلم وشهدوا معجزاته . فيتساءل جمع منهم : « إنهم اعتقلوه ... أمر غريب ... لا أحد على علم بذلك ...

إن أغلبية الناس الموجودين هنا واصلت باكرًا جدًا لتشغل المكان الضيق بالأحرى فى هذه الساحة الداخلية التى أمام مقر الحاكم . وهذه الأغلبية تتكون خاصة من مناهضين ، أهل الأدغال ، غيورين وقتلة مأجورين ...

التقوا بقصد أن يطلبوا إطلاق أحد رجالهم : شخص ما يدعى باراباس ، رئيس عصابة فى الغالب ، **اعتقل خلال فتنة واقترف عددًا لا بأس به من جرائم القتل** ، رجل وضيع بلا شك ، لكنه مشهور بجرأته أمام الرومان . بالنسبة لهؤلاء ، هو زعيم ، رجل صلب ، عنيف ، مشاغب قدير ... أما يسوع ، فمعروف بأنه صديق الفقراء ، نبى بليغ حقًا ، ولكنه مسالم . هل يمكنهم أن يصلوا معه إلى نتيجة فى كفاحهم ضد جيوش الاحتلال ؟... إنه لأمر مشكوك فيه !

إن الجمهور ينتظر دائمًا علامة زعيم . اسم يسوع على أفواه الذين ليس لهم علم بالأمور . **ولكن فى الصفوف الأولى كان مندوبو مجلس اليهود يتحركون ويضطربون** . إنهم مصممون على أن يتخلصوا من يسوع ، على أن يجعلوا الشعب يهتف لأى شخص كان ، حتى لقاطع طرق : **فيهيجون الجمهور** بصيحات وتلميحات عديدة :

اصرخوا باراباس !...

يصعدون على أكتاف بعضهم بعضًا ليلقنوا الشعب واجبه . الموقد النارى تنتشر أواره فى بضع ثوان ... قد قرروا . **الأصوات لصالح باراباس فازت فى الضوضاء :**

« **باراباس !... أطلق لنا باراباس !...**»

ظل باراباس مذهولاً . كان يأمل غير ذلك . **بادرة** ، **يطلب الصمت** . **يتعنت** . تدفعه كبرياؤه ... ليس أنه يقدّر يسوع ، لعل تقديره له بسيط ... ولكنه يزعجه أن يفشل فى هذه المسألة .

فصرخ واستشاط غضبًا : « **أخيرًا !... لا يمكننى مع كل ذلك تجريم برىء !**»



ثم ترك الجمهور فى الساحة ورجع إلى القصر وتوجه نحو هيئة الحرس ... هناك انتهت مسرحية التسلية فورًا . ولكنه لم يكن قد وجدها غير لائقة تمامًا ، لأنه يعتبر طبيعيًا هذه المعاملة القاسية إزاء سجين يهودى . أكثر من ذلك ، إن مظهر المتهم هذا الذى يرثى له قد يساعد على استعطاف هؤلاء المتنمرين ، مندوبى مجلس اليهود والغيورين على كل أصنافهم ... وأمر أن يخرجوا المسمى باراباس من سجنه **وظهر ثانية على السلم الخارجى** ليعلن حضور المتهمين :

« **سآتيكم بالمعتقلين** ... فيمكنكم أن تختاروا مباشرة ».

بالقرب من قاطع الطرق باراباس ، **ظهر يسوع أمام الجمع بإكليل الشوك على رأسه ومعطفه الأرجوانى على كتفيه : « ها هوذا الرجل »... قال بيلاطس وهو يقدمه إلى الجمع .**



هو على حق . هو حقًا الرجل المعنى به ، ولابد من كتابة « الرجل » بحروف كبيرة ... الرجل فى شقائه ، ولعله أيضًا فى سقوطه ، ولكن أيضًا فى كرامته ، كرامة الخليقة العاقلة وابن الله أو المدعو أن يكونه ... كرامة غالبًا ما يسخر بها ، ولابد للإنسان من أن يستمر يكافح من أجلها أبدًا .

يمكننا أن نظن ، لشرف البشرية وطائفة اليهود ، أن بعض أيادى قد ارتفعت لصالح يسوع . **ولكن مندوبى مجلس اليهود ومؤيدى العنف يتحركون ويضطربون** ، لأنه لا يجوز فى نظرهم أن يُترك للجميع وقت للاستعطاف . فأخذوا يفسرون حولهم كيف أن الحاكم أعد كل هذه « التمثيلية » حتى لا يطلق باراباس . وبما أنه من المحال أن نحصل على إطلاق الاثنين معًا ، فبئس الأمر من أجل يسوع ، الذى سيضطر أن يموت على الصليب بدلاً من باراباس .

وعليه شرع الجمع يطلق بأعلى صوته :

« **باراباس ... ليعتق !...** »

« يسوع ... ليصلب ! هو ، يمكنك أن تصلبه !»

كان عقاب الصلب عند الرومان الطريقة العادية لإعدام المجرمين والمحكوم عليهم لجنايات سياسية .

فقد بيلاطس رباطة جأشه . فصاح فيهم بدوره :

« إذن !... خذوه أنتم فاصلبوه . ففيما يخصني ، ليس ذلك موضوع بحث ... إنني لا أجد سببًا لتجريم هذا الرجل ».

إنه يعاند . وليس هو متضايقًا أن يصمد فى وجه أعضاء مجلس اليهود الذين لا يزال فى حرب باردة معهم بين بين .

لكن هؤلاء سوف يلعبون بحذر أعظم .

(١٠) عندما يكشف المتآمرون عن نواياهم ويمارسون ضغطًا سياسيًا

(متى ٢٧: ١٨ــ٢٦، يوحنا ١٩: ٧ــ١٦)

أدرك **مندوبو مجلس اليهود** أن بيلاطس اكتشف لعبتهم وفضح مؤامرتهم . سوف يتصرفون إذن بطريقة مختلفة .

إذا **كانوا هنا أمام بيلاطس** ، فلكى يلتزموا بحدود القانون ، بما أن الرومان سحبوا منهم حق الحكم بالإعدام أو بالأحرى تنفيذه . ولكن ، قد عين بيلاطس حاكمًا بسلطة روما لكى يعمل لاحترام ديانتهم . والحقيقة أن يسوع عاصٍ فى ما يتعلق بالديانة ، وفى هذا الميدان هم وحدهم مختصون . وواجب بيلاطس أن يصدق على قرارهم .

فأعلنوا له رسميًا هذا التصريح :

« إن لنا شريعة ، وهذه الشريعة تقضى عليه بالموت لزعمه أنه ابن الله ».

يكشف المتآمرون عن نواياهم : يقرون بالسبب السرى : يتعلق الأمر بمسألة دينية . ويرى بيلاطس نفسه أمام هوجة من التعصب الدينى ، وهنا

يشعر بأنه منزوع السلاح .

لكن الضوضاء تزيد خارجًا وتكاد تتحول إلى فتنة . يضرب الجميع الأرض بأرجلهم وقد عيل صبرهم ، يريدون حكمًا فوريًا .

يظهر بيلاطس ثانية فى الشرفة ... ويسمع ، فى الصفوف الأولى **أصوات مندوبى مجلس اليهود** اللاذعة **تعلو قائلة** :

« **احذر يابيلاطس ، إنك تضع نفسك فى موقف مؤسف . إن أخليت سبيل هذا الشخص ، فلا تظهر أنك صديق قيصر** ، ولا تساند دعوى الإمبراطور . **لأن الرجل الذى يدّعى الملك يعد خارجًا على قيصر** ... وإن لم تعاقبه تقصّر فى أول واجب من واجبات وظيفتك ».



يفهم الحاكم هذا التهديد : إن مندوبى مجلس اليهود يمكنهم أن يبلغوا عنه فى روما . وليس هذا الأمر خياليًا البتة . لأن اليهود ذوو مكانة حتى فى أوساط البلاط الإمبراطورى . أكثر من ذلك : يعرفون أن بيلاطس كان محسوب سيجان ، المعروف بأنه « صديق الإمبراطور ». والحقيقة أن سيجان كان قد فقد حظوته وقتل من وقت قريب . وهم ، بعبارة « صديق الإمبراطور » يقصدون أنه يمكن للإمبراطور طيباريوس ، لكونه مرتابًا ، أن يحذر من محسوبى سيجان القدامى ... فقصارى القول ، قد يخشى بيلاطس على منصبه المعرّض للخطر بأخطائه فى الحكم وبالضغينة التى يضمرها له اليهود . وبصفته موظفًا انتهازيًا ، ليس هو شخصًا لا يخاف اللوم أو يقبل المخاطرة بمنصبه من جراء دفاعه عن برىء . بالاختصار الآن : سيان عنده حياة يهودى أو موته ...

أمر بيلاطس أن يحضروا له « محكمته » وهى ليست إلا مقعدا للقاضى ، موضوعًا فوق منصة . ولكن لا استغناء عنه لإصدار حكم . **فجلس عليه بيلاطس فى موضع يسمى البلاط (يدعى بالعبرية « جباثا »)** وأمر بإحضار يسوع . وعندئذ صمت الجميع ليسمعوه .



للمرة الأخيرة ، يظهر بيلاطس احتقاره واستياءه لليهود . وليثير غضبهم ، **قال ، وهو يشير إلى يسوع** ، الذى لا يزال فى لباسه المضحك الذى أجبروه على ارتدائه : « **اذن ، أهو ملككم الذى يجب أن أصلبه ؟**».

بقوله هذا ، ارتكب أسوأ عمل فى نظرهم !... ملكهم ، أى ملك هؤلاء اليهود المتكبرين !... ملك مثير للسخرية تحت إكليل الشوك !... يتهكم الحاكم عليهم ويشتم الشعب !... من هم فى ظنه ؟ فى نظر هذا الرومانى ؟... هذا مثير للاشمئزاز ! قد يكونون على وشك الهجوم عليه .



يصرخ الجميع : « **انزعه من هنا !... لا نريد أن نراه !... إلى الموت !...**

إلى الصليب !.... إصلبه !...»، بينما مندوبو مجلس اليهود ينطقون بهذا التصريح الرسمى : « لا ملك علينا إلا قيصر روما ».

لا سقوط مؤسف ولا استسلام بعد ذلك !... فهم يعترفون بملكية المحتل !... ولكنهم لا يترددون فى القيام بأية دناءة أو بأى نفاق ...

أمام تصريح أمانة مثل هذا ، تفاقم اضطراب **بيلاطس . يرى أنه لم يستفد شيئًا** . ولكنه يريد أن يخرج بشرفه من هذه المواجهة .

طلب أن يأتوا إليه بابريق وطست . وعلنًا ، وبازدراء متعجرف **طلب أن يسكب ماء على يديه ليظهر** أنهما نقيتان .



« لا أريد أن أغمس يدىّ فى دم هذا البرىء : تتحملون أنتم هذه المسئولية ».

لا يقلل جبنه من مسئوليته ... ولكن إذا كان لا يريد أن يأخذ على عاتقه الحكم على يسوع ، ما الجدوى من ذلك ؟... **أخذ رجل يصيح وردد الجميع وراءه :**

« دمه علينا وعلى أولادنا !»



إنها عبارة مقررة كان يستعملها شهود الإثبات فى الدعاوى ومعناها : « لينتقم الله منا ومن عائلاتنا إذا كنا كاذبين ».

« وعليه قام بيلاطس وبجدية تامة ، ووجه ليسوع الحكم الرسمى ...

« سوف تصلب !».

وأمر أن يطلق باراباس حرًا ، بما أن الشعب طلب ذلك . ونزل من « محكمته » ممتقعًا من غضب مكبوت ، ومشمئزًا من ذاته ومن الآخرين .

فى أسفل الدرج ينتظره كاتب المحكمة :

« ياسيد ، ماذا علىّ أن أكتب كسبب الحكم ؟»

لأنه لابد أن يحمل المحكوم عليه رقعة مكتوبة معلقة فى عنقه .

« اكتب : يسوع الناصرى ملك اليهود !»

ختم بيلاطس فى تلك الساعة بلا قصد ، أعظم دعوى فى تاريخ البشرية بأسرها . وحتى آخر الأزمنة ، سوف يتقيد اسم بيلاطس بصورة « الجبان الذى غسل يديه ». سوف يردد مليارات من الناس من كل البلاد ومن كل الأجناس ، فى قانون إيمانهم : « تألم يسوع ومات بأمر بيلاطس ».

ولكن ، إذا كان بيلاطس هو المسئول قانونيًا عن موت يسوع ، فليس هو المسئول الحقيقى . وليس أيضًا الشعب اليهودى . لأنه لم يكن على علم باعتقال يسوع ، أو أنه ، عندما علم بالأمر ، كانت قد فاتته الفرصة ليحاول إجراء

ما ، أو إبداء رأيه لصالح يسوع . ليس الشعب الذى كان يصرخ : « ليصلب !»... « اصلبه !»... ولكن حفنات مشاغبين غيورين ، مثيرين فتنة ورجال عصابات كانوا متحفزين للعنف وللاعتداء بالسلاح ضد جيوش الاحتلال . إن إلحاحهم فى مطالبته إطلاق باراباس ، وهو أحد رجالهم ، لا يفسر خلاف ذلك . والناس الذين كانوا مأجورين لأعضاء مجلس اليهود انضموا إليهم إلى هذا المقدار حتى أن أهل أورشليم الذين كانوا معجبين بيسوع وعلى علم باعتقاله ، لم يزل عددهم ضئيلاً جدًا إلى حد أنهم عجزوا عن إسماع أصواتهم .

ولابد من أن نبلغ عن المسئولين الحقيقيين فى جماعة عظماء الأحبار مثل حنّان وقيافا اللذين كان يسوع يزعجهما فى هدوئهما ومصالحهما ، وأيضًا فى زمرة الكتبة والفريسيين الذين كان يسوع يندد بانحرافاتهم الدينية . إن أكبر مصيبة فى كل تاريخ الشعب اليهودى كانت وجود رؤساء له شائنين فى عصر يسوع المسيح .

ومع ذلك ، لابد من أن نتذكر الكلمة التى قالها يسوع بعد بضع ساعات من ذلك من أعلى صليبه بشأنهم : « لا يدركون ما يفعلون ». نزيد على ذلك إنها ستكون مسألة خاطئة أن نبحث مهما كلف الأمر عن كبش فداء ، فى حادث الدعوى الخاصة بيسوع . لأننا نعرف أنها خطايانا التى هى السبب العميق لآلام يسوع وموته .

(١١) الجلد بالسوط

(مرقس ١٥: ١٥)

أول عمل تعذيب قبل الإعدام عند الرومان كان الجلد بالسوط . وكان هدفه الأساسى أن يقصر مدة احتضار المحكوم عليه بالصلب المزمع أن يكون طويلاً .

لم يكن الجنود ـــ الجلادون متميزين برقة النفس ، بل كانوا ميالين إلى أن يتخلصوا بسرعة من عملهم . لم يدّخروا ضرباتهم لينهكوا قوى احتمال المحكوم

عليه . وكان يحدث أن يموت المسكين تحت التعذيب .



إن تعذيب السوط كان مرعبًا . كانوا يأخذون المحكوم عليه ، يعرّونه ويربطونه إلى عمود أو يقيدون معصميه إلى عمود منخفض ليجبروه على أن يوتّر ظهره . لكي يكون منحنى الظهر ، توجه إليه الضربات بسهولة . وكانت السياط مكونة من سيور جلد ، تتخللها أحيانًا كرات من معدن أو كلاليب .



فبالضربات الأولى يتكدس الدم تحت الجلد بصفة كدمات تنشق بالضربات

التالية . فكان كل لحم الجسد يصبح مكدومًا والعظام مكشوفة . فيتلوى المحكوم عليه ويطلق صرخات مريرة قبل أن ينهار إلى أسفل العمود يقطر دمًا .

إن أنظار جنود الحامية تبرق فرحًا وسعادة لسماع أحد هؤلاء اليهود الممقوتين يصيح من الألم . **كان يسوع يقاسى تعذيب السوط** ذى السيور المحلقة ويسمعهم يثيرون بعضهم بعضًا : « هيا !... عليك الدور !... أحسنت يارفيق !... آه أصبت !...». حتى أنهم يتعبون وتكل معاصمهم فيتوقف الجلادون ويمسحون عرق جبينهم بظهر أيديهم ... « ها هو على الأقل عمل ناجح !... ».

ولكنهم لم ينجحوا أن ينتزعوا من يسوع هذه الصرخات لإثارة الشفقة التى اعتادوا سماعها . هذا المحكوم عليه لم يصرخ : « العفو »!... « رحماكم »!... ومع ذلك ياله من عذاب تحمله !

إن البشر فى ضراوتهم لكى يفنوا بعضهم بعضًا . اخترعوا العذابات المفرطة فى التدقيق ، المبرحة للغاية ، التى لا يصيبون بها الحيوانات . وحالة السقوط التى يحطون بها من قيمة إخوانهم البشر هى أكبر شهادة دامغة على وجود روح الشر ، هذا الذى يسمى الشيطان . إن معسكرات الاعتقال وقاعات التعذيب وبعض المستشفيات الخاصة بطب الأمراض النفسية حيث يجد الأطباء فى حط المحكوم عليهم من قدرهم بميل وفرح شيطانيين سوف يظل ذكرها لعار هذا القرن العشرين بعد يسوع المسيح .

أراد يسوع أن يتحمل عذاب السوط حتى يحصل بآلامه على غفران هذه الجرائم ويجعلنا نفهم أنه تحمل كل هذه الآلام الرهيبة ، نيابة عنا ، ومن أجل مغفرة خطايانا ومصالحتنا مع الله .

(١٢) على الطريق المؤلم الذى يؤدى إلى الجلجثة

(مرقس ١٥: ٢٠—٢٢، لوقا ٢٣: ٢٦—٣٢)



فى شوارع أورشليم ، عشية الفصح ، سار ثلاثة محكوم عليهم ، حاملين صلبانهم ، نحو مكان الإعدام . إثنان قاطعا طرق ويسوع ... أُطلق باراباس وأخذ يسوع محله ... بعدما تحملوا ثلاثتهم جلد السوط ، يمكن الآن صلبهم خارج الأسوار .

الساعة حوالى الواحدة بعد الظهر . تحت قيادة فصيلة جنود يرأسها قائد مئة ، يتقدم المحكوم عليهم بالإعدام منحنين تحت ثقل عارضة خشبية محملة

على أكتافهم وموثقة بأذرعهم المنبسطة . كما يقضى قانون العقوبات : « على كل محكوم عليه أن يحمل آلة تعذيبه إلى مكان الإعدام ». فى الحقيقة لا يحمل المحكوم عليه كل صليبه ، قد يكون غير قادر على ذلك ، ولكن الرافدة الأفقية فقط . فى الواقع إن العمود الرأسى مغروز فى الأرض فى مكان الإعدام ذاته ويظل باقيًا بمثابة مشنقة .



يحمل يسوع ، اللوحة التى تدل على سبب الحكم عليه وهى معلقة بعنقه ، والتى توضع بعد ذلك لزامًا فوق رأسه على عمود الإعدام . ويمكن لكل شخص أن يقرأ ما عليها : « يسوع الناصرى ، ملك اليهود ».

يتقدم المحكوم عليهم وهم على وشك انحطاط القوى الكامل بعد جلد السوط ، مترنحين فى الأزقة الضيقة وسائرين حفاة على الحجارة المبلطة غير المتلاصقة تمامًا ، ويتعثرون فى اصطدامهم بالحجارة الناتئة . ينزلقون على كل أنواع الفضلات ويخاطرون بالانهيار على الدرجات الصاعدة دون أن يتمكنوا من النهوض ثانية . وإذا كان عبور هذا القسم من المدينة قصيرًا — لا يتعدى بضع مئات من الأمتار ، وهو يقام بمثابة عبرة للشعب — فالموكب المشؤوم لا يتقدم إلا ببطء .

فى عشية الفصح ، أعظم يوم فى السنة ، تكون الشوارع مكتظة بأناس كثيرين يتزاحمون . فهناك رجل يحمل حملاً على ذراعه أو زق خمر على الكتف احتياطًا لوجبة عيد الفصح ... والحمّارون يشدون بالحبال دوابهم المحمّلة ويضربونها ليجعلوها تعجّل بالسير وسط الجمع ... يحثهم حب الاستطلاع ، ويدوسون بعضهم بعضًا . زمرة من صبيان الأزقة تندس بين السيقان لتنظر عن قرب ... شبان وشابات يضحكون لرؤية هؤلاء البائسين الذين

يتعثرون ... ويسأل البعض : « من هو هذا »؟... وغالبية العامة تتهامس : « يبدو أنه يسوع الناصرى ، النبى المشهور إياه ».



ها هى الحالة التى وقع فيها هذا الشخص . كنا قد وضعنا أملنا فيه ، ولكن يالها من حماقة !... آه ، كم كان الفريسيون على صواب : كانت له سلطة سحرية ، سلطان شيطانى ليغرى الجماهير . ولكن الآن ظهر البرهان ، اختفت سلطته العجيبة ، لم تبق له موهبة شفاء العجزة أو تكثير الخبزات . ولو كان حقًا آتيا من الله ، لما تخلى الله عنه ... سوف يتحمل الآن عقابًا قد استحقه لأنه ضلل الشعب .

ورغم قصر المسافة التى كان يجب اجتيازها أدرك قائد المئة ، الذى يترأس المسيرة ، أن يسوع لم يعد قادرًا ، على الاستمرار فى حمل صليبه ، حتى ساحة الإعدام ، ولهذا أوقف فى الطريق فلاحًا قوى البنية راجعًا من حقله ،



ومستخدمًا حقه للتسخير ، **أجبر القائد هذا الفلاح على تخليص يسوع من عارضه صليبه وحملها هو إلى مكان الإعدام** . لأن الجنود الرومان هكذا متكبرون إلى حد أنهم لا يساعدون المحكوم عليهم ، فقد يكون هذا إذلالا بالنسبة إليهم .



قَبِل الرجل الذى سخره القائد ، ولكن على مضض . لم يقاوم ولم يهرب ، لأنه يعلم أنه خطر عليه ألا يطيع فورًا . **ويدعى هذا الفلاح ، قوى البنية ، سمعان . وكان قيروانيا** (من أحد أقاليم ليبيا الحالية ، التى تقرب من مصر). هل أتى إلى أورشليم للحج أثناء أعياد الفصح أو أنه رجع ، بعد فترة إقامة فى بلده ، يعيش فى القدس حيث يملك قطعة أرض فى ضواحى أورشليم ؟ لا يمكننا أن نحدد . على كل حال ، يبدو أن المحكوم عليه ، الذى خلصه سمعان

من حمل عارضته ، قد أثر فيه كل التأثير وحرّك مشاعره ، بما أنه أصبح فيما بعد مسيحيًا ، وعُرف هو **واثنان من أولاده ، اسكندر وروفس** .

وجد يسوع نفسه معفيًا من حمل عارضته ، ويمكنه الآن أن يتقدم على الطريق ... يحمل سمعان الصليب وراءه . ولكنه يجهل بعد قول يسوع : « من لا يحمل صليبه ويتبعنى لا يستحق أن يكون لى تلميذًا » (لوقا ١٤: ٢٧).



« يحمل صليبه »، هنا نشأت هذه العبارة ، وليس إلا هنا يمكن فهمها تمامًا : أمام مشهد يسوع ماشيًا ، حاملاً صليبه ، بين سياجين من أناس فضوليين أو معادين يثخنونه بالشتائم ويسرون بمشاهدة عذابه . لأن « حمل الصليب » ليس هو إلى حد كبير تحمل تجارب الحياة بصبر ، بل هو بالأحرى مواجهة مناقضات وتهكمات والتعرض لعدم فهم من طرف الآخرين ، وضغائن ، وسورات عنف قد تؤدى إلى الموت ... وذلك لأننا أصبحنا تلاميذ يسوع ، ولأننا نسير فى أعقابه ، ونطبق الإنجيل على حياتنا . هذا هو « حمل الصليب » بالنسبة للمسيحى . .

وفى عبور المدينة ، جلب الموكب المشئوم جمعًا لا يزال فى الازدياد . يوجد دائمًا فضوليون يحضرون عمليات الإعدام بدافع فضول فاسد ، برغبة فى انفعالات شديدة أو بانتقام .

ولكن ، على طول المسيرة ، لا يوجد أناس معادون فحسب ، فضوليون أو لا مبالون بالأحداث . **توجد أيضًا قلوب شفوقة . ويسوع يجد القوة الكافية لتوجيه بضع كلمات إلى هؤلاء .**

مع هذه النساء الشفوقات كان يوجد أكيدًا امرأة أخرى على الطريق . هى مريم أم يسوع . عندما أطلعوها على نبأ اعتقاله ، تبعت كل مراحل الحكم وصممت على مرافقة ابنها الحبيب بكل شجاعة حتى مكان الإعدام ... فهو الابن الذى أتاها من الله ذاته . من يستطيع أن يصف مشاعر تبادل نظراتهما ؟

إن قصة جديرة بالإحترام نقلت إلينا أن امرأة تدعى فيرونيك ، شقت طريقًا بين الجنود لتمسح وجه يسوع المغطى بدم وعرق وبصاق . يُحتمل أن هذه الحركة النبيلة التى تظهر هنا فى محلها تمامًا ، ربما تكون قد تحققت ، رغم أنها لم تُدَوَّن فى الأناجيل . لقد أظهرت أنه كان هناك من بين شعب إسرائيل أناسًا يعرفون الشفقة والرحمة .

(١٣) مشهد « الصلب » الرهيب

(مرقس ١٥: ٢٢ــ٢٧، متى ٢٧: ٣٤ــ٣٧، يوحنا ١٩: ١٧ــ٢٥)



اجتاز موكب المحكوم عليهم باب الأسوار الذى فى البقعة الجنوبية من شمال البلد . **وكان مكان الإعدام** قريبًا جدًا من هنا ، **ويسمى « الجمجمة »**، لأن هذا التل الحجرى (وهو مكان الإعدام) يشبه عن بعد جمجمة . **أخذ منها اسمه «الجمجمة » التى هى حالة الرأس بدون شعر ، التى يقال عنها بالعبرية « جلجثة »** واسم التل بالفرنسية Calvaire مأخوذ من الصلع calvitie. وهذا المكان على جانب الطريق ، كثير الحركة والمرور ، الذى فى اتجاه البحر .

بعدما صعدوا الجلجثة بصعوبة ، **قدموا ليسوع خمرًا ممزوجة بمادة كيميائية هى المر** ، شرابًا يخدر المحكوم عليه ويخفف آلامه . وكانت هذه عادة عند اليهود يقللون بواسطتها عذاب أوقات المحكوم عليه الأخيرة . فاحترم الرومان هذا التقليد . وكانت النسوة ذوات القلب الرقيق اللائى يرافقن يسوع قد تزودن بهذا المشروب وقدمنه ليسوع ، **فارتشف يسوع قليلاً** منه ليشكرهن على صنيعهن الجميل ، ولكنه اكتفى بذلك **وأعرض عن أن يشرب منه** . فلم يرد أن يخفف لديه الاحساس بالألم ، لأنه مصمم على أن يقبل حصته الكاملة من العذاب . **وكان تقريبًا الظهر عندما شرعوا فى صلبه .**

ابتدأوا بخلع ثيابه ، لأن المفروض أن يصلب عريانًا . وكانت العادة عند اليهود تتطلب أن توضع قطعة قماش حول الحقوين مراعاة للحشمة . كان



دمه يتقطر بغزارة ورؤيته محزنة للغاية ، منفوش الشعر وملوّث اللحية ، لم يمكنه أن ينحط أكثر من ذلك فى الخزى والاذلال .

والآن ، « ليصعد إلى الصليب »!... الصلب مشهد رهيب . هكذا يباشر الجنود — الجلادون ، الذين حصلوا علىٰ خبرة معينة فى هذا الميدان ، حتى يجنبوا المحكوم عليهم من انتفاضاتهم وتقلصاتهم الأخيرة : يبسطون العارضة على الأرض ويمددون عليها المحكوم عليه ويسمرونه ويربطونه عليها . وحتى يمنعوه من أن يتخبط ويتحرك ، يجلس أحد الجنود بثقل على ساقيه ويأخذ جنديان

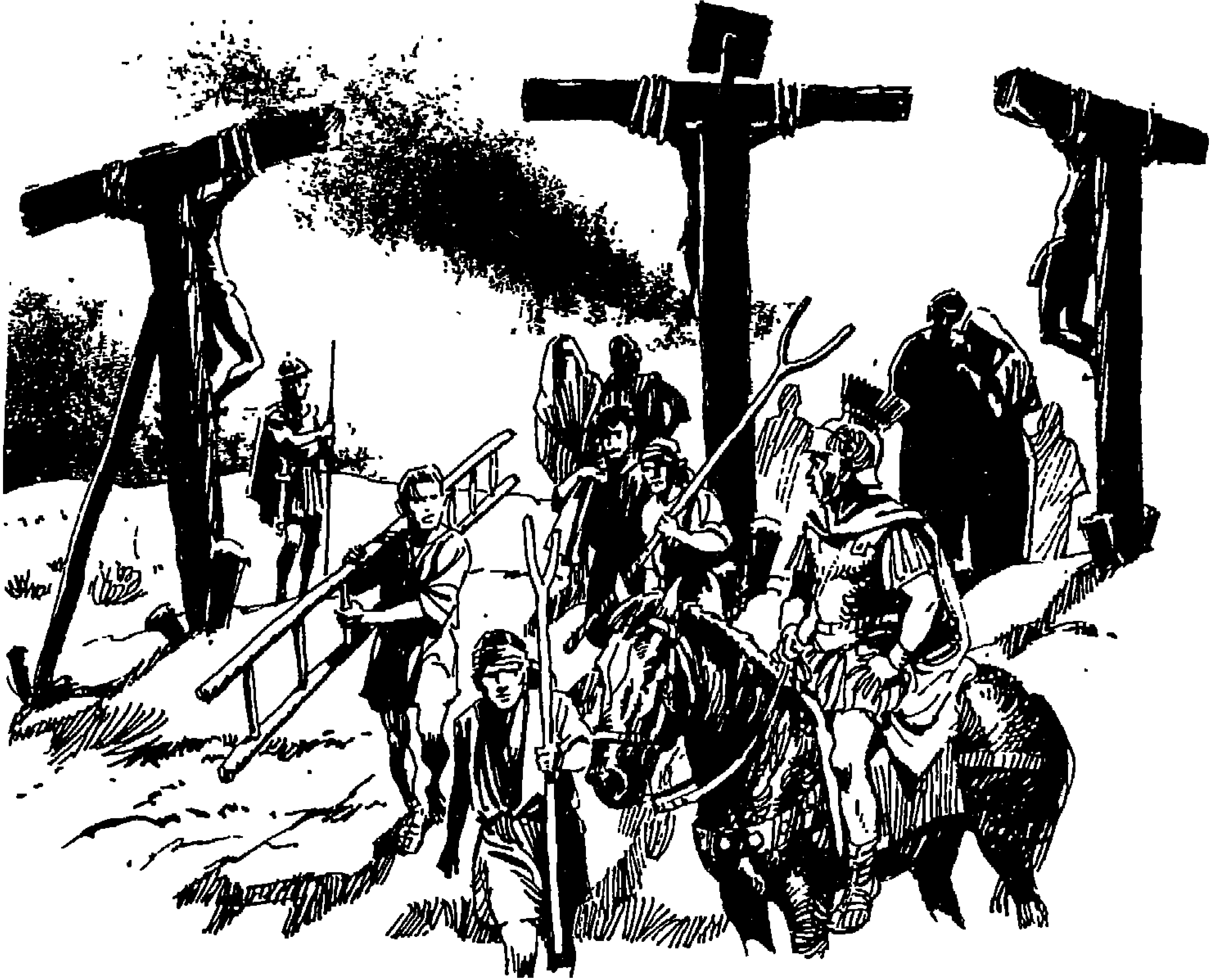
بذراعيه ويصوبان مسمارًا من المسامير التى تبرشم الروافد ، بقرب من المعصم ، إلى موضع الذراع حيث يكون الهيكل العظمى والأوتار قوية . يتمزق الجلد ويتنحى تحت ضغط حديد المسمار الذى يدخل بعنف بموجب ضربات مطرقة عنيفة . تتقلص الأطراف ويطلق المعذب صرخة رعب هائلة ، بينما عيناه تتسعان ذعرًا وألمًا .



وحينذاك ، يرفع جنديان العارضة التى تحمل المسكين معلقًا ويعلون بها عن الأرض ليركزوها على العمود فى الحزة المعدة لذلك . ويربطها بالوتد بمتانة حبل مُضَفّر . ويكون هكذا منظر المتعذب مؤسفًا للغاية ، إذ أنه متعلق فى شىء مادى ، مربوطًا بالمعصمين ، الأمر الذى قد يعجل بموته لأن ثقل الجسم يعوق حركة عضلات التنفس .

لهذا السبب كانوا يُجلسون المعذَّب على كعب خشبى يكون بمثابة مسند بين الفخذين . ولا تزال السيقان معلقة ، يسمرونها على العمود بمسمار ... يضغط كل الجسد على جروحات وهو مسند بكعب ضيق أو بحاجز من خشب ، بصفة أنه أينما أراد المعذب أن يبحث عن سند لا يجد إلا عذابًا مبرحًا

أكثر فأكثر . فعندما يرغب فى تفادى ألم عضو يضاعف ألم الأعضاء الأخرى ... إن الصليب حقًا هو « فراش الألم ».



فى ذلك اليوم صلب مع يسوع لصان . ووضع كل منهما على صليبه ، أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، بصفة أن يسوع يكون فى الوسط . وقد حصل هذا الحادث تحقيقًا لنبوءة قد سجلت فى الكتب المقدسة : « وضع فى عداد المجرمين ».

كتب فى الرقعة المثبتة على الخشبة التى تعلو الصليب : «يسوع الناصرى ، ملك اليهود ». والكتابة محررة بلغات ثلاث : بالعبرية لليهود ، واليونانية للأجانب ، واللاتينية لأنها لغة الرومان الرسمية . وتسهل قراءة ما كتب على أناس كثيرين : لأن مكان الصلب كان على باب المدينة ، وفى أيام عيد الفصح حيث كان يمر بهذا الموضع جمهور غفير .

بعدما أتموا عملية الصلب ، تقاسم جنود السُخرة الأربعة الذين يقومون

مقام الجلادين ، ثياب المحكوم عليهم . والعادة كانت تسمح لهم بذلك ، وهو تعويض لتعبهم . فكانت توجد المعاطف وأغطية الرأس والمناطق والنعال ... **وجعلوا منها أربعة أقسام** .

بقى قميص يسوع ، وهو تحفة نسج : **من قطعة قماش واحدة ، وبدون خياطة** . لعله من صنع أمه أو هدية من امرأة ميسورة كانت تؤمن بيسوع . قد يكون شيئًا مؤسفًا أن يتقاسموا القميص ، يدرك الجنود ذلك . فقالوا :

« **لا تمزقوا هذا !... لنقترع عليه** ».

فى تلك الأيام ، لم يكن الجنود يلعبون بورق لعب يمضوا ساعات انتظارهم أو أوقات فراغهم . ولكن زهر النرد كان تسليتهم المفضلة . وكانوا يحملون دائمًا معهم زوجًا من الزهر . فجلسوا على الأرض **ورموا الزهر** على القميص ، **وظفر أخيرًا به الفائز** .

(١٤) حمل الله



(متى ٢٧: ٣٨ـــ٥٠، لوقا ٢٣: ٣٤ـــ٤٦، يوحنا ١٩: ٢٥ـــ٣٠)

من صخرة الجمجمة ، يمتد البصر إلى البرية المجاورة وإلى مدينة أورشليم بأسوارها العالية وهيكلها المهيب .

فى أفنية هذا الهيكل ، وفى الزمن ذاته الذى رُفع فيه يسوع على الصليب ، دوت دقات البوق التى تعطى إشارة ذبح حملان الفصح التى تعلق بالآلاف فى كلاليب هذه المجزرة . بيد أن حمل الله ، وهو يسوع ، معلق أيضًا بين السماء والأرض ، ذبيحة فريدة على صخرة الجلجثة .

فى الصف الأول للجمهور الذى شهد الصلب ، يُلاحَظ **مندوبو مجلس اليهود وكتبة وأعضاء من حزب الفريسيين** . أنهم لاحقوا يسوع وطاردوه

طوال محاكمته ، ويريدون الآن أن يتلذذوا بانتصارهم ويمتعوا أعينهم بتشنجات ضحيتهم الأخيرة . **فهم يرمونه بسخرياتهم** التى تتخللها قهقهات ، لكى يقرّوا لأنفسهم بالحق ـــ حسب رأيهم ـــ ويكونوا مسموعين من الجميع. ويذكرون يسوع باستهزاء ، بينما يهزون رؤوسهم ، بالادعاء الجنونى الذى اتهموه به أثناء محاكمته :

« ماذا !... أنت الرجل الذى ينقض الهيكل ويبنيه فى ثلاثة أيام ، خلّص نفسك أولاً وانزل عن الصليب !... هل تفهمون ذلك ؟... قد خلص غيره ولا يقدر أن يخلّص نفسه !... أكثر من ذلك ، يدّعى أنه المسيح ، ملك إسرائيل . ماذا ينتظر ؟... هيا ! فلينزل المسيح ملك إسرائيل فورًا عن صليبه ! وفى الحال ، كل الناس سوف يؤمنون به ... ولكن هيا ! بما أنه على يقين من مساعدة الله ... ماذا ينتظر ليأتى ويخلّصه ؟... لاشك أنه يهتم به !... خاصة عندما يدّعى الشخص ويقول : « إنّى ابن الله »!

وكان جواب **يسوع** الذى وجهه إلى الذين يرمونه بهذه الاستهزاءات والشتائم والتحديات ؟... **يجيبهم** ببساطة **صلاة غفران** :

«يا أبت اغفر لهم ، لأنهم لا يدركون ما يفعلون ».



ينظر أحد اللصين المصلوبين باحتقار إلى يسوع هذا الذى يغفر لجلاديه . ويفكر فى أنه مجنون . آه ! لو أمكنه أن ينزل عن صليبه ، بأى فرح يمكنه أن ينتقم من الذين ينظرون إليه ويمتعون أعينهم بآلامه ! ولكن ، فى اللحظة ذاتها ، **يلقى هذا على يسوع مسئولية مصيبتهما** .

«بما أنك المسيح ، حسب ادعائك ، **ماذا تنتظر لتخلّص نفسك وتخلّصنا معك ؟»**

ولكن موقف يسوع كان له وقعه فى نفس اللص الآخر . لعله قابله من قبل أو شهد إحدى معجزاته . قد سمعه يتكلم عن ملكوت الله ، على هذا المجتمع الجديد الذى أعلن يسوع عن مجيئه لتأسيسه ، المجتمع الذى تطيب فيه الحياة ، ولن يكون فيه الإنسان ذئبًا للإنسان ، ويحب فيه الناس بعضهم بعضًا مثل الإخوة ، وبكلمة ملكوت يبدأ على الأرض ولكنه يدوم بعد الموت فى صداقة الله . وقد يكون أن هذا المسكين ، بعدما حاول أن يحيا حياة أفضل ، سقط من جديد فى انحطاطه ، وها هوذا تنتهى حياته على الصليب .



لكن لم يختف كل وميض فى ليلته ، ولم تطفأ الفتيلة تمامًا ، بل تخمد نار بسيطة تحت الرماد . **فوجد قوة الرد على زميله :**

« اسكت !... أنت على وشك الموت ولا تخشى حتى الله الذى سوف يحكم عليك ... أما نحن ، فقد استحققنا عقابنا ... أما هو ، فأقول لك إنه برىء ، ولم يعمل سوءًا قط ».

هل كان لابد من أن ذا السوابق ، المجرم وقاطع الطرق ، يكون الوحيد الذى يتكلم لصالح يسوع وهو على الصليب ؟ لكن هذه الشهادة الفريدة ، فى تلك اللحظة الأخيرة ، استحقت له ضوءًا مفاجئًا جعله يكتشف بشىء من الوضوح رسالة يسوع . إنه يدرك الآن أن حياته قد يكون لها معنى بعد ، وأن له آنذاك حظًا ، لعله أفضل حظ فى كل حياته ، وهو أن يتواجد فى تلك الساعة الحاسمة بالقرب من شخص مثل يسوع .

وعليه فهو ينظر إلى يسوع ويتوسل إليه :

« اذكرنى يايسوع إذا جئت فى ملكوتك ».

« إنى أعدك : ستكون اليوم معى فى الفردوس ».

« الفردوس » هو « بستان السعادة » والحياة والحديث بصراحة « قلبا لقلب »، فى عذوبة بستان رُوى ريًا حسنًا ، بقرب ينابيع متدفقة ، فى روضة كائنة وسط الصحارى التى تحرقها الشمس كما هى الحال فى بلاد الشرق ، هذه الحياة هى أفضل صورة تفصح عن حياة الصداقة والحنان ـــ قد جرى حديث فى أقدم التقاليد المعروفة عن بدء العالم وخلق الكائنات البشرية ، عن بستان ـــ فردوس حيث توجد شجرة الخلود .



حان الظهر تقريبًا . ولكن بدلاً من ظهور نور وسط اليوم الساطع كانت الشمس محجوبة بغيوم قاتمة على غير المعتاد فى ذلك الفصل ، **والبلد شبه غارق فى الظلام . وسوف يدوم ذلك حتى الساعة الثالثة بعد الظهر** . فكأن الطبيعة لبست ثياب الحداد . تظهر قبب المدينة البيضاء وأعمدة الهيكل أمام خلفية سمراء ضاربة إلى البنفسجى ... فاستولى القلق على الحجاج وساكنى المدينة

المقدسة كما يحصل عند قرب حدوث عاصفة رملية أو كارثة أرضية . وأسرع كل واحد ليجد ملجأ قبل هبوب العاصفة .

فترك حينذاك الجلجثة كثير من الفضوليين ليعودوا إلى منازلهم فى أسرع وقت ، ولم يكن مندوبو مجلس اليهود الذين كان عليهم أن يظلوا داخل الهيكل فى أيام الازدحام هذه ، آخر من هربوا من هذا المكان .

وقفت مريم هنا عند الصليب . وكان يرافقها بضعة أصدقاء وأقرب الأقرباء . وجاء أيضًا يوحنا ، رفيق يسوع الحميم . وحضرت أخت أمه مريم ... امرأة كلوبا ومريم التى من مجدل ، وتدعى المجدلية . رافق يسوع من الجليل أولئك النساء الشجاعات وخدمنه بسخاء فى فريق رفاقه العاديين . وتلاقَيْن فى الجلجثة مع يوحنا ، الوحيد من بين الرفاق .

فى هذه الجماعة الصغيرة من الأصدقاء ميز يسوع فى هذه اللحظة الأخيرة الشخصين اللذين يفضلهما فى معزّته ، وتربطه بهما الروابط العاطفية الأخيرة التى صمم على أن يتجرد عنها ، وبهذا أصبح عوزه كاملاً فى الميدان الإنسانى ، وظل وحده مع أبيه .

فرأى يسوع أمه وإلى جانبها يوحنا . من سيهتم الآن بأمه المسكينة ؟... أدار رأسه منها إلى يوحنا ومنه إليها ، وأوكل إليهما كلمات الحب الأخيرة هذه ، النابعة من قلبه البشرى .

« أماه ، هذا ابنك ».

«وأنت ، أيها التلميذ ، هذه أمك ».

من تلك الساعة ، أخذ يوحنا مريم إلى بيته كأمه .

هكذا كلف يسوع هذين الشخصين برسالة متبادلة : مريم فى دور أم جميع التلاميذ الذين يمثلهم يوحنا ، ويوحنا فى دور ابن مريم بالتبنى . وهذه الكلمات تكوّن نوعًا من البرهان على أن مريم لم تنجب ولدًا آخر غير يسوع ، وإلا لما احتاج يسوع أن يعهد إلى يوحنا بأمه .

حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، فى الصمت المؤثر الذى لم يقطعه إلا أنين

المعذبين الأجش ، **صاح يسوع بغتة** :

« **إلهى ، إلهى !... لماذا خذلتنى ؟**».

تعبّر هذه الكلمة عن ضيق الإنسان الهائل الذى يشعر بأن كل شيء وكل إنسان تركاه فى لحظة الموت الفاجعة : يرى المحتضر نفسه على وشك الدخول وحده فى نوع من تيه لا يرافقه فيه أحد ، حتى ولا أقاربه ولا الأصدقاء الحميمون الذين يحيطون به . الحقيقة أن يسوع أخذ وضعنا البشرى ، فلابد إذن من أن يعرف حزننا الفائق .

ولكن ليس هذا الضيق الذى يعبر عنه يسوع يأسًا البتة . لأن يسوع يعرف تمامًا أن "اه لم يتركه . فالكلمة التى يلفظها بداية صلاة مشهورة هى المزمور ٢٢ ، الذى يعود عهده إلى أجيال عديدة مضت ، وإلى برىء مضطهد يشكو مصائبه إلى الله . فى الواقع أن هذه الصلاة تنتهى برؤية رجاء وانتصار . يبدأ يسوع فى تلاوة هذا المزمور ، ولكن خانته قوته الجسدية فلم يقدر على متابعة تلاوته .



عند سماع صرخة يسوع « الهى الهى !» التى يلفظها بلغته : « **ايلى ، ايلى** » ، **تخيل بعض** الذين لا يزالون فى الجمجمة **أنه يطلب النبى ايليا لنجدته** ، وهو الذى كان الشعب يتوسل إليه فى نكباته :

« **ها هو يدعو ايليا الآن !**».

لكن ، وهو يطلق دعوته الأخيرة ، كاد المحتضر يقتلع حلقه ، لفرط ما تلتهمه الحمى . **وسمعوه يتنهد** : « **أنا عطشان !**».

اعتاد الجنود ألا يخرجوا لمهمة دون أن يحملوا معهم زمزمية خمر أو بالأحرى بعضًا من ماء قليل الحموضة والمرارة تخفف العطش . **وأحد الجنود** ، تدفعه فى الغالب بقية من الإنسانية ، **بلل إسفنجة خمرًا حامضة ، وشكّها فى رمحه وقرّبها من فم يسوع** .

فصاح فيه زملاؤه : « **لا ، لا ، انتظر قليلاً لنرى ... لعل إيليا يأتى بالصدفة لينزله عن الصليب** !... وشرعوا يقهقهون .

بعدما ذاق شيئًا من هذه الخمر الحامضة ، قال يسوع :

« **تم كل شيء !** بمعنى : قد أديت رسالتى بأكملها ، والآن يمكننى أن أموت ».

وفى تنهد انخطاف أخير أضاء وجهه ، تلا صلاة المزمور ٢٣ ، وهى صلاة ثقة فى الله ، كانوا ينصحون المؤمنين أن يتلوها قبل منامهم .

« **ياأبتاه ، فى يديك أجعل روحى !**»... **كأنه يقول** : **عليك ياأبت أن تحقق الباقى ... تكلم يسوع مثل الذى ينام فى المساء بثقة فى مشرق الصباح الذى لن يغيب أن يبرق** .

أخيرًا ، فى قشعريرة أخيرة ، خر وترك قلبه يتفتت . **ثم أحنى رأسه وأسلم الروح** . وبذلك حررنا من عبودية الخطية ومزق الصك المكتوب علينا .

لقد تجسد يسوع ليخلص البشر من الشر ، ليحررهم من العبودية للشيطان والخطية ، ولذلك أعطينا هذا الكتاب عنوان « المحرّر ».

كان عيد الفصح فى أورشليم يعيد ذكرى تحرير الشعب العبرى ، الذى وقع فى العبودية فى مصر . وكان الله قد أقام لهم محررًا : هو موسى ... ولا يزال الله يريد تحرير جماعات المضطهدين . لا بل يريد أن تلاميذه يعملون فى هذا الميدان مثلما تدخل هو لصالح الشعب العبرى فى القديم .

هذا الفصح الأول ــ هذا العبور ــ كان إعلانًا وصورة لفصح تحرير آخر ، يقوده موسى الجديد ، الذى هو يسوع . لأن البشرية جمعاء تحتاج إلى أن تنتشل من عبودية أكثر رعبًا ، هى عبودية الشر والخطيئة اللتين تصيبان كل الكائنات فى صميم كيانها .

إن الشر ، الذى يشخصه الشيطان ، هو سر غامض بالنسبة لنا نحن البشر . يوجد الشر بصرف النظر عنا ، ولكن ، بسوء استعمال حريتنا ، التى تكوّن عظمتنا وكرامتنا ــ نستسلم لاغرائها الذى هو عظيم . وهكذا نصبح أسرى قوى الشر ، وبالتالى منفصلين عن الله الذى يبغض الشر . وهذه ، فى الميدان الروحى ، حالة يائسة نحن عاجزون عن أن نتحرر منها بقوانا الشخصية .

كان فى مقدرة ابن الله وحده أن ينزل إلى تلك الهاوية المغلقة ، يواجه فيها سلطات الشر ، ويحطم سلطانها على البشرية الأسيرة . إن يسوع ، ببذله ذاته عنا على الصليب ، أمكنه أن يصالح البشرية مع الله . ولكن فى عمل هذا التحرير ، عرَّض ذاته ، مجردًا من السلاح ، لاعتداءات الأشرار . كان يعلم أنه يجازف بحياته وقبِل الموت حتى لا يخون رسالته ، وأعطى بهذا أكبر برهان لحبه .

وهنا يطرح سؤال : كيف أمكن يسوع أن يتفوق على كل الجنس البشرى ؟ هو أنه ، رغم كونه ابن الله ، أصبح إنسانًا ، واحدًا معنا ، من جنسنا البشرى حقًا . عندما ظهر فى العالم وفى التاريخ ، كان نموذج البشرية الجديدة . يحمل فى شخصه غفران الله والسلطة الكافية ليشركنا فى الحياة الإلهية التى هو مفعم بها . وبتضامنه معنا جميعًا ، أخذ على عاتقه إثمنا وخطايانا .

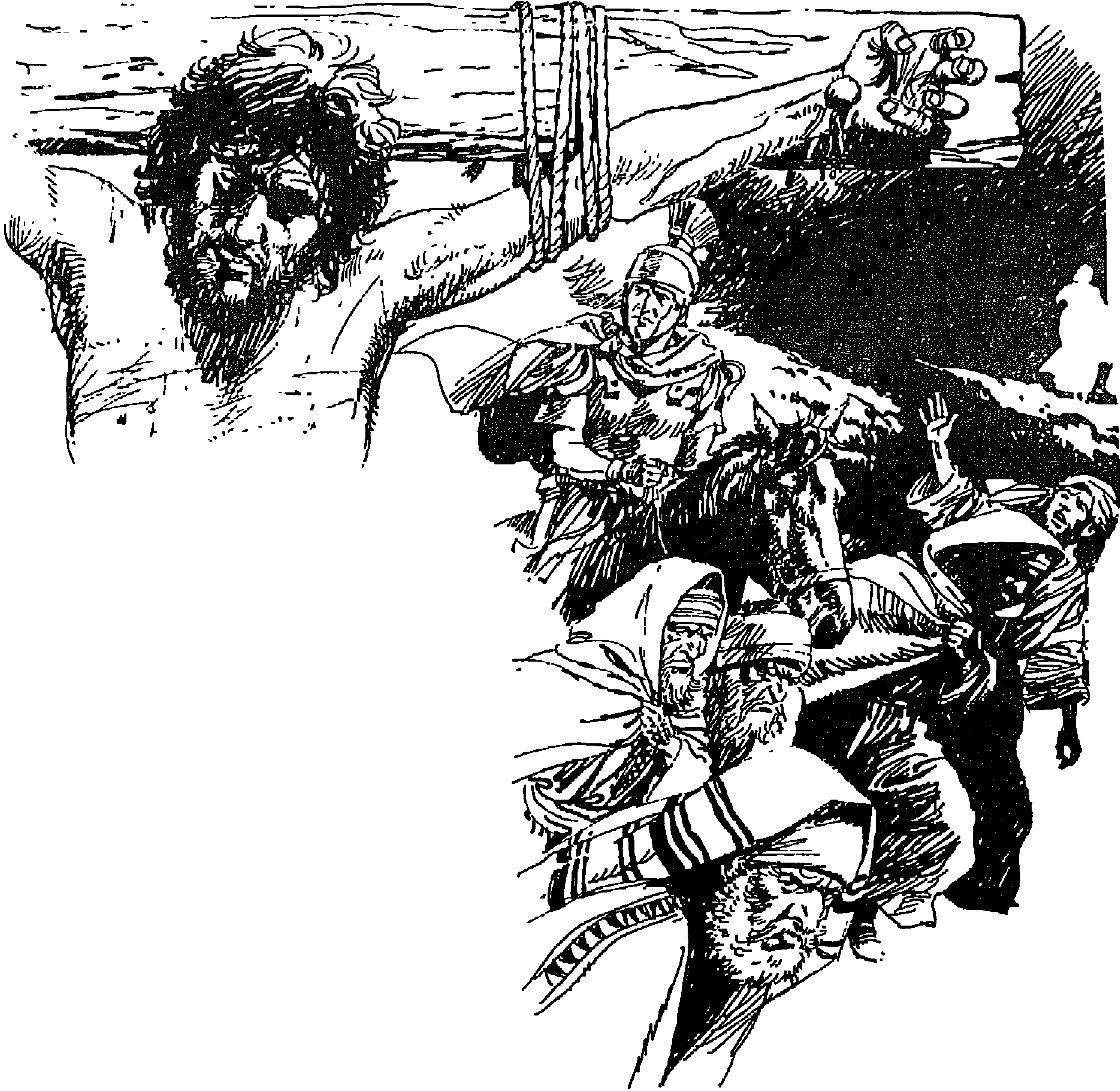
فى الجمجمة ، دشّن يسوع هذا الانفتاح الجديد نحو الله عندما قال للشرير الذى كان تائبًا عن حياته السيئة وواضعًا ثقته فى يسوع : « إنى أعدك سوف تكون معى اليوم فى الفردوس ». لأن هذا الرجل اتحد مع يسوع وقبل أن يستسلم لتحريره من عبودية الشر . جرى مجرى يسوع ، الذى هو نموذج البشرية الجديدة . وصل إلى الله ، فنال « الخلاص ». وهذا ما تعنيه العبارة : « حقق خلاصه ».

أعطى يسوع حياته من أجلنا . ولقد قال : « وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع ، أى عندما أصلب ، أمارس سلطة جذب الجميع » (يوحنا ١٢: ٣٢)

(١٥) ظاهرة روحية تنعكس على الطبيعة

(متى ٢٧: ٥١ــ٥٤، مرقس ١٥: ٣٨ــ٣٩، لوقا ٢٣: ٤٧ــ٤٨)

إن موت يسوع ، هذا الحادث ذو المدى الكونى فى تاريخ العالم ، الذى حدث على صخرة الجلجثة ، قد أطلق ظاهرة روحية انعكست على الطبيعة . لأن كل شىء متماسك فى الكون : كل واحد يعمل لحسابه الشخصى ، وذات



حياته . إن الخوف يجعله يرتعش وإن هزة نفسية قوية تجعل قلبه يخفق . فكل من الجسد والنفس له رد فعل على الآخر .

تقول لنا الأناجيل إن ظواهر غريبة رافقت موت يسوع . منذ الظهر ، وهو ساعة الصلب ، كانت مدينة أورشليم مستغرقة فى نصف ظلام ، **وتزلزلت الأرض وتصدعت الصخور وتفتحت القبور ، وانشق الستار الذى كان يحجب قدس الأقداس عن الأنظار** ، هذه الظواهر كلها ، عبرت بصورة أخاذة عن مدى عظمة الحادث الذى وقع فى الجمجمة : إن القبور تفتحت ، ويعنى ذلك أن الموت قد انغلب ، وستار الهيكل انشق ، ومعناه أن البلوغ إلى الله ، الذى كان عظماء الأحبار يحتكرونه ، لأنه حق الدخول وراء ستار قدس الأقداس كان محفوظًا لهم وحدهم ، هذا البلوغ أصبح من الآن فصاعدًا ممكنًا لجميع البشر بدون أى تمييز بين الشعوب والأجناس والثقافات .

إن الذين لا يزالون بعد فى الجمجمة قد فوجئوا بهذه الظواهر الغريبة . وسرعان ما فهموا أن لها علاقة مع موت يسوع . لعلهم أحسوا بأن ضميرهم يؤنبهم ، فأسرعوا فى الرجوع إلى المدينة . **أما قائد المئة** ، وهو عضو من أعضاء الحرس الرومانى ، فأمكنه أن يقدر كرامة يسوع ، وفهم أنه شاهد وفاة إنسان من مستوى عالٍ جدًا ، **فلم يسعه إلا أن يقول** :

« حقًا إن هذا الرجل كان ابن الله ».

(١٦) « سينظرون إلى الذى طعنوه »

(يوحنا ١٩: ٣١ــ٣٧)

نحن فى عشية سبت الفصح العظيم : أكبر يوم احتفالى من أيام السنة . **أثناء هذا العيد ، لا يجوز أن يترك محتضرون أو أموات على صليبهم** : قد يكون هذا ، فى عقلية يهود ذلك العصر ، تدنيسًا للأرض المقدسة الذى قد يجلب عليهم لعنة إلهية .

قبل بيلاطس ، استجابة لطلب رؤساء اليهود ، أن يقصّر زمن نزاع المصلوبين : ويكفى لهذا أن تكسر سيقانهم فى هذه الحالة ، تخر أجسامهم

تمامًا ، لعدم وجود نقطة ارتكاز تسمح لهم بأن يعتدلوا . ولكونهم معلقين بأذرعهم فقط ، عاجزين عن التقاط أنفاسهم ، فسرعان ما يموتون مختنقين .

حفاظًا على التعليمات يكسر الجنود الجلادون ، بضربات هراوة ، **سيقان المصلوبين مع يسوع . أما بالنسبة إليه ، فلا داعى لذلك لأنهم وجدوه قد مات . غير أن أحد الجنود** ، إرضاء للضمير ، **طعنه بنصل رمحه فى جنبه .**

ويوحنا التلميذ ، الواقف بالقرب منه ، رأى أنه جرى منه دم وماء . وكان هذا تحقيقًا للتوراة ، فالدم يشير إلى أنه قدم نفسه ذبيحة من أجلنا ، والماء ، يشير إلى الحياة التى أصبحت لنا فى موته .

كونهم لم يكسروا عظام جسد يسوع مثلما فعلوا للمجرمين الآخرين ، وأنه طعن برمح الجندى ، **قد ذكّر يوحنا** ، عندما حرّر إنجيله ، **بفقرتين** مشهورتين



من الكتب المقدسة . **كانت إحداهما تنهى أن يكسر أى عظم من عظام حملان الفصح** (سفر الخروج ١٢: ٤٦). والحقيقة أن يسوع هو حمل الله الحقيقى ،

مثلما سرّ يوحنا المعمدان بتسميته ، وحل محل كل الحملان التى كانت فى تلك الساعة (ساعة موته) تذبح فى هيكل أورشليم . وكانت الفقرة الثانية لدى النبى زكريا (١٢: ١٠) تتكلم ، منذ أجيال عديدة مضت ، عن خلاص غير منتظر قد يتأتى من عذاب ابن فريد وموته السرى : « **سينظرون إلى الذى طعنوه** ». لماذا يذكّر يوحنا بهذه الكلمة فى هذا المكان من إنجيله ؟... لعله أراد أن يعطى هذه الكلمة مدلولاً ، يعنى أن الخطيئة ، تمثل طعنة موجهة إلى قلب الله .

(١٧) الجسد المحنط فى كفنه موضوع فى أسفل القبر الذى توصده رحى من حجر

(مرقس ١٥: ٤٢ــ٤٧، لوقا ٢٣: ٥٠ــ٥٦، يوحنا ١٩: ٣٨ــ٤٢)

لا يزال جسد يسوع معلقًا على عمود الصليب . الجمع ، الذى شاهد الصلب ، ترك الجمجمة شيئًا فشيئًا ، وعقب الهدوء الضوضاء ، ومال النهار .

حينئذ **جاء** شخص يدعى **يوسف الرامى** : واحد من طبقة الملاك الأشراف فى البلد . **هو رجل** صالح ، بار ، **تلميذ ليسوع فى الخفية** ، لا يجرؤ على أن يُجاهر برأيه . **عضو فى جمعية مجلس اليهود العليا ، لم يقرّ تصرف زملائه ولا قرارهم فى مسألة يسوع** . فحالما علم بموته ، **تشجع وذهب لملاقاة بيلاطس**



وطلب منه الإذن بأن يأخذ على عاتقه الاهتمام بجسد يسوع .

حسب النظام المتبع ، لابد من إلقاء جثث الأشرار فى مقبرة عامة . سأل بيلاطس إذا كان يسوع قد مات ، وبعدما تحقق الخبر من قائد المئة المسئول عن الخدمة فى ذلك اليوم ، أمر بأن تسلّم جثة يسوع إلى يوسف الرامى ... ويمكن أن يكون بيلاطس قد تلقى مقابل هذا قدرًا من المال .

أسرع يوسف الرامى إلى الجمجمة . يرافقه نيقوديموس وهو الآخر عضو فى مجلس اليهود مثله وتلميذ ليسوع أيضًا ، لكن سرًا . لم يخشَ الآن هذان الصديقان أن يخاطرا بسمعتهما . هما من رجال المكانة والسلطة . ومعهم قد تتطور المواقف ، إلى جانب أن لهم الإمكانات للتغلب على الصعوبات . فما لم يكن فى مقدور نساء الجليل البسيطات ولا التلاميذ الذين يخشون السلطة العامة ، قد يسهل عليهما عمله .

أنزلا جسد يسوع عن الصليب ، وسمحا لأمه مريم وتلميذه يوحنا والمجدلية وللنساء الأخريات أن ينظروا إليه مرة أخيرة ليطبعوا ملامحه فى ذاكرتهم . ثم ضمنا له غُسلاً لائقًا . ولفا الجثة فى كفن كبير مشرّب بطيب ، وشدّا على الكل بشرائط ، كما تقتضيه العادة عند اليهود .

الوقت يستعجلهم ، والليل يسدل ستاره بسرعة . بدأ سبت الفصح العظيم يضىء . وفى الواقع ، جعلت الأضواء التى ظهرت فى كل مكان عشية الفصح أن بدت مدينة أورشليم مضاءة من علو أكمة الجلجثة . وعند غروب الشمس ، سوف تدوى أبواق الهيكل لإعلان بداية السبت ، واعتبارًا من تلك اللحظة لابد من أن يتوقف كل عمل . سيحل وقت الراحة المقدسة . فلابد إذن أن يجدوا سريعًا مقبرة شاغرة فى الضواحى .

واتفق أن يوسف الرامى كان يملك بستانًا قريبًا جدًا من الجلجثة ، وكان قد حفر فيه مقبرة فى منحدر صخرة . وكانت مقبرة حديثة ، لم يدفن فيها أحد بعد . اعتادت الأسر الغنية أن تهتم ، وهى على قيد الحياة ، بدفنها . وهذه القبور المحفورة فى جدار صخرة ، تبدو هكذا : من الخارج ينزل درج حتى فتحة سفلى ، يغلقها حجر كبير ، مستدير ، يشبه رحى طاحونة . يوضع هذا الحجر فى جفنة محفورة فى جانب منه على حائط القبر . يدحرج الحجر أمام

المدخل لغلق المقبرة ، ويرجع إلى الوراء فى جفنة لفتح المقبرة . وفى الداخل ، تستعمل مغارة أولى كغرفة انتظار . تودع فيها لوازم دفن الموتى ، وتوقد نواسات زيت . وفى المغارة الثانية ، تحفر فجوات فى الجدران مباشرة أو ترتب مقاعد من حجر لوضع الجثث .

وضع يوسف الرامى ونيقوديموس جسد المسيح فى القبر ودحرجا الحجر الكبير ليغلقا المدخل .

حضرت **المجدلية وباق النساء . ولاحظن جيدًا أين وضع يوسف الرامى ونيقوديموس جثة يسوع ، وكيف كان وضعها فى القبر ، وذلك بالطبع لأن نيتهن كانت الرجوع إلى القبر فيما بعد . ولكنهن يعرفن أنه لا بد من الانتظار إلى صباح الغد ، حتى يحترمن راحة السبت المقدسة والضرورية .**



(١٨) « لماذا تطلبن الحى بين الأموات ؟»

(يوحنا ٢٠: ١ــ١٨، مرقس ١٦: ١ــ٥)



في غداة يوم الأحد ، انطلقت المجدلية نحو القبر . ترافقها مريم أم يعقوب وسالومة . إن لم يجئن يوم السبت فلأن مراعاة الراحة فى ذلك اليوم لم تسمح بقطع مسافة طويلة بعض الشىء . وكن يحملن معهن توابل وأطياب لتحنيط جسد يسوع ، الذى عمل على عجل ، كما نتذكره .

وكن يتساءلن فى الطريق عن مسألة الحجر الذى يغلق مدخل القبر . هل يجدن فى جوار القبر رجلاً قويًا وخدومًا يساعدهن على دحرجة الحجر ؟





لكن عند وصولهن ... ياللدهشة !... كان الحجر قد أزيل عن القبر ... والقبر مفتوحًا ... فألقين نظرة إلى الداخل ... لا يوجد جسد فى القبر .

فاضطربت المجدلية لظنها أن أناسًا تجاسروا على انتهاك حرمة القبر وجسد يسوع ، ولما كانت أنشط النساء اللواتى كن يتبعن يسوع ، **حثت السير إلى بطرس ويوحنا** وأقنعتهما بأن يذهبا ويتحققا الأمر شخصيًا .



فخرجا إلى القبر ، يسرعان السير ، وكان يوحنا أصغر سنًا من بطرس وأخف حركة ، فوصل قبله . وكان قلبه يخفق بقوة عظيمة لكنه لم يجرؤ على الدخول . فانتظر بطرس ، الذى وصل بدوره إلى القبر **يلهث ودخله** .

ماذا اكتشف كلاهما ؟!.. **القبر شاغر ، والجسد غائب . بقيت الأكفان والشرائط ، ولكنها فارغة أيضًا** . بداهة ، لم تحصل سرقة للجسد أو خطفه كما تراءى للمجدلية ، فلا أثر اضطراب فى القبر . والأكفان التى استعملت لدفن جسد يسوع قد بقيت فى وضعها ولم يُغَيِّر ترتيبها ، إلا أنها هابطة ، لأن لا جسد بداخلها . ولو كان أناس قد جاءوا ليخطفوا الجثة سرًّا لحملوها مثلما كانت ملفوفة فى الأكفان ... أو كانوا سرقوا الجثة عارية وألقوا الأكفان

بدون ترتيب فى القبر .



ترك بطرس القبر ... ولكن يوحنا كان أكثر بصيرة ، فكأنه شعر مسبقًا بما تم . معروف أن الحب يعطى أحيانًا حدة حدس كبيرة . أمام حالة الأكفان الموضوعة على حجر القبر ، والتى هى الآن فارغة ، **فهم** يوحنا **ما حصل ، لأنه تذكر ما أعلنه يسوع من أنه يجب أن يقوم من بين الأموات ، فرأى وآمن .**

ورجعت مريم المجدلية إلى القبر ، نظرت مرة أخرى إلى الداخل ثم خرجت وشرعت تهيم وهى تبكى فى وسط خمائل البستان . وكان رجل واقفًا هناك . لكنها لم تحفل به : إنها ترى الأشخاص والأشياء خلال دموعها كأن الجميع فى ضباب . **فحسبت الرجل الواقف حارس البستان** ومسئولاً عن حراسة المدفن .

فسألها الرجل :

« ما يبكيك وعمن تبحثين ؟»

قالت المجدلية فى نفسها : بما أن هذا الرجل يسألنى عمن أبحث ، فلابد أن يكون على علم بالأمر ، وارتابت فيه : لعل هذا الحارس قد اعتبر تدنيسًا أن يدفن هنا شخص غريب فى قبر سيده ... فعسى أن يكون هو الذى نقل

جسد يسوع من هنا بواجب أمانته نحو سيده أو مبالغة فى بذل نشاطه !

« آه ! أتوسل إليك ، إذا كنت قد أخذته ، فقل لى أين وضعته لآخذه ».

فأجابها بكلمة واحدة ... ولكن بلهجة الصداقة التى تنفذ إلى القلب مباشرة :

« **مريم !**»... : لماذا تطلبين الحى بين الأموات ؟

وكان هو يسوع القائم من بين الأموات .



فى الحال عرفته المجدلية : « **يا معلم !** »

وأرادت أن تمسك رجليه لتقبّلهما . لكنه قال لها :

« لا تمسكينى هكذا ، لأنى صاعد إلى أبى الذى فى السموات . ولكن اذهبى وأعلنى هذا الخبر إلى جميع رفاقى ».

بطريقة الكلام هذه ، يريد يسوع أن يقول إنه ينتسب إلى عالم آخر . فهو انتقل من وضع أرضى إلى وضع عالم الله . هو يسوع ذاته ولكنه مختلف كل الاختلاف : إن طاقة الألوهية تجلّيه . تخطىء المجدلية بظنها أنه سيبقى على الأرض كما كان فيما مضى . ويظهر يسوع لها خطأها ، لأن علاقات هذا

العالم العادية لن يكون مسموحًا بها مع يسوع بعد ، أى أن نراه ونلمسه ونتحدث معه ونقبّله . كل ذلك غير ممكن منذ الآن وسوف ينتهى عن قريب ... ولكن لن يترك يسوع ذويه : سوف يكون دائمًا معهم ، وسيكون حضوره الذى لا يزال حقيقيًا ، حضورًا من عالم مختلف . وعن قريب سيفهم تلاميذه ذلك .



فأسرعت المجدلية قدر طاقتها لتنبه الرفاق . ووجدتهم فى انهيار وحداد . **فصرخت فيهم :**

« **رأيت يسوع حيًا !... قد قام !** »

وأبلغتهم رسالتها .

لكنهم هزوا رؤوسهم ، غير مصدقين ، وظنوا أن بها هلوسة وشبه جنون :

« أيتها المجدلية ، إن حبك الفائق يضلك !... هيا ، استرجعى وعيك وتأملى ... ما تقولينه محال !».

لا غبار على التلاميذ ... إنه من الصعب جدًا أن يؤمنوا بهذه القيامة .

لا يزال الحدث سريًا : لم يتمكنوا من أن يروه ، ولا يسجلوه ولا يصوروه على شريط سينمائى ، وحصل بدون شهود . إنه حادث من عالم الله ويخفى إذن علينا . لكنه أيضًا حادث حقيقى فى تاريخ الإنسانية ، لم يكن لأى حادث آخر نفس وقع القيامة فى حياة العالم .

يعطى إنجيل متى (٢٨: ٢ــ٤) وصفًا شعريًا فى سرد أحداث القيامة ليظهر

أن له بعدًا كونيًا . الذى ينقضّ من السماء على القبر ، هو ملاك الله ذاته ، وذاك عمل الله وهو يقيم ابنه من بين الأموات . على الحجر المدحرج أمام القبر المفتوح جلس الملاك منتصرًا ليشير إلى الظفر على الموت الذى عجز عن الاحتفاظ بضحيته ويمثل الحرس أعداء يسوع وغير المؤمنين : ازاء الحياة التى هى يسوع القائم ، يعتبر الحراس أمواتًا . وها هو تعليم هذا المقطع من الإنجيل .

تتكلم مقاطع أخرى عن الملائكة فى القبر . لاشك من وجود الملائكة ، ولكنهم غالبًا ما يعتبرون فى أسفار الكتب المقدسة تعبيرًا كتابيًا تعطى بموجبه تعاليم دينية أو تكلف رسالة من لدن الله . فمعنى ذكر الملائكة أن الله موجود هنا ويعمل .

إن « القبر المقدس »، كما يدعى قبر يسوع ، هو أشهر قبر فى العالم . تحارَبَ الشعوب مدة أجيال ليحصلوا عليه . اقتطعت المغارة من التل وبنيت فوقها كنيسة رئيسية كبيرة حوالى سنة ٣٢٠ على يد الإمبراطور قسطنطين . وهدم الفرس الكنيسة ودكوا المغارة . فلم يبق اليوم إلا أرض هذه المغارة المقدسة التى يمكن تكريمها فى صرح صغير تحت قبة كنيسة رئيسية جديدة بنيت فى القرن الثانى عشر . ويذهب هناك للحج مسيحيون من العالم أجمع . وهذا المكان من الأمكنة النادرة تاريخيًا .

(١٩) عرفاه عند « كسر الخبز »

(لوقا ٢٤: ١٣ــ٣٥)



فى مساء نفس اليوم كان اثنان من تلاميذ يسوع راجعين إلى عمواس ، قرية ريفية صغيرة تقع على مسيرة ساعتين من أورشليم .

بينما كانا يتحادثان بلا كلفة ويتبادلان انطباعاتهما ، لحقهما شخص على الطريق ، هو يسوع . أخذ يمشى على مقربة منهما دون أن يتعرفا عليه ... لأن يسوع ينتسب إلى عالم جديد ، فحتى يتعرف عليه شخص لابد من أن يتجاوز ذاته .

وشرع المسافر الغريب فى التحدث معهما :

« ما هذا الحديث الذى تخوضان فيه وأنتما سائران ؟.. إنى أراكما مكتئبين ».

عند هذا السؤال ، وقفا :

« فأجابه أحدهما واسمه كليوباس : كيف يمكنك أن تطرح علينا مثل هذا السؤال ؟ أنت الحاج الوحيد فى أورشليم الذى لا يعلم ما حدث فيها منذ بضعة أيام ».

« آه ! وماذا ؟»

« ما حدث ليسوع الناصرى !... الذى كان رجلاً عظيمًا ، نبيًا حقق



علمنا أمورًا خارقة ونطق بأقوال لا تنسى ... أحبارنا ومحكمتهم بأ:معها أسلموه ليحكم عليه بالموت ويصلب . أما نحن ، تلاميذه ، فكنا نرجو أن يكون هو محرر أمتنا إسرائيل . لكن للأسف ، فهذا هو اليوم الثالث لتلك الأحداث التى وقعت .

غير أن بضع نسوة من جماعتنا سردن لنا أمورًا غريبة : فإنهن بكرن إلى القبر فلم يجدن جسده . فأتين وقلن إنهن أبصرن ملائكة تراءت لهن وأكدوا لهن أنه حى . فذهب بعض أصحابنا إلى القبر ليتحققوا ما سمعوا فوجدوا الحال على ما قالت النسوة ولكنهم فى الواقع لم يروه .

« كم يصعب عليكما أن تدركا وتؤمنا بكل ما أعلن عنه الأنبياء ! ألم يتنبأوا بوضوح بأنه كان يجب على المسيح أن يعانى كل هذه الآلام قبل أن يبدأ ملكه المجيد ؟».

ثم أخذ يسوع يفسر لهما ، مبتدئا من أول التاريخ ، كل مقاطع الكتب المقدسة التى تتكلم عن المسيح . وفى عمق قلبهما استعادا رجاءهما ... لأنهما فى الواقع لم يتخيلا قط تأويل الكتب المقدسة بطريقة مثل هذه .

ولكن ها هى عمواس ، والمسافران قد وصلا إلى قريتهما . أظهر لهما يسوع أنه ماضٍ إلى مكان بعيد ، فتوسلا إليه أن يبقى معهما :

« **أمكث معنا ، فقد حان المساء ومال النهار** ».

ولبى يسوع طلبهما .



جلسوا للطعام . وها هو المسافر الغريب يتصدر المائدة : **أخذ الخبز وتلا صلاة البركة ثم كسره وناوله لرفيقيه** . عند سماع كلماته ورؤية حركته ، **انفتحت أعينهما ... وعرفاه ...**

ولكن ... ليس يسوع هنا ... إنه قد توارى عنهما . فى حياته الجديدة ، حياة القائم من بين الأموات ، هو لا يخضع قط لقوانين هذه الأرض ، للزمان والمكان ...



تبادل التلميذان النظرات ، منذهلين ، ولكن سرعان ما استعادا وعيهما :

« من الأكيد أنه هو ... قد قام حقًا ... آه ! ها هو النصر !... كان علينا

أن نتوقع ذلك من قبل ... « **أما كان قلبنا متّقدا فى صدرنا حين حدثنا فى الطريق وفسر لنا الكتب !**»

عاش هذان التلميذان منذ لحظة المقابلة مع يسوع فى مشاركة : فى « كسر الخبز » حسب أقوال المسيحيين الأولين ... لأن مسيحيى عصرنا محظوظون مثلما كان تلميذا عمواس . يسير يسوع معنا ، مثلما سار معهما على الطريق ، خلال مبادلاتنا ، ومشاركتنا كلمة الله الموجودة فى الكتب المقدسة . وذلك حتى لو لم نكن نعرفه فى بدء الأمر ، فعقولنا مضاءة وقلوبنا متحمسة .

ولكن ، لنرجع إلى **صديقينا المسافرين !** بالنسبة إليهما **فهما لا يقصدان** أن يمضيا الليلة فى عمواس . بل **قاما من ساعتهما تاركين المائدة ، وخرجا سريعًا من المنزل ، ورجعا أدراجهما ، متخذين فورًا طريق أورشليم** ، من حيث أتيا ، ليعلنا خبر الأخبار : « يسوع حى !»

فوجدا رفاق يسوع فى هياج تام ، **وصرخ هؤلاء للتلميذين حال وصولهما :**

« اعرفا الخبر !... يسوع قام حقًا ، وتراءى لبطرس ».

« ولنا أيضًا !»...

وعليه رويا كيف انضم يسوع إليهما فى الطريق وكيف عرفاه فى اللحظة التى كسر فيها الخبز ليقسمه معهما .

(٢٠) هل شوهد روح قط يأكل أمام الجميع ؟

(لوقا ٢٤: ٣٦—٥٠، يوحنا ٢٠: ١٩—٢٣)

كان رفاق يسوع قد اجتمعوا مساء نفس اليوم (الأحد) **فى منزل أصدقاء لهم فى أورشليم** ، لعله المنزل الذى أكلوا فيه وجبة الفصح . **وكانوا معتصمين فيه لأنهم يخشون تفتيش الشرطة** : أليس هم تلاميذ يسوع هذا المتهم بالتمرد على السلطات اليهودية والرومانية ؟

وبغتة سمعوا صوتًا :

« سلام لكم »

ذهول !... **يسوع موجود هنا شخصيًا بينهم .**

من أين دخل ؟... لا يعلمون !... **جميعهم مسمرون فى مكانهم من الخوف ... يظنون أنهم يرون روحًا أو شبحًا .** وهذا رد فعل طبيعى ، لأن اعتقاد الناس كان أن أرواح الأموات قد تظهر تحت شكل بشرى . ولكن هنا الظهور ليس وهمًا .

« ما بالكم مضطربين هكذا ؟... لا يظهر عليكم الاطمئنان برؤيتى ... لماذا تشكون فىّ أنى أنا هو بنفسى ؟... أنظروا إلى يدىّ ، أنظروا إلى رجلىّ ... أنتم ترون أنى أنا ... إلمسونى وتحققوا أنى لست روحًا . فإن الأرواح ليس لها جسم كما ترون لى !» .

وأراهم يديه ورجليه حتى يظهر لهم العلامات والجروح التى سببتها المسامير . وبرهن هكذا على أنه هو يسوع وأنه هو حقًا الذى صلب .

غير أنهم لم يجرؤوا بعد أن يصدقوا ، يتنازعهم الفرح والشك . يخشون أن ينتهوا بالأسف على لحظة فرح كاذب إذا تسرعوا واعتبروا مجرد رغبتهم حقيقة راهنة .

وعليه سألهم يسوع :

« ألديكم ما يؤكل ؟»

حقًا إن جسم يسوع مختلف كل الاختلاف ، وهو جسم متجلٍّ بالطاقة الإلهية لا يحتاج إلى أكل . هذا واضح . ولكن الذى يقدر على الأكثر يقدر على الأقل . من له السلطان أن يتخلص من قوانين المكان والزمان (ويسوع ظهر بينهم بغتة) يمكنه أن يخضع نفسه لهذه القوانين ...

ناولوه قطعة سمك مشوى . فأخذها وأكلها بمرأى منهم ... والأكل عملية تعبر عن الحياة . لقد أكل يسوع ، ليؤكد حقيقة وجوده .

وحصل أن تعرف التلاميذ على يسوع تدريجيًا . تعرفوا عليه بكل حرية وكان فى وسعهم أن يرفضوا الإيمان . فى ظل هذه المقابلة ، إن اثبات الحالة جماعى والتحقق المتبادل سهل . فلأنهم رأوه يأكل ، هم على يقين الآن أنه هو بنفسه يسوع .. وحينذاك ، كم كان فرحهم غامرًا .

إننا لا نندهش من أن رفاق يسوع قد شكّوا . فى عصرنا أيضًا يصعب جدًا الإيمان بقيامة يسوع . يفكر الناس بسهولة أن العبارة : « قام يسوع من بين الأموات » تعنى أن ذكراه بقيت حية فى قلب تلاميذه فحسب ، أو أن مثله الأعلى ورسالته لا يزالان يحوّلان القلوب وحياة العالم . ولكن كتَّاب الأناجيل لم يكتفوا بتنسيق حوادث قصة ، ولم يكذبوا . إن التلاميذ رأوا حقًا يسوع حيًا بعد قيامته . ومئات ملايين المسيحيين الذين يعيشون اليوم على الأرض ما كانوا يضعون إيمانهم فى يسوع إن لم يزد عن كونه ميتًا مشهورًا وراحلاً ذائع الصيت . بل كانوا يعجبون فقط به ولكن لا يحبونه إلى حد أن يكونوا مستعدين على أن يبذلوا حياتهم من أجله . لا يمكن أن نحب حقًا إلا كائنًا حيًا حياة حقيقية . لأن حب شخص هو أن نشرك حياتنا بحياته . والديانة المسيحية ليست هى أولاً عقيدة ، بل هى التعلق بشخص حيّ هو يسوع .

بعد قيامته كان لابد ليسوع من أن يعطى براهين على أنه ليس روحًا أو شبحًا . إنه قدم ذاته بطريقة مألوفة ، مثلما كان يفعل فى الحياة العادية ، ترك الناس تلمسه ، وتكلم وأكل ومشى ... ولكنه أراد أيضًا أن يظهر أنه من عالم آخر : فكان يظهر بغتة والأبواب مغلقة ، ويختفى بغتة أيضًا .

ويسوع لم يظهر فى وسط ذويه لمجرد البرهان على أنه حقًا قام ، بل **كانت عنده رسالة يكلفهم بها** : أنهم يحلون محله لتكملة عمله :

« **لابد من أن تشهدوا لى** ، أى أن تكونوا مستعدين على أن تبذلوا حياتكم لتؤكدوا ما رأيتموه وسمعتموه منى ».

« **كما أرسلنى الآب السماوى** لأخلّص العالم من الشر والخطيئة ، **أنا أيضًا أرسلكم ... اذهبوا إلى كل مكان وأعلنوا عن عودة القلوب وغفران الخطايا**

للذين سوف يتجهون نحوى ».

« قد تظهر هذه الرسالة فوق طاقتكم . ولكن اطمئنوا . **سأرسل إليكم روح الله الذى يملؤكم قوة تأتى من العلى** ».

وعليه نفخ فيهم يسوع ... لينفث فيهم حياة جديدة — لأن النفس هو الحياة — وها هى العلامة الخارجية لتدفق قوة جديدة فيهم .

« **اقبلوا الروح القدس . من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ... ومن أمسكتم عليهم الغفران سوف يرزحون تحت ثقل خطاياهم** ، بما أنهم رفضوا أن يعودوا ويغيروا حياتهم .

(٢١) توما الشكاك يريد أن يلمس حتى يؤمن

(يوحنا ٢٠: ٢٤—٢٩)



ولكن أحد رفاق يسوع الحميمين كان غائبًا ذاك المساء (الأحد) ، هو توما ... عند رجوعه استقبله الرفاق بحماس :

« **آه ! ياتوما ، ليتك كنت معنا !... كنت رأيت يسوع حيًا** ، مثلنا ... **هو حقًا قام** ».

عبثًا حاولوا أن يؤكدوا له بكل الطرق أن يسوع حضر هنا شخصيًا . رفض توما أن يؤمن . وظل مصرًا على شكه : « أراكم هائجين جدًا !... لست من الذين يمكنكم أن تجعلوهم يؤمنون بأمر مثل هذا ... لا يسعكم أن تكوّنوا لأنفسكم فكرة عن أنه مات ، ولذا فإنكم ترونه فى كل مكان ... أو يتراءى لكم ... وهذا هو وليد خيالكم !...».



« لا ياتوما ، كنا جميعًا هنا ... ورأينا حتى جروح صلبه !»

« لكنكـــــــم لم تلمسوها ... وهـذا هـو المهم !... كان لابد من لمسهـا ، وعندئـذ كـنتم تتحققون من أنكم ضحية وهم ».

« أما أنا فإن لم أضع إصبعى فى الثقوب التى سببتها المسامير فى يديه ، وأضع يدى فى الجرح الذى فتحه رمح الجندى فى جنبه ، لا أؤمن أبدًا ».

بعد ثمانية أيام ، عندما اجتمعوا معًا ثانية ... وكانت الأبواب مغلقة ... بغتةً سُمع صوت .

« السلام لكم جميعًا ، ياأصدقائى !» كان هو يسوع ، ووجد فى وسطهم .



وتوجه إلى توما مباشرة :

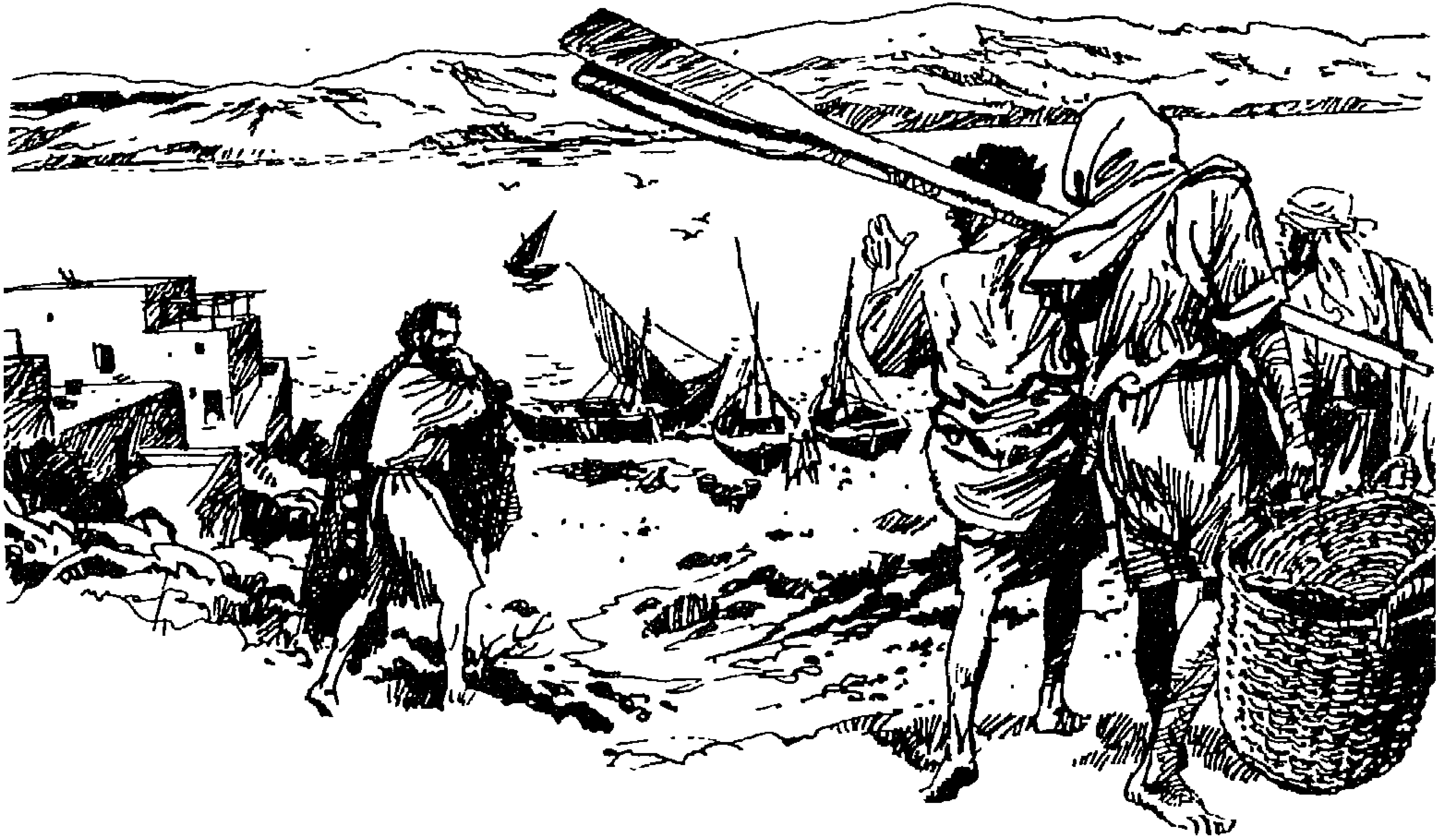
« اقترب منى قليلاً ... ضع إصبعك هنا وانظر يدىّ ... ضع يدك فى جرح جنبى ... ولا تكن غير مؤمن ، بل مؤمنًا .

ارتمى توما على قدمى يسوع ...

« أعتــرف ... نعــم يايسوع ، أؤمن ... أنت ربى وإلهى ».

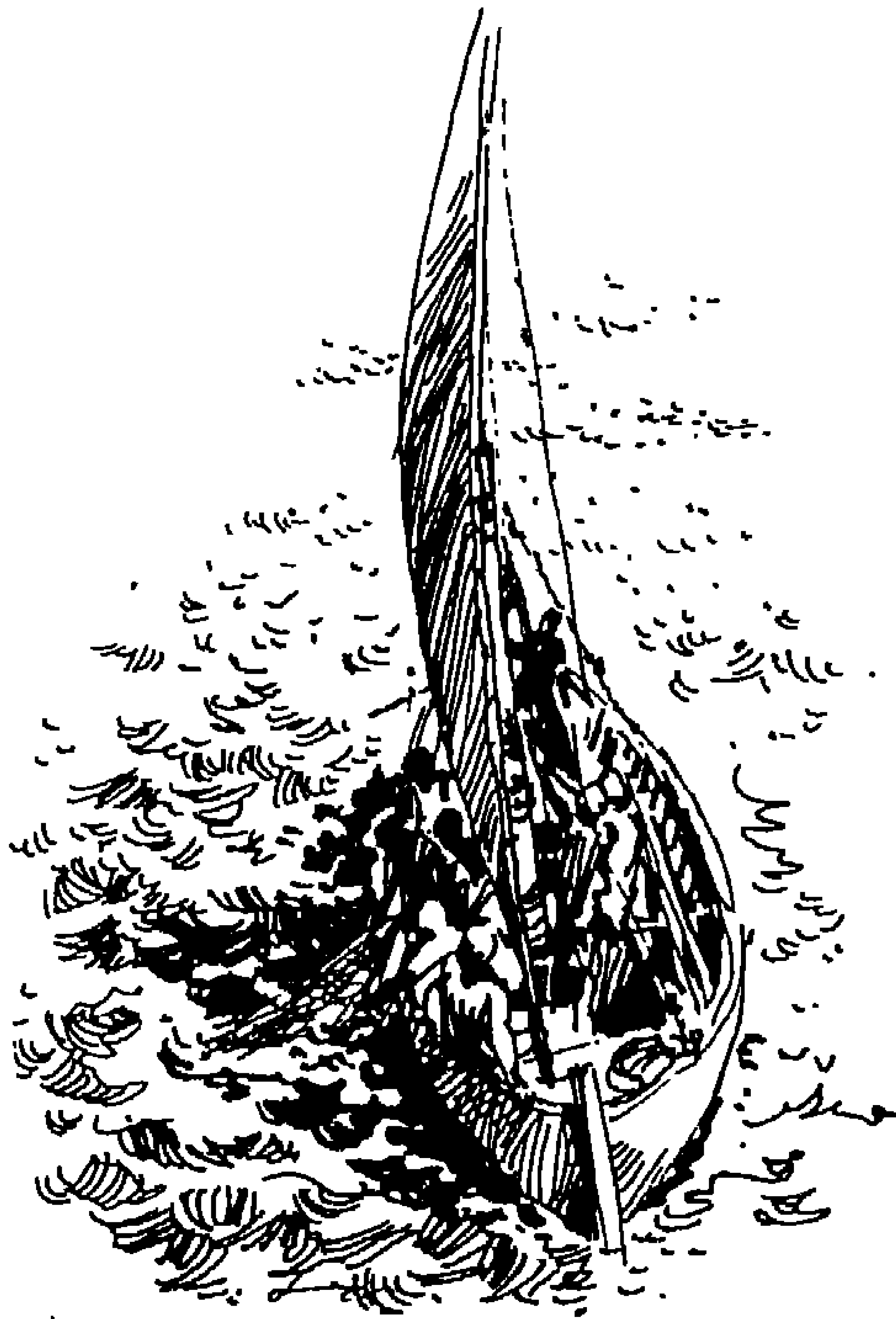


« ياتوما ، آمنت لأنك رأيت ؟... لا شيء مدهش أو يستحق التقدير فى ذلك ... نِعْمَ الأمر للذين يؤمنون ولم يروا ».



(٢٢) عند طلوع الصباح، بعد صيد محتدم ، أكلة سريعة على شاطىء بحيرة حول نار حطب

(يوحنا ٢١: ١ــ ١٩، مرقس ١٦: ٧)



في تلك الأيام (بعد القيامة)، **ترك سبعة رفاق أورشليم وذهبوا إلى الجليل** ، كما أمرهم **يسوع** . وفي الواقع ، أنه **كلف النسوة اللواتي رأينه قائمًا برسالة . أن يقلن لرسله الحميمين إنه ينتظرهم في الجليل** ... والجليل كما رأيناه ، بلد الطوائف المختلفة . وهكذا يريد يسوع أن يرسل تلاميذه إلى جميع الشعوب . **وهؤلاء الرفاق** السبعة **كانوا : بطرس وتوما وبرثلماوس ــ نثنائيل ويعقوب**

ويوحنا واثنين آخرين .

ما العمل وهم فى انتظار ظهور يسوع ؟... لابد من أن يعيشوا ويمضوا وقتهم فى عمل ما . والحقيقة أن مهنة كثيرين منهم القديمة كانت صيد السمك ... عثروا ثانية بسهولة على سفينة وشباك .

قال لهم بطرس ذات مساء :

«أنا ذاهب للصيد ».

« ونحن نذهب معك ».

وها هم يركبون السفينة على بحيرة الجليل الكبيرة .



ولكنهم خلال الليل كله لم يصيبوا شيئًا : لأن السمك ، متقلب المزاج ، يتقدم أسرابًا ويتراجع فجأة ... ولعل بطرس ويعقوب ويوحنا قد فقدوا شيئًا من مهارتهم فى هذه المهنة منذ سنتين ...

فتعبوا ، **وها هم عند طلوع الصبح يعودون بالسفينة نحو الشاطىء .**

وكان رجل مجهول فى انتظارهم . فصاح فيهم من بعيد :

« ماذا ؟ هل وُفقتم فى صيدكم ، يافتيان ؟»

« لا ، لم نصب شيئًا البتة !»

لكن هذا الشخص المجهول ، الذى يتكلم كأنه خبير فى مهنتهم ، **يصيح**

بهم :

« **صدقونى !... ألقوا الشبكة إلى يمينكم تجدوا** ».

« لعله على صواب ، على كل حال ، إذا كان موجودًا هنا من مدة ، فربما يكون قد لاحظ بضع سمكات كبيرة تقفز وتعوم على سطح الماء ». ولما كان الصيادون متضايقين بعض الشىء لرجوعهم خائبين ، عزموا على أن يحاولوا مرة أخيرة .

فنشروا الشبكة نحو المكان المشار إليه ... وبعد قليل رأوا السدادات التى تدعم الشبكة تهتز ... **وعندما أرادوا أن يسحبوا الشبكة لم يكن هذا ممكنًا ، لثقلها من كثرة السمك .**

عندئذ تذكر **يوحنا** ... رجع إلى ذاكرته صيد آخر عجيب مع يسوع ... فلابد أن يكون هو ... **همس فى أذن بطرس** الذى يتصبب عرقًا من جذب الشبكة :

« هذا الشخص المجهول على الشاطىء ... **هو يسوع بالتأكيد** .



بغتة أدرك **بطرس** الموقف . فترك الشبكة تسقط فى الماء ، **لبس صدرية الصيد** ، **لأنه كان عارى الجذع** ، **وقفز فى الماء ليعوم إلى الشاطىء ... وقفز الآخرون بسرعة وأخذوا يجرون السفينة حتى البر ، الذى لم يكن إلا على بعد مائة متر تقريبًا .**

وها هم على اليابسة . ماذا أبصروا ؟... يسوع بقرب نار حطب بسيطة .

وعلى هذه النار سمكًا يشوى ، وبضع قطعات من الخبز . قال لهم يسوع :

« هاتوا من ذلك السمك الذى أصبتموه ».

فصعد بطرس ثانية إلى السفينة وجذب الشبكة إلى البر ... وجد فيها مائة وثلاثًا وخمسين سمكة من السمك الكبير ، ولم تتمزق الشبكة رغم هذا العدد الكثير .

« هلموا الآن إلى الطعام ».



خلال هذه الوجبة البسيطة ، لم يكن أحد منهم غبيًا إلى حد أن يسأل يسوع : من أنت ؟ لعلمهم جميعًا أنه الرب ... ونزولاً على رغبته تركوه يخدمهم ، ويوزع عليهم الخبز والسمك ... كل ذلك جرى ببساطة وجاذبية لطيفة ، على شاطىء هذه البحيرة الكبيرة ، عند بزوغ الشمس .

وبعد الطعام ، قال يسوع لبطرس :

« أتحبنى أكثر مما يحبنى الآخرون ؟»

السؤال غريب ! أزعج بطرس بعض الشيء ... لا شك فى أنه يحب

يسوع !... ولكن ، أكثر من الآخرين ... لو أكد ذلك لكان فى حرج عظيم ، إنه يتذكر تصاريحه المفرطة عن أمانته أمام كل الآخرين ، بضع ساعات قبل تلك الليلة ، ليلة القبض على يسوع . ويتذكر فناء منزل رئيس الأحبار ، والخادمة وصياح الديك ...

فيجيب بخجل :

« يايسوع ، أنت تعلم أنى أحبك !»

« إذن ، ارع حملانى ».

سأله مرة ثانية :

« يابطرس ، أتحبنى أكيدًا ؟»

« نعم !... أنت تعلم أنى أحبك !...»

(وبطرس متضايق من هذا الالحاح)

« إذن ، ارع خرافى ».



وللمرة الثالثة :

« يابطرس ، أتحبنى حقًا ؟»

وعليه ، **حزن واضطرب** ... اذن يسوع ليس متأكدًا من حبه !... لاشك

فى أن بطرس أنكره ثلاث مرات !... وهذا الجمر ، الموجود على الشاطىء ، يذكّره بالحاح بمجمرة فناء قصر الأحبار ... آه ، مسكين يابطرس !... **هو متألم** وعلى وشك البكاء **لظنه أن يسوع يشك فى محبته** ... غير أنه مستعد أن يضحى بحياته ليعوّض عن خطئه !...

حينذاك ، وفى غاية الاضطراب ، نظر إلى يسوع بعينين مغرورقتين بالدموع ، وكبت الشهيق الذى يتصاعد فى صدره ، **وأجاب** ببساطة :

« **لكن يايسوع ، بما أنك تعلم كل شيء** وتعلم عمق قلبى ، **لاشك فى أنك تعلم أنى أحبك حقيقة !**».

«**فإذن ، ارع قطيعى** ».

كان يسوع قد أعلن عن أنه الراعى الصالح ، أى قائد الشعوب المثالى ... فهو الآن يشرك بطرس فى ذلك . يرجع إليه كل أنصبته فى جماعة المعمّدين المستقبلة ، بعد ما محا فى نظر الآخرين ، إنكاره الثلاثى بتأكيد ثلاثى لحبه .

(٢٣) « عمانوئيل » أو « الله معنا » إلى منتهى الأزمنة

(متى ٢٨: ١٦ــ٢٠، مرقس ١٦: ١٤ــ٢٠،
لوقا ٢٤: ٥٠ــ٥٢، أعمال ١: ٩ــ١٥)

بعد بضعة أيام ، **تلاقى رفاق يسوع وتلاميذه فى الجليل الذى جعله يسوع لهم موعدًا** . فشرع بعضهم يتساءلون عما إذا كان يسوع سيحضر . وبغتة ، **تقدم إليهم وعرفه أغلبهم . ولكن بعضهم شكّوا وتمردوا .**

يُفهمهم **يسوع** أنه حانت اللحظة الحاسمة **ويكلفهم برسالة مهمة :**

« **إنى أُوليت كل سلطان فى السماء والأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به** ».

أخيرًا ، يتمم يسوع إعلانه بأن حضوره غير منظور ولكنه محسوس وفعال :

إنه سيكون دائمًا معهم .

« أنا معكم يومًا بعد يوم إلى منتهى الأزمنة ».

يلحق آخر حياته الأرضية بدايتها ، حيث أعلن أن الطفل الذى يولد من مريم يكون « عمانوئيل » ومعناه « الله معنا ».

ينتهى تاريخ يسوع فى فلسطين وينفتح على تاريخ آخر : تاريخ حضوره السرى فى كل أنحاء العالم الذى يعيش فيه جماعة تلاميذه ... لن تكون الكنيسة أولاً منشأة بكل أجهزتها الإدارية ، ولكن إخاء تلاميذ ، لا شك معمّدين ، ولكنهم جميعًا متحدون شخصيًا بالرب يسوع .



وصار **عندئذ السفر الأخير** : لن يتراءى **يسوع** بعد ذلك فى عالمنا الأرضى . **بارك تلاميذه المجتمعين للمرة الأخيرة** ، ومثلما أعلنه من قبل ، **رُفع** إلى أبيه السماوى **متجهًا إلى العلاء واختفى عن أنظارهم** .

وهم يحملقون ليستمروا فى رؤيته ولكنهم سمعوا رجلين يقولان لهم :

« **ما لكم قائمين تنظرون إلى الفضاء ؟... فيسوع هذا الذى رُفع عنكم سيعود كما رأيتموه ذاهبًا** . أما بالنسبة لكم ، فقد حان الوقت للشروع فى العمل ولنشر الخبر السار ».

فرجع جميعهم إلى أورشليم وصعدوا إلى طابق منزل الأصدقاء **الذى اعتادوا أن يعودوا إليه ويجتمعوا فيه . ولحق هناك بالاثنى عشر رفيقًا ليسوع ، مريم أم يسوع وبعض أشخاص من أقاربها وتلاميذ أُخر . وأمضوا هناك أيامًا فى الصلاة والتأمل فى الأحداث التى عاشوها من زمن بسيط .**

(٢٤) كنيسة يسوع المسيح

(سفر أعمال الرسل ٢: ١ــ ١٣ و٤٢)

قبل ما يتركهم ، كان يسوع قد وعد تلاميذه بأن ينفخ فيهم روحه : فى تأملاتهم ، تذكروا أنه خلال تاريخ شعبهم حل روح الله على رعاة وملوك وأنبياء . غير أن جميع هؤلاء ما كان بمقدورهم ، أن يتمموا ما أوكل إليهم من رسالات ، إن لم تستول عليهم قوة روح الله وتلهمهم وتملأهم نشاطًا . الآن يبقى الرسل والتلاميذ فى هدوء داخل الغرفة العالية ، وتروق لهم ذكريات تلك الأيام الجميلة التى قاموا بها مع يسوع وشعروا فيها بأعظم يقين ، ألا وهو أنه قام من الأموات وأنهم رأوه حيًا بعد صلبه على صليب الجمجمة . ولكنهم لا يرغبون فى أن يُظهروا أنفسهم علنًا للآخرين ، فأبواب منزلهم مغلقة تمامًا ... وهم الآن معرضون ، بموجب خوفهم ، لأن يكونوا رابطة رفاق قدامى ليس إلا .

وحل يوم العنصرة ، ومعنى هذا الاسم ٥٠ يومًا بعد الفصح .

انطلق هذا الصباح بغتة دَوِىّ كريح عاصفة ، فملأ المنزل من الأول إلى الآخر ، وزعزعه . فظهرت ، لرفاق يسوع المجتمعين مع مريم أمه ، ألسنة كأنها من نار قد انقسمت ، فوقف على كل منهم لسان . وكانت هذه علامات دخول روح الله فيهم : فغمرهم بنوره وملأهم بقوته .

وما حدث كان غريبًا وعجيبًا للغاية إلى حد أنه يصعب عليهم أن يجدوا الكلمات المناسبة لوصف ما يشعرون به . وكأنها ريح شديدة تبدد كل الشكوك وتدفعها إلى غمر البحر لتجعل الكلام عن المسيح ممكنًا ... كأنها قطع ملتهبة وألسنة نار لمست رأس الرسل لتقول لهم : اذهبوا وتكلموا عن يسوع بحماس كشعلة نار .

لكن ، عند صباح العنصرة فى أورشليم ، حضر حجاج من كل أقاليم الإمبراطورية الرومانية ، فرتيون وماديون وميلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبية نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهودًا ودخلاء ، كريتيون وعرب .... ولاشك أنهم هنا لاتمام مسيرة دينية ، لأنهم يبحثون عن الله ، وينتظرون المسيح وأنفسهم مستعدة . فى هذه الساعة المبكرة يتدفقون فى اتجاه الهيكل ليشتركوا فى المراسم الكبيرة العادية . تملأ الشوارع أصواتهم وصيحاتهم المختلفة ، وتصل فى ترددها إلى آذان وقلوب التلاميذ المجتمعين فى غرفتهم العليا ، المغلقة الأبواب .

لكن ماذا يعمل هنا هؤلاء التلاميذ ؟... هل هم مجتمعون لأنفسهم ولذكرياتهم ... أو ليشهدوا لصالح يسوع أمام جميع هؤلاء الناس الآتين من كل أنحاء العالم ؟... بقوة الروح تحصل الصدمة بين **تلاميذ يسوع** وهذا الجمهور الذى يتوق إلى الله ، فيدركون رسالتهم . والروح ، الذى يغمرهم ، يدفعهم إلى الأمام بقوة لا تقاوم . ها هو حماس ، وها هى نشوة . **يفتحون الأبواب على مصراعيها** ويندفعون إلى الخارج ، يوقفون الناس المارين **ويعلنون لهم عن الخبر العظيم** .

يعبر بطرس عن أفكاره باسم الآخرين :

« من نحن ؟... رفاق يسوع الناصرى وتلاميذه ».

ويشرع فى تلخيص قصة يسوع ، واعتقاله وموته وقيامته . ويبرهن لهم عن أنه حقًا المسيح ، الذى ينتظره الجميع ، والمخلص الوحيد الذى ليس بأحد غيره الخلاص .

وإذ يحصل حادث غير منتظر : **يتكلم بطرس والآخرون ، والمدهش أن**

كل واحد **يفهمهم كأنهم يتكلمون لغته الخاصة** . وقصارى القول ، تقام لغة مشتركة ، يفهم الجميع بعضهم بعضًا . تأثر حجاج العنصرة واهتزت مشاعرهم إلى أعماق القلب بحماسة الحق والإخلاص لدى رفاق يسوع . ويعترفون بأن روح الله قد حل فيهم حقًا وأن خبر يسوع العظيم والسار الذى يعلنون عنه يوجه إلى الجميع دون تمييز بين الجنسيات والسلالات ، الثقافات والطبقات الاجتماعية ... يسود فى الجمهور جو خارق . الكل يتآخون ويقبّلون بعضهم بعضًا ، ووجوههم تنفجر فرحًا . ها هو عالم جديد ، وإخاء شامل قائم ...

فى ذلك اليوم ، انجذب **عدد كبير من حجاج العنصرة** وبدأوا يقتنعون ويظهرون موافقتهم **ويقبلون العماد وينضمون إلى تلاميذ يسوع** ... وهذه بداية كنيسة المسيحيين .

وهذا مستمر منذ نحو ٢٠٠٠ سنة !

هذا الكتاب

غاية هذا الكتاب أن يقدم للقارىء قصة يسوع فى أسلوب بسيط . وقد تم توزيع حوالى مليون نسخة من هذا الكتاب باللغة الفرنسية ، إلى جانب أنه ترجم إلى أكثر من عشر لغات منها الروسية والصينية .

يأمل الكاتب أن يسهم هذا الكتاب فى بناء مجتمع تسوده روح الأخوة والمحبة التى هى من أهم السجايا المسيحية .

الناشر